



مصطفى سيرتش شيخ بمواصفات العصر

شهرية علمية ثقافية تصدرها رابطة العالم الإسلامي السنة 42 العدد 482 رجب 1427 هـ أغسطس 2006 م

قنواتنا الفضائية بين الأصيل والدخيل





الحكم الشرعي للمتاجرة بالهامش في سوق الأوراق المالية

فاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم



الرابطة

شهرية علمية ثقافية تصدرها

رابطة العالم الإسلامي

المشرف العام

أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي

المدير العام للإعلام والثقافة

د. حسن بن علي الأهدل

رئيس التحرير

د. عثمان أبوزيد عثمان

مدير التحرير

منير حسن منير

الإخراج الفني

خالد عوض السوداني

المراسلات: مجلة الرابطة ص.ب [illegible] مكة المكرمة هاتف وفاكس [illegible] سنترال [illegible] التوزيع والاشتراكات: الوطنية للتوزيع ص.ب: [illegible] الرياض [illegible] هاتف: [illegible]

المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير

الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لاترد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر

طبعت بمطابع



رقم الإيداع: [illegible]

ردمد: [illegible]

■ سعدنا كثيراً بنيل أحد الكُتّاب في مجلة الرابطة العربية والإنجليزية جائزة نايف بن عبد العزيز العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية. ذلكم هو الدكتور محمد وقيع الله أحمد، الأستاذ الجامعي من جمهورية السودان المقيم في الولايات المتحدة الأمريكية. بدأ الكتابة معنا منذ شوال ١٤٢٥هـ ، وانتظمت مساهماته، إذ كتب في النقد الأدبي وفي عرض وتحليل الكتب، وأعد متابعات سياسية وفكرية رصينة.

أما الموضوع الذي استحق عليه الجائزة العالمية في فرع الدراسات الإسلامية المعاصرة، فهو (الإسلام في المناهج الغربية - عرض ونقد).

ونحن إذ نهنئه نأمل أن يمتد عطاؤه معنا.

وقد سعدنا من قبل بفوز الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل، نهاية العام الميلادي المنصرم، بجائزة رفيعة هي جائزة رئيس جمهورية السودان مع وسام العلم والآداب. والدكتور عماد الدين أحد كتابنا أيضاً.

وسوف تظل صفحات مجلتنا مفتوحة لأصحاب القلم الرفيع من أدبائنا وكتابنا داخل المملكة العربية السعودية، ومن سائر بلدان العالم الإسلامي.

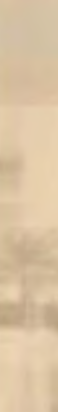
ولعل من المناسب التذكير بأهداف مجلة الرابطة التي هي من أهداف رابطة العالم الإسلامي، وهي التعريف بالإسلام والدعوة إليه وتوعية المسلمين بحقيقته وكشف ما لحق حياة المسلمين من تشويه وتحريف وابتعاد عن قيمه السمحة. والعناية البالغة بقضايا الشعوب المسلمة، والعمل على تحقيق وحدة الأمة الإسلامية، ومحاربة المعتقدات الفاسدة عن طريق نشر المفاهيم الصحيحة عن الإسلام.

والله ولي التوفيق والإعانة.





محتويات





قنواتنا الفضائية بين الأصيل والدخيل

«موضوع الغلاف» ١٧



« ٤ » مليارات ريال تخرج مع السعوديين دون عودة

٢٢

العـــــــدد

حول اجتماعات المجلس التأسيسي للرابطة

كتب- رئيس التحرير

تنعقد بمشيئة الله تعالى الدورة التاسعة والثلاثون للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في الفترة من ٢١-٢٤ شوال ١٤٢٧هـ التي يوافيها ١٣-١٥ نوفمبر ٢٠٠٦م.

ويعد المجلس التأسيسي وفقًا للهيكل التنظيمي للرابطة أعلى جهاز بعد المؤتمر الإسلامي العام، ويختص برسم السياسات وتحديد الاتجاهات بما يكفل تحقيق الأهداف التي قامت من أجلها الرابطة. كما يقدم النصح والمشورة للدول والجماعات التي تحتاج إليها، وتختص أيضا بعدد من الصلاحيات الإدارية مثل انتخاب الأمين العام والنظر في التقارير التي يقدمها، والاطلاع على الميزانية ونحوها.

ولعل اجتماع المجلس كل سنتين فرصة كبيرة، تستمد منه الأمانة العامة للرابطة وهيئاتها ومكاتبها في الداخل والخارج، دفعة معنوية لمزيد من التصدي للمشكلات التي يواجهها العالم الإسلامي، وتقديم العون للمسلمين في تحقيق آمالهم.

وهي فرصة للتفاكر حول الوسائل التي تستخدمها الرابطة لتحقيق الأهداف، ولعل من أهمها الدعوة إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وتنسيق

الجهود للدعوة إلى الله، والإسهام في تقوية رسالة المساجد وعمارتها، والاستفادة من موسم الحج بإتاحة الفرصة لاجتماع أصحاب العلم والفكر وقادة الرأي مع بعضهم وتوثيق عرى التقارب بينهم.

وتأتي اجتماعات هذه الدورة لتنظر في رصيد زاخر من العمل الإسلامي، منه ما قامت به وفود الرابطة من زيارات عديدة لتفقد أحوال المسلمين، وإقامة الندوات والمؤتمرات، وأوجه التعاون والتنسيق مع الأجهزة والمنظمات المحلية والإقليمية والعالمية الحكومية وغير الحكومية.

وقد شهدت الدورة إنشاء مؤسسات دعوية وثقافية وعلمية وتشغيلها، منها على سبيل المثال الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام ومقرها في المدينة المنورة، والهيئة الإسلامية العالمية للاقتصاد والتمويل.

وشهدت الدورة انعقاد مؤتمر وحدة الأمة الإسلامية ونشأة الملتقى العالمي لعلماء المسلمين. ويعد هذا من أكبر إنجازات الدورة فقد اجتمع نحو خمسمئة عالم من شتى أنحاء العالم وتفاكروا حول السبل الكفيلة لتحقيق وحدة الموقف والرؤية لدى علماء المسلمين واستقر رأيهم على إنشاء هذا الملتقى الجامع.

وينتظر من المجلس أن يتدارس أوضاع المسلمين ويصدر بشأنها القرارات المناسبة. ويولي المجلس عناية كبرى للمشكلات العظيمة التي يواجهها المسلمون في فلسطين وفي العراق وفي الصومال وغيرها، وما يصدر من رأي وموقف إنما هو التعبير الصحيح عن الشعوب الإسلامية وعلماء الأمة.

ولا يخفى ما يحدث هذه الأيام من اعتداءات سافرة على الشعب الفلسطيني هي موضع الاستنكار والرفض. وكذلك المواجهات والصراعات في العراق، وما تستدعيها من تضافر الجهود الممكنة لدفع عوامل النزاع والشقاق وفساد ذات البين وعودة الاستقرار إلى هذا البلد الإسلامي.

وسوف تبرز الأمانة العامة أهم الإنجازات للإدارات والمكاتب والمراكز، وكذلك مناشط المجلس الأعلى العالمي للمساجد والمجمع الفقهي الإسلامي، والهيئات التابعة للرابطة.

وهكذا تمضي مسيرة الخير بعون من الله تعالى، ثم بدعم مستمر مادي ومعنوي من حكومة المملكة العربية السعودية، وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين.

معاً لتكوين الأجيال القادمة

■ (الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى ونخص الصلاة والسلام على أحب الخلائق للخالق جل وعلا، سيدنا محمد وآله وصحبه ومن ولاه.

حضرة الشيخ النبيل رئيس تحرير مجلة «رابطة العالم الإسلامي» د.عثمان أبوزيد عثمان. أدام الله وجوده وحفظه ورعاه ومتعنا بطول حياته الشريفة.

يطيب لي أن أكتب إليكم على هذه الصفحة المتواضعة راجياً من المولى الكريم أن يمن عليكم ومن تحت قيادتكم من نعمه الزاهرة وفضائله الوافرة والحمد لله على كل حال أولا أقول، والشكر له ثانيا وإليكم جزيل الشكر ثالثاً، لأني تناولت مجلتكم «الرابطة» من السنة ١٩٩٧ إلى الآن ٢٠٠٦ (آخر العدد الذي تسلمت العدد ٤٧٧ صفر ١٤٢٧هـ مارس ٢٠٠٦م) وقد قرأتها وقرأ أيضاً من تحت ضماني من المدرسين والمدرسات وطلابي وطالباتي بمعهدي الشريف «عباد الرحمن».

وقد خطر ببالي وذهني منذ أمد بعيد أن أسطر هذه الورقة لأخبركم أنني معكم على بال واحد ورابطة واحدة في الجهاد والكفاح لتكوين الأجيال المستقبلة في خدمة الدين الحنيف ونشره على بقاع الأرض ، ولا شك إني لا أستطيع أن أصف لكم ما شغلني من الفرح والسرور وغمرني من الابتهاج والحبور حينما وصلتني مجلتكم، لأني قد استفدت منها وأهلي ومن تحت ضماني فوائد كثيرة من الموضوعات العلمية والدينية والتاريخية والأدبية والثقافية والحضارة والمعلومات المهمة المفيدة من السياسية والاقتصادية والدعوات الإسلامية والتربية والتعليم وغيرها التي تكون زاداً لي لمقابلة حياة المستقبل، أقول هذه مساعدتكم الثمينة الخالصة وأدعو الله ربي أن يكون ذلك في صحائف أعمالكم الصالحة الجاري ثوابها لكم إن شاء الله. ثم بجانب ذلك أنا عارف أن لكم أعمالاً لا أحصيها ولكني لا ملجأ ولا منجى إلا أن أطرق بابكم الكريم راجياً من حضرتكم وكرامتكم أن تلاحظ وتطالع وتقرأ وتنتقد وتصلح ما يتعلق بكتابيا: «التوحيد ومقارنة المذاهب» كانا علمتهما في معهدي. وعلى اهتمامكم الخالص ورأيكم الناجع وأشكر الله على هذه المنة أولاً وأشكر لكم ثانياً وأسأل الله أن يعيدكم بالمسرات والعيش الرغيد ويحفظكم الله من كل سوء وضر.. والختام أن لا تنسونا بدعواتكم المستجابة من الأرض المقدسة).

أخوكم في الله
علوان شاه إلهام

خلال لقائه مع د. التركي

سفير النيجر في المملكة يشيد بالإغاثة السعودية لبلاده

■ استقبل معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي في مكتبه بالرياض السيد هاشم توري، سفير جمهورية النيجر في المملكة العربية السعودية.

وخلال اللقاء قدم سفير النيجر شرحاً عن الأوضاع في بلاده مشيراً إلى حالة التصحر والآثار التي نتجت عنها، مما زاد الحاجة إلى الجهود الإغاثية، ومساعدة شعب النيجر على تجاوز محنته بسبب هذه الحالة.

وقدم سعادته تقريراً لمعالي الأمين العام للرابطة يتضمن احتياج شعب النيجر إلى المعونات الإغاثية العاجلة، حيث يعيش كثير من الناس تحت خط الفقر، وهم بحاجة إلى دعم الجمعيات الإسلامية ومراكز العمل الخيري في أنحاء النيجر.

ونوه سعادته بالمساعدات السعودية التي قدمت لمساعدة المحتاجين في النيجر، مشيداً بموقف القيادة السعودية المتضامن مع بلاده، مما خفف من معاناة المحتاجين وساعد المرضى من خلال المراكز الصحية التي تلقت المساعدات الطبية من المملكة.

وأشار سفير النيجر إلى برنامج المساعدات العاجلة الذي تنفذه هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية التابعة للرابطة، مؤكداً أن هذا البرنامج أنقذ مجموعات كبيرة من أبناء النيجر، وأعرب عن الأمل في أن تستمر الهيئة في تنفيذ برامجها التي تشمل حفر الآبار وتقديم المعونات العينية والدوائية للمحتاجين.

من جهته أكد د.التركي اهتمام رابطة العالم الإسلامي ومتابعتها لمعاناة شعب النيجر المسلم، مشيراً إلى أن الرابطة وهيئة الإغاثة سوف تستمر في مساعدة المحتاجين في هذا البلد.

سفير كازاخستان يشيد بإنشاء الرابطة للملتقى العالمي للعلماء المسلمين

■ استقبل معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي سعادة السيد أسكار موسينوف ، سفير جمهورية كازاخستان في المملكة العربية السعودية .

وقد تمت خلال اللقاء مناقشة عدد من القضايا ذات الاهتمام المشترك بين الرابطة وكازاخستان ، وفي مقدمتها التعاون في عقد المؤتمرات الإسلامية ، وندوات الحوار بين الحضارات .

وأشاد سفير كازاخستان بإنشاء الرابطة للملتقى العالمي للعلماء المسلمين بعنوان وحدة الأمة الإسلامية ، مشيراً إلى أن رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود للملتقى يعطيه قوة وقدرة على التأثير في توحيد مواقف الشعوب الإسلامية .

وبين سعادته أن كازاخستان سوف تشارك في الملتقى العالمي الأول للعلماء المسلمين بوفد إسلامي ، وذلك برئاسة سماحة مفتي جمهورية كازاخستان الشيخ حاجي عبدالستار ، معرباً عن الأمل في أن يحقق الملتقى أهدافه الإسلامية .

من جهته رحب معالي الأمين العام للرابطة باستمرار التعاون مع المؤسسات الإسلامية والثقافية والجامعات في كازاخستان فيما يخدم الإسلام والمسلمين .



د. التركي يستقبل الأمين العام لجمعية أهل الحديث في الهند

مكة المكرمة - محمد الأسعد

■ استقبل معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي في مكتبه بمكة المكرمة فضيلة الشيخ أصغر علي مهدي السلفي، الأمين العام لجمعية أهل الحديث في الهند، يرافقه عضو المجلس الأعلى للجمعية الدكتور عبدالرحمن بن عبدالجبار الفيروائي.

وخلال اللقاء تمت مناقشة عدد من القضايا المشتركة بين رابطة العالم الإسلامي وجمعية أهل الحديث التي تتبعها العديد من الفروع في ثلاث وعشرين ولاية في أنحاء الهند، حيث تقدم الخدمات الخاصة بالمسلمين، واستعرض الجانبان خلال ذلك التعاون في مجال التعليم الإسلامي، وتطوير مناهجه، وتزويد المعاهد الإسلامية في الهند بترجمات معاني القرآن الكريم والكتب التي تشرح أحكام الشريعة الإسلامية باللغات المحلية لعموم الهند.

وعرض فضيلة الأمين العام لجمعية أهل الحديث رغبة الجمعية في التعاون مع الرابطة من خلال المجلس التأسيسي والمجلس الأعلى العالمي للمساجد ومجلس المجمع الفقهي الإسلامي وهيئة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

كما عرض رغبة جمعية أهل الحديث بالمشاركة في عضوية الهيئة العليا للتنسيق بين المنظمات والمراكز الإسلامية الكبرى، التي أنشأتها الرابطة مؤخراً.وقد رحب الدكتور التركي باستمرار تعاون الرابطة مع جمعية أهل الحديث في الهند وعقد المناشط الثقافية والتعليمية المشتركة معها بما يحقق الهدف في تربية الأجيال المسلمة في الهند على الفهم الصحيح للإسلام ومبادئه في التعايش والاعتدال والوسطية.



د. التركي خلال استقباله مفتي المسلمين في اليونان

...ويستقبل مفتي المسلمين في اليونان ورئيس الجامعة الإسلامية في كوسوفا.. ومفتي طاجيكستان

■ كما استقبل فضيلة الشيخ رشيد أدهم إمام، المفتي العام لمسلمي اليونان وعرض فضيلته خلال اللقاء أوضاع المسلمين والمدارس الإسلامية في أنحاء اليونان، معرباً عن رغبة دار الإفتاء بأن تستمر الرابطة في دعم التعليم الإسلامي ولا سيما التعليم الابتدائي لأبناء المسلمين في بلاده كما قدم فضيلته تقريراً عن أوضاع المدارس التي تحتاج إلى مساعدة من أجل ترميمها وتزويدها بما تحتاج إليه.

واستقبل معاليه كذلك فضيلة الشيخ الدكتور رجب يشاربويا رئيس الجامعة الإسلامية في كوسوفا الذي أعرب عن رغبة الجامعة باستمرار التعاون مع رابطة العالم الإسلامي في مجال التعليم الجامعي، ولا سيما تعليم اللغة العربية والشريعة الإسلامية، مبيناً الحاجة الماسة لتعريب التعليم الشرعي في المدارس والجامعة، كذلك قدم فضيلته تقريراً عن العمل الخيري وتنسيق مهامه مع المؤسسات الإسلامية لما فيه مصلحة الشعب المسلم في كوسوفا.

واستقبل الدكتور التركي كذلك فضيلة الشيخ أمان الله نعمة زادة، المفتي العام في جمهورية طاجيكستان، يرافقه سعادة السيد طاهر رشيدوف، وكيل وزارة الشؤون الدينية في طاجيكستان.وقد نوه الشيخ أمان الله بجهود خادم الحرمين الشريفين، الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود، في توحيد المواقف الإسلامية، وتحقيق التضامن بين المسلمين، مشيراً إلى ما تم في مؤتمر القمة الإسلامية الاستثنائية الثالث الذي رعاه حفظه الله، في مكة المكرمة وما حققه في سبيل تحقيق التعاون والتواصل بين الشعوب الإسلامية.

وعرض فضيلته خلال اللقاء حاجة المسلمين في طاجيكستان لتنشيط أعمال الدعوة الإسلامية الرشيدة وفق أسس الوسطية الإسلامية.

من جهته رحب الدكتور التركي بالتعاون مع دار الافتاء الطاجيكية معرباً عن استعداد الرابطة للتعاون معها في خدمة مسلمي طاجيكستان.

الأمين العام يستقبل رئيس منظمة روهنجا أراكان في مينامار ونائب مدير جامعة أم درمان الإسلامية سابقاً

مكة المكرمة - الرابطة

■ استقبل معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي في مقر الرابطة بمكة المكرمة، فضيلة الشيخ سليم الله حسين عبدالرحمن، رئيس منظمة روهنجا أراكان في مينامار.وقد قدم فضيلته شرحاً عن أوضاع المسلمين في مينامار، مشيداً بما قدمته المملكة العربية السعودية وخادم الحرمين الشريفين، الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود من عون ومساعدة لمسلمي أراكان في مينامار.وعرض فضيلته تقريراً عن أوضاع مسلمي أراكان المهاجرين واحتياجاتهم، مثنياً على المعونات الإغاثية الإنسانية التي قدمتها لهم هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية. معرباً عن الأمل في أن تستمر الرابطة والهيئة في مساعدة هؤلاء المهاجرين المتفرقين في أنحاء العالم، والذين يبلغ عددهم مليوني مهاجر، يعيش نصفهم لاجئين في بنغلاديش.من جهته أوضح د. التركي أن رابطة العالم الإسلامي تعمل على مساعدة المسلمين والأقليات المسلمة على حل مشكلاتها وأنها سوف تستمر في مساعدة المهاجرين من مسلمي أراكان.كما استقبل فضيلة الدكتور سيد أمين زقل مؤسس جامعة القرآن الكريم في السودان نائب مدير جامعة أم درمان سابقاً، عضو المجمع الفقهي السوداني.وقد رحب معاليه بالضيف الذي عرض الجهود التي تبذلها جامعة القرآن الكريم في تدريس العلوم القرآنية للطلبة السودانيين والأفارقة ، وقدم فضيلته مجموعة من الكتب الخاصة بالفقه الإسلامي، مؤكداً أهمية التنسيق بين المجامع الفقهية في بلدان المسلمين للتوصل إلى الحلول الشرعية اللازمة لحل المشكلات المستجدة التي تمس حياة كل مسلم وأثنى فضيلته على الجهود التي تبذلها رابطة العالم الإسلامي في دعم التعليم الإسلامي والتواصل مع الجامعات الإسلامية وجامعة القرآن الكريم في السودان، مشيراً كذلك إلى الجهود الطيبة التي قدمها المجمع الفقهي الإسلامي في الرابطة لحل المشكلات المستجدة في حياة المسلمين.

وفد من مدرسي وطلاب جامعة العلوم الإسلامية في ماليزيا يزور الرابطة

مكة المكرمة - محمد الأسعد

■ استقبل معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي في مكتبه بمقر الرابطة وفداً من مدرسي وطلاب جامعة العلوم الإسلامية في كوالالمبور بماليزيا، وقد رافق الوفد خلال زيارته للرابطة سعادة الدكتور محمد راضي حمزة القنصل التعليمي في القنصلية العامة لجمهورية ماليزيا في جدة.وقد رحب د.التركي بالوفد واستمع إلى شرح عن تأسيس الجامعة وأهدافها وبرامجها من القنصل التعليمي الذي أوضح أن زيارة وفد الجامعة للمملكة العربية السعودية يهدف إلى اللقاء مع مسؤولي المؤسسات الإسلامية ومديري الجامعات في المملكة. وذلك ضمن سعي جامعة العلوم الإسلامية في ماليزيا لرفع مستواها العالمي وتنفيذ خططها في التعاون مع الجامعات الإسلامية. وقد أثنى سعادته على التطور الملحوظ في مستوى الجامعات السعودية مشيراً إلى تميزها وتفوقها وفق مستويات القياس العالمي للتعليم الجامعي، وأشاد بسياسة المملكة العربية السعودية في مجالات التعليم مؤكداً رغبة وزارة التعليم العالي والجامعات الماليزية في استمرار التواصل مع الجامعات والمؤسسات التعليمية والثقافية في المملكة.من جانبه قدم د.التركي شرحاً عن أهداف رابطة العالم الإسلامي وبرامجها في خدمة الإسلام والمسلمين مشيراً إلى اهتمامها بالتعليم وتخصيص المنح الدراسية لأبناء الأقليات المسلمة الذين يدرس عدد منهم في معهد الأئمة والدعاة التابع للرابطة.

تحت رعاية فخامة المشير عمر حسن البشير

الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم تقيم جائزة إفريقيا للقرآن الكريم بالتعاون مع جامعة القرآن الكريم



الرئيس عمر البشير ود. بصفر يوزعان الجوائز

■ تحت رعاية فخامة المشير عمر حسن البشير رئيس جمهورية السودان أقامت الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم بالتعاون مع جمعية القرآن الكريم مساء الأحد ١٤٢٧/٤/٢هـ بقاعة الصداقة بالخرطوم الحفل الختامي لجائزة إفريقيا للقرآن الكريم والتي شارك فيها ٢٠ طالباً من ثماني عشرة دولة إفريقية.

وذلك بحضور المشير عبدالرحمن سوار الذهب رئيس منظمة الدعوة الإسلامية وسعادة الأستاذ أزهري التيجاني وزير الإرشاد والأوقاف والبروفيسور يوسف الخليفة رئيس مجلس الأمناء لجمعية القرآن الكريم وسعادة الدكتور عبدالله بن علي بصفر الأمين العام للهيئة العالمية لحفظ القرآن الكريم وسعادة اللواء ركن بكري حسن صالح مستشار رئيس الجمهورية وسعادة الدكتور عبدالرحمن محمد سعيد أمين عام جمعية القرآن الكريم وعدد من الدبلوماسيين والقضاة وأعضاء هيئة التدريس بالجامعات ولجنة التحكيم والطلاب المشاركين والمهتمين بالقرآن الكريم وجمع من المواطنين.

بدأ الحفل بتلاوة من القرآن الكريم تلاها الطالب إدريس من نيجيريا ثم كلمة الدكتور عبدالرحمن محمد علي سعيد الأمين العام لجمعية القرآن الكريم. رحب فيها برئيس الدولة والهيئة العالمية شاكراً الجميع على حضور هذه المناسبة الغالية وقال إن هذه الجائزة هي تكريم لقارة إفريقيا وطلابها. ثم

تحدث الأمين العام للهيئة الدكتور عبدالله بصفر في كلمة رحب فيها برئيس الدولة وبالحضور وتحدث في كلمته عن دور الجمعية في المشاركة في تنفيذ هذه المسابقة وإظهارها بالشكل المطلوب وتطرق في كلمته إلى الدور الريادي الذي تقوم به سفارة خادم الحرمين الشريفين في مساندة العمل القرآني. معتبراً أن هذا جزء من سياسة حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز التي تعنى بخدمة القرآن الكريم. حيث أنشأت مجمعاً خاصاً بالقرآن الكريم في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله والذي يخرج آلاف المصاحف بمختلف الروايات بعد ذلك استمع الحضور لثلاثة نماذج من الطلاب بعدما ألقى وزير الإرشاد الأستاذ أزهري التيجاني كلمة رحب فيها برئيس الجمهورية وبالأمين العام شاكراً له حضوره لهذه المناسبة الكبيرة وبين الدور الأساسي والفعال لجمعية القرآن الكريم من حيث إقامتها للمسابقة، بعدها قام رئيس الدولة بتكريم الفائزين ولجنة التحكيم ثم تحدث عن المسابقة فقال: إن هذه المسابقة تعد من أفضل المسابقات القرآنية التي أقيمت على مستوى السودان. لأنها ضمت دولاً شقيقة ودعا لقيام هذه المسابقة سنوياً ثم ختم كلمته بالشكر الجزيل للهيئة العالمية. ولجمعية القرآن الكريم على إقامة هذه المسابقة. ثم تسلم فخامته هدية تذكارية من الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم قدمها له فضيلة الدكتور عبدالله بصفر الأمين العام للهيئة.

من جهة أخرى قام الأمين العام للهيئة الدكتور عبدالله بصفر أثناء تواجده بالسودان بزيارة إلى وزارة الأوقاف والإرشاد التقى فيها بوزير الإرشاد والأوقاف الدكتور أزهري التيجاني الذي رحب به وبزيارته للسودان، وتباحث معه حول العمل القرآني في السودان وجائزة إفريقيا للقرآن الكريم وتناقشا حول الخطط المستقبلية لقيام ملتقى علمي لتوحيد وتطوير سير الخلاوي القرآنية والرقي بمستواها. وفي ختام الزيارة قدم الأمين العام هدية تذكارية لمعالي الوزير.

وألقى الأمين العام محاضرة بقاعة الصداقة بعنوان «عناصر وحدة الأمة الإسلامية في القرآن الكريم» تحدث فيها عن دور الوحدة وتماسك الشعوب ووحدتها وقال: إن في التماسك قوة وفي التباعد فرقة وشتات، حضرها نائب القائم بأعمال سفارة خادم الحرمين الشريفين الأستاذ طارق محمد رشوان وعدد من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات والمشايخ والطلاب والمهتمين بالقرآن الكريم.

بعد ذلك قام الأمين العام بزيارة إلى المقر الجديد لجمعية القرآن الكريم ثم دار مصحف إفريقيا وشاهد طرق مراجعة وطباعة المصحف الإفريقي. ثم توجه إلى مقر منظمة الدعوة الإسلامية والتقى مع المدير العام للمنظمة المهندس محمد علي الأمين وتباحثا عن العمل المشترك بين الهيئة العالمية ومنظمة الدعوة بعدها عقد الأمين العام للهيئة والأمين العام للجمعية لقاء صحفياً بمركز الرياض الإعلامي مع عدد من وسائل الإعلام السودانية، تحدثا فيه عن جائزة إفريقيا وأهدافها.

١٠٠ طالب وطالبة يشاركون في المسابقة التي نظمتها الهيئة العالمية في ماليزيا وتقيم أول مسابقة في غينيا بيساو

■ شارك مائة طالب وطالبة في المسابقة القرآنية الأولى التي نظمتها الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم بالتعاون مع الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. وقد اشتملت على ستة فروع: حفظ القرآن الكريم كاملاً، حفظ عشرين جزءاً، حفظ عشرة أجزاء، حفظ خمسة أجزاء، حفظ جزء واحد، والتلاوة والتفسير، وشكلت لجنة تحكيم من ذوي الاختصاص لمتابعة فعاليات هذه المسابقة. وقد أقيم احتفال تكريمي للمشاركين حضره السيد توازن يسزهارمي محمد يوسف ممثل برلمان ولاية سلانفور والسيد عبدالرحمن الرشود مندوب المستشار الإسلامي لسفارة المملكة العربية السعودية والبرفسور كمال حسن مدير الجامعة الإسلامية العالمية وسعادة نائب مدير الجامعة، وسعادة مستشار برنامج تحفيظ القرآن الكريم، وممثل وزارة الشؤون الإسلامية، ومدير معهد دار القرآن الكريم بماليزيا، ورئيس جمعية حفاظ القرآن الكريم، والأستاذ آدم نوح فوفانا المشرف على برنامج تحفيظ القرآن الكريم وعدد من المهتمين بالقرآن وعلومه، وجمع كبير من المواطنين.

وقد تحدث في الاحتفال بعض المسؤولين معربين عن سعادتهم وسرورهم لحضورهم هذه المناسبة العظيمة، وأثنوا في كلماتهم على تنظيم المسابقة والقائمين على أمرها، وأشادوا بجهود الهيئة العالمية والجامعة الإسلامية العالمية في إخراج هذه المسابقة بالصورة اللائقة بالقرآن ورعاية حفظته وهنأوا في كلماتهم المشاركين وحثوهم على مواصلة الجهد في حفظ وتجويد القرآن الكريم، وأن يكونوا مثالاً يقتدى بهم. وفي الختام قدمت الجوائز المالية والعينية للفائزين والهدايا لجميع المشاركين في المسابقة.

الرابطة تعلن عن جائزة الشريتلي العالمية للتعريف بنبي الرحمة

مكة المكرمة - محمد الأسعد

■ أعلنت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي عن جائزة عالمية خاصة بالتعريف بنبي الرحمة محمد ﷺ، تنظمها على نفقة مؤسسة حسن عباس شريتلي الخيرية ، وذلك للإسهام في الدفاع عن رسول الله محمدﷺ من خلال التعريف بشخصيته ومكانته في قلوب المسلمين ، وبسنته وهديه ومآثره العظيمة ، وإبراز منهاجه في معالجة المشكلات المعاصرة. ودعت الأمانة العامة للرابطة الكتاب والمفكرين والباحثين والمتخصصين في السيرة النبوية للمشاركة في المسابقة التي تم تنظيمها لهذه الجائزة .

وأوضح معالي الدكتور عبد الله بن عبدالمحسن التركي ، الأمين العام للرابطة ، عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية أن باب المشاركة مفتوح لجميع الراغبين في تقديم الدراسات والبحوث الخاصة بموضوع الجائزة ، وبين أن أهداف الجائزة هي:

- التعريف بالنبي ﷺ وإبراز شمائله ومكانته في قلوب المسلمين وفي العالم.
- ملء الفراغ الذي تركه الجهل في عقول غير المسلمين بالنبي محمد ﷺ والتصدي لمحاولات النيل من شخصيته ومكانته العظيمة.
- إبراز جوانب الرحمة والسماحة والعدل والخلق الكريم في شخصية النبي محمد ﷺ والاقتداء بمنهاجه في معالجة المشكلات المعاصرة.

وقال د. التركي : إن البرنامج حدد عدداً من الشروط والضوابط للمشاركة في الجائزة، وذلك كما يلي:

١- أن تحقق الكتابة أهداف الجائزة بالتركيز على مآثر النبي ﷺ وخلقه ومعاملاته مع غير المسلمين ، وعلى آراء غير المسلمين المنصفين فيه.

٢- أن لا يقل البحث المقدم عن ١٥٠ صفحة مقاس A4 وأن لا يزيد عن ٢٥٠ وأن يرفق بملخص في حدود ١/١٠ منه.

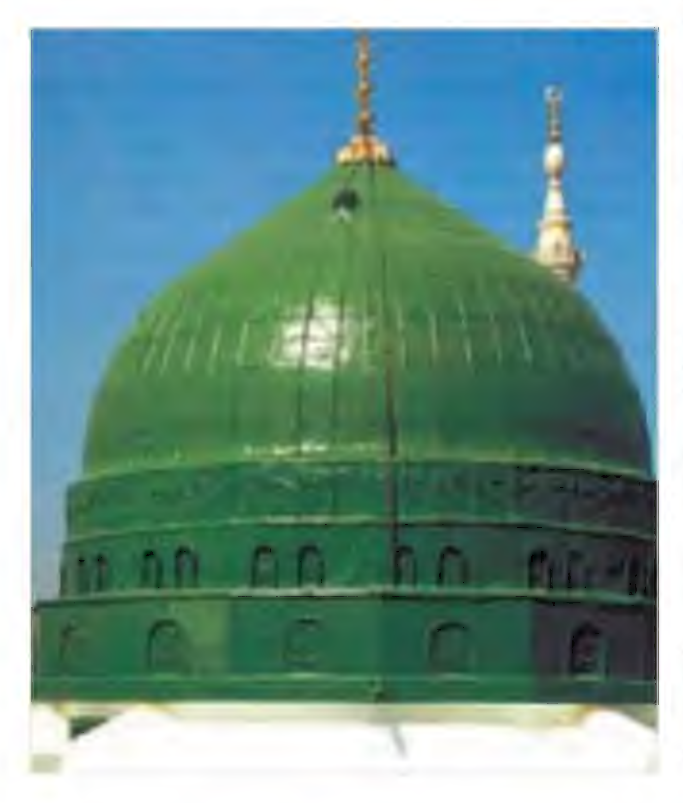
٣- أن يكون البحث بأسلوب علمي وموضوعي يراعي ما يناسب عقلية غير المسلمين وخلفياتهم الحضارية ، ويوضح الإشكالات في أذهانهم ويؤثر فيهم.

٤- أن لا يكون البحث قد سبق نشره أو تقديمه للنشر أو لأية جائزة أخرى.

٥- أن تكون جميع حقوق النشر والتوزيع محفوظة لبرنامج نصرة النبي محمد ﷺ.

وأعلن د. التركي عن ثلاث مكافآت للجائزة تمنح للفائزين ، وهي:

- الجائزة الأولى : (٣٠٠,٠٠٠) ثلاثمائة ألف ريال سعودي.
- الجائزة الثانية : (٢٠٠,٠٠٠) مائتا ألف ريال سعودي.
- الجائزة الثالثة : (١٠٠,٠٠٠) مائة ألف ريال سعودي. وقد وجه د. التركي شكر الرابطة وتقديرها لمؤسسة حسن عباس الشريتلي الخيرية ، ممثلة في السيد عبدالرحمن حسن عباس الشريتلي على إسهامه في تنظيم الجائزة وتمويلها داعياً الله العلي القدير أن ينصر دينه ، وأن يوفق المسلمين إلى عمل الخيرات والمبرات.





د. الزيد

د. الزيد ينوب عن د. التركي في اجتماعات باكو

رابطة العالم الإسلامي تشارك في الدورة الثالثة والثلاثين لمؤتمر وزراء خارجية دول منظمة المؤتمر الإسلامي

باكو - "الرابطة"

■ شاركت رابطة العالم الإسلامي في اجتماعات الدورة الثالثة والثلاثين لمؤتمر وزراء خارجية دول منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقدة في مدينة باكو عاصمة جمهورية آذربيجان باعتبارها عضو مراقب في المنظمة ، وقد مثل الرابطة في الدورة فضيلة الدكتور عبدالرحمن بن عبد الله الزيد ، الأمين المساعد لرابطة العالم الإسلامي لشؤون المساجد ، نيابة عن معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، الأمين العام للرابطة ، وقدم كلمة معاليه التي أوضح فيها أن مما يمهد لوحدة العمل الإسلامي تقوية المؤسسات التي تعمل على وحدة المسلمين، وتقديم الدعم لها، وفي مقدمتها المنظمات والجمعيات والمراكز الإسلامية، وبين أن رابطة العالم الإسلامي أنشأت هيئة عالمية للتنسيق بين المنظمات الإسلامية لتحقيق وحدة التخطيط والتعاون والتكامل في العمل الإسلامي الشعبي، وهذا يحتاج إلى دعم ومساندة من الحكومات الإسلامية.

وقال : إن أهمية العمل الإسلامي المشترك تزداد في هذا الوقت الذي يتخذ فيه خروج قلة من المنحرفين عن الصراط السوي ، ذريعة للانقضاض على الإسلام ، وهذا يحتاج إلى التنسيق وفق إعلان العمل الإسلامي المشترك ، الصادر عن المؤتمر الثامن عشر لوزراء الخارجية الذي عقد في الرياض في شعبان ١٤٠٩هـ حيث دعا : للعمل الإسلامي المشترك لمكافحة حملات الطعن في الإسلام، والتأكيد على تنسيق جهود الدول الإسلامية استناداً إلى الشريعة لمكافحة التجديف ضد الإسلام" .

ودعا دول العالم الإسلامي للتوقف عند قضية أمن الأمة الإسلامية، وهذه القضية لا تتحقق إلا بوحدة الأمة، على منهاج الإسلام، فذلك هو الضامن لحماية الأمة من المكائد الخارجية والحملات العدوانية ، وإن قواعد الشريعة الإسلامية تفرض أن يعد المجتمع المسلم العدة للدفاع عن نفسه، وفي هذا المجال ينبغي أن تكون بين الدول الإسلامية اتفاقات أمنية مشتركة لحمايتها من آفة الإرهاب في الداخل ، والعدوان عليها من الخارج، لاسيما وأن إسرائيل التي تعيش وسط الأمة تعلن باستمرار عن تحدي الأمة وانتهاك أمنها ، معتمدة في ذلك على ما تملكه من قوة ، في ظل صمت مريب من الهيئات الدولية والدول الكبرى ، وإن رابطة العالم الإسلامي تؤكد على ضرورة العمل المشترك لإيقاف انتهاكات إسرائيل للقوانين الدولية واستمرار العدوان على الشعب الفلسطيني، وعلى المسجد الأقصى ، الذي تخطط الجماعات الصهيونية المتطرفة لهدمه ، وبناء الهيكل المزعوم على أرضه ، وتدعو الرابطة إلى تقديم الدعم والمساندة لشعب فلسطين الذي يعاني من الحصار والتجويع ، وتطالب بدعم الوحدة الوطنية لأهل فلسطين ، واحترام خيارهم الديمقراطي.

وبشأن العراق قال: لا بد أن تسهم حكومات الدول الإسلامية في إعادة الحياة فيه إلى حالتها الطبيعية، لينضم إلى ساحة العمل الرشيد ضمن منظومة الدول الإسلامية، وإن رابطة العالم الإسلامي تؤكد على ضرورة معالجة مشكلات العراق بالحكمة، مع السعي للحفاظ على وحدة أراضيه ومعونة شعبه وإغاثته.

وفي ختام كلمته أعرب عن الأمل في أن يصدر المؤتمر توصيات تتضمن ما يلي:

أولاً: ضرورة الاتفاق على صيغة للإصلاح في الأمة الإسلامية ، يشمل الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية والتنموية الشاملة للإنسان ، وذلك اعتماداً على ما دعا إليه قادة الأمة في مؤتمر القمة الاستثنائي الثالث.

ثانياً: ضرورة العمل من خلال صيغة إسلامية مشتركة للدفاع عن دين الأمة وأمنها ، وصون كرامتها والدفاع عن منهاجها ومصالحها والذود عن ثقافتها إزاء ما تتعرض له من هجمات.

ثالثاً: أهمية تقديم الدعم للمنظمات الإسلامية الشعبية التي وضعت في مقدمة أعمالها معالجة التحديات ، ولاسيما تحديات الفكر المنحرف ومشكلات الغلو في الدين، وتهيئة الساحة الثقافية للتعامل مع الوسطية في الإسلام ، وذلك وفق تعهد القادة في مؤتمر القمة الإسلامية الثانية بقولهم: " نتواصى بأن نرعى وندعم المؤسسات والهيئات الإسلامية الشعبية التي تخدم أهداف ومبادئ ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي .



«التدين الإيجابي» في مؤتمر دولي بنيجيريا



■ عقد "منتدى الحوار لمسلمي شرق وجنوب نيجيريا" مؤتمراً دولياً تحت عنوان "المسلمون والتدين الإيجابي في نيجيريا" لبحث المشكلات الطائفية في البلاد، والتحديات التي تواجه المسلمين في المناطق والولايات ذات الأقلية المسلمة.

وأوضح أمين عام المنتدى "مصطفى تامونوتويبي واكاما" في تصريحات خاصة لشبكة "إسلام أون لاين.نت" أن المؤتمر الذي عقد في مدينة بورت هارقات بأقصى إقليم شرق نيجيريا، في أبريل الماضي هدف إلى تخفيف حدة التوتر بين المسيحيين والمسلمين في مناطق شرق البلاد ذات الأغلبية المسيحية، خاصة بعد تفجر أعمال عنف طائفية في مناطق شمال البلاد خلال الاحتجاجات الغاضبة على نشر صحف غربية للرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم.

وشدد على أن "التحديات المتلاحقة التي تواجه النيجيريين تستلزم اتخاذ موقف عملي من قبل المنظمات والجمعيات غير الحكومية لمناقشة التحديات الطائفية التي باتت تمثل عقبة أمام تحقيق تعايش سلمي بين المسلمين والمسيحيين".

وأضاف أن "واقع مسلمي إقليمي الشرق والجنوب، وطبيعة التشكيل الطائفي لتلك الأقاليم، يتطلب إعادة قراءة واقع التدين ومستلزمات المواطنة الصحيحة وعلاقة المواطن النيجيري المسلم بنظيره المسيحي".

حلول عملية

ولفت واكاما إلى أن المؤتمر الذي حضره قيادات مسلمة ورموز العمل السياسي بنيجيريا وحكام الولايات وأكاديميون ومفكرون وشخصيات خارجية، لا يهدف فقط إلى تعزيز التفاهم وإرساء قيم التسامح والتعايش السلمي بين النيجيريين، بل سيعمل أيضا على تقديم حلول عملية لوقف المواجهات الطائفية بين المسلمين والمسيحيين.

وأكد على حساسية الجانب الديني في نيجيريا، وهو ما يتطلب من المسلمين في إقليمي الشرق والجنوب أن يشرعوا في عملية فهم أعمق لذواتهم.

وكان ١٦ شخصاً على الأقل قد لقوا حتفهم في ١٩ فبراير الماضي بشمال نيجيريا بعد تحول مظاهرة احتجاج على الرسوم المسيئة للنبي الكريم إلى العنف.

وتعرضت كنائس ومتاجر للحرق خلال أعمال الشغب التي شهدتها ولاية بورنو شمال شرق البلاد قبل أن تفرض الشرطة حظر التجول في المنطقة.

ويبلغ عدد سكان نيجيريا ١٥٠ مليون نسمة، يشكل المسلمون أكثر من ٧٠٪ منهم حسب تقدير نشطاء مسلمين، غير أن إحصاءات البنك الدولي تقدر المسلمين بـ ٥٠٪ والمسيحيين بـ ٤٠٪ و١٠٪ لأصحاب معتقدات إفريقية وثنية.

وتتوزع النسبة الكبيرة من المسلمين في مناطق شمال البلاد التي تقطنها قبائل شتى أشهرها الهوسا والفلاني وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٩٥٪، بينما يشكل المسلمون في مناطق الجنوب التي تقطنها قبيلة اليوربا نسبة ٥٥٪ والمسيحيون ٤٠٪ والوثنيون ٥٪، فيما لا تشكل نسبة المسلمين في مناطق الشرق التي تقطنها قبائل الإيبو سوى ٣٪.

ماليزيا تدعو إلى حوار إسلامي مع الغرب

كوالامبور. محيط

■ طالبت ماليزيا قادة العالم بمعالجة الصورة المشوهة وسوء الفهم بين المسيحيين في الغرب والعالم الإسلامي من خلال الحوار. وأكد سيد حامد البار وزير الخارجية الماليزي على أن الحوار سيقود إلى السلام، والاستقرار والعمران المستدام، وفي ذات الوقت فإنه ينبغي على الطرفين الإسلامي والمسيحي حكومات وشعوباً الالتزام بعقد حوار سيؤدي إلى انسجام ورفاهية. وقال البار حسبما ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية إن ذلك الأمر يتطلب منا أن نعيد النظر في السياسات بكل مستوياتها دولياً وإقليمياً ووطنياً... : «علينا أن نعالج انعدام العدالة والمساواة لدى الشعب والدولة ونرفض الموقف المائل إلى جهة دون أخرى». جاء ذلك خلال كلمته في افتتاح الحوار بين الأديان الذي يعقد على هامش اجتماع آسيا-أوروبا الثاني في لماكا بسيبروس.

وأضاف البار أنه يجب على من يحرص على تحقيق الإدارة الجيدة وسيادة القوانين احترام القانون الدولي والعلاقة بين الدول، وأحد الطرق الفعالة إلى ذلك هو التعليم.

وضرب مثالاً على ذلك بالشعب الماليزي البالغ عددهم نحو ٢٥ مليون نسمة، يعيش في واحة أمن وسلام واحترام متبادل وسط تعددهم عرقاً وديناً. وعلى الرغم من أن المسلمين هم الأغلبية يمثلون ٣٣ في المائة من عدد السكان إجمالاً، إلا أن تدبير الدولة يدار من خلال شراكة القوى السياسية بين الجنسيات متعددة الأديان والاعتقادات. ودعا البار وسائل الإعلام إلى المساهمة بشكل أكثر فعالية في ترويج الأصوات المعتدلة المعتمدة على أساس التسامح وإبراز الحوار والتفاهم المتبادل بين الأديان والحضارات بدلاً من التطرف كأفضل وسيلة لتحقيق السلام الدائم.

مناشط دعوية للمسلمين في فنزويلا

■ أفاد الأستاذ محمد علي إبراهيم المشرف العام على جمعية رابطة العالم الإسلامي - مسجد إبراهيم البراهيم في فنزويلا بأن الجمعية احتفت مؤخراً بعدد من المسلمين الجدد. وواصلت الجمعية مناشطها في إقامة عقود الزواج وزيارة السجناء المسلمين والمرضى في المستشفيات وإلقاء الدروس الدينية.

وتحظى الجمعية بإقبال المسلمين، ولديها مناشط خاصة بالمرأة والشباب، وخاصة من خلال الصالة الرياضية التي قدم لها صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز دعماً مشكوراً.

وتعتزم الجمعية توجيه جزء من نشاطها إلى العناية بالجوانب الاجتماعية مثل إقامة أيام التراث لأزياء المرأة المسلمة واستقبال زوار الجمعية من كل شرائح المجتمع في فنزويلا.



أحد المناشط في جمعية رابطة العالم الاسلامي في فنزويلا

ضمن برنامج نصرة نبي الرحمة ﷺ تقدم رابطة العالم الإسلامي

جائزة معالي حسين عباس الشربتلي العالمية للتعريف بنبي الرحمة

تعلن الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي عن جائزة عالمية خاصة بالتعريف بنبي الرحمة محمد ﷺ، تنظمها على نفقة مؤسسة حسن عباس شربتلي الخيرية، وذلك للإسهام في الدفاع عن رسول الله محمد ﷺ من خلال التعريف بشخصيته ومكانته في قلوب المسلمين، وبسنته وهديه ومآثره العظيمة، وإبراز منهاجه في معالجة المشكلات المعاصرة.

أهداف الجائزة:

- التعريف بالنبي ﷺ وإبراز شمائله ومكانته في قلوب المسلمين وفي العالم.
- ملء الفراغ الذي تركه الجهل في عقول غير المسلمين بالنبي محمد ﷺ والتصدي لمحاولات النيل من شخصيته ومكانته العظيمة.
- إبراز جوانب الرحمة والسماحة والعدل والخلق الكريم في شخصية النبي محمد ﷺ والاقتداء بمنهاجه في معالجة المشكلات المعاصرة.

الشروط والضوابط:

١- أن تحقق الكتابة أهداف الجائزة بالتركيز على مآثر النبي ﷺ وخلقه ومعاملاته مع غير المسلمين، وعلى آراء غير المسلمين المنصفين فيه.

٢- أن لا يقل البحث المقدم عن ١٥٠ صفحة مقاس (A ٤) وأن لا يزيد عن ٢٥٠ وأن يرفق بملخص في حدود ١/١٠ منه.

٣- أن يكون البحث بأسلوب علمي وموضوعي يراعي ما يناسب عقلية غير المسلمين وخلفياتهم الحضارية، ويوضح الإشكالات في أذهانهم ويؤثر فيهم.

٤- أن لا يكون البحث قد سبق نشره أو تقديمه للنشر أو لأية جائزة أخرى.

٥- أن تكون جميع حقوق النشر والتوزيع محفوظة لبرنامج نصرة النبي محمد ﷺ.

وأعلن د. التركي عن ثلاث مكافآت للجائزة تمنح للفائزين، وهي:

- الجائزة الأولى: (٣٠٠,٠٠٠) ثلاثمائة ألف ريال سعودي.
- الجائزة الثانية: (٢٠٠,٠٠٠) مائتا ألف ريال سعودي.
- الجائزة الثالثة: (١٠٠,٠٠٠) مائة ألف ريال سعودي.

هذا وسوف يتم الإعلان لاحقاً عن المحاور المطلوب الكتابة حولها في العام الأول للجائزة، ومواعيد استلام البحوث، والإعلان عن نتائجها وموعد إقامة حفل الاحتفاء بالفائزين وتسليم جوائزهم

قنواتنا الفضائية
بين الأصيل والدخيل



تحقيق: نزار عبد الباقي أحمد

■ كثُر الحديث عن القنوات الفضائية وأثارت خطورتها على الأسرة والمجتمع من المناقشات والجدل أضعاف ما أثارته وسائل الإعلام الأخرى، ويرى كثيرون أن الإعلام في عالم اليوم تحوَّل من مجرد نقل للمعلومات والأفكار إلى الإسهام الفعلي في تكوين الحياة في أبعادها السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، لما له من تأثير على الأفراد والمجتمعات وتغيير أذواقهم وتحديد مصائرهم.

ولم يعد الإعلام المعاصر قاصراً على تلبية الاهتمامات وتوفير المعلومات، بل تحول إلى صناعة الاهتمامات وإعادة التشكيل الثقافي للإنسان من خلال الأوعية الإعلامية المختلفة والتقنيات المتطورة.

وتستمد وسائل الإعلام المرئي أهمية كبرى وتكتسب خطورة بالغة من كونها غير قابلة للرقابة، وتستطيع اختراق كل الأبواب المغلقة بسهولة ويُسر، ولها خاصية تقديم نفسها في قوالب متعددة وجاذبة.

لكل ما تقدم ارتفعت أصوات عديدة محذرة من هذا الوافد الجديد ومنبهة إلى خطورته وإمكانية استخدامه ضمن أدوات الغزو الثقافي.



المصمودي:
لا داعي للتهويل والفضائيات العربية لا تختلف عن نظيراتها



مجلة (الرابطة) حملت كل هذه الآراء والمخاوف ووضعتها بين أيدي ثلاثة من العاملين في الحقل الإعلامي هم الدكتور مصطفى المصمودي وزير الإعلام التونسي الأسبق، والدكتور عباس مصطفى صادق مستشار قناة أبو ظبي الفضائية، والدكتور عبد الرزاق قسوم رئيس تحرير مجلة البصائر الجزائرية ، واستطلعت آراءهم فكان هذا التحقيق:

الفضائيات الحالية وجدواها

يرى الدكتور مصطفى المصمودي أن الفضائيات العربية لا تختلف كثيراً عن نظيراتها الأخرى، ولا يجد غرابة في ذلك، ويعزو الأمر إلى العولمة، ويقول: لا داعي للمبالغة والتهويل، فالعالم الذي نعيش فيه أصبح قرية كونية، وما تقدمه الفضائيات العربية لا يختلف كثيراً عما تقدمه بقية القنوات، هناك تفاعل وتقليد وتكامل تلتقي عنده كل القنوات، أرى أن القنوات العربية فآل خير وهي حالة متطورة بالنسبة لما كنا فيه في السابق، فهي تتيح للمشاهد العربي فضاءً أرحب وتعددية إعلامية، كما أنها تساعد على نشر اللغة العربية، هذه كلها أهداف كنا نسعى إليها وكنا ندعو لمثل هذه الشبكة منذ ثلاثين أو خمسين عاماً، كذلك لا بد من الوعي المسؤول بين القائمين على أمر هذه القنوات، وألا يكون هناك تهافت على زيادة الأرباح المادية أو الفوز بأكبر نسبة من الإعلانات التجارية أو مضاعفة عدد المشاهدين على حساب القيم والأخلاق. ينبغي أن ينطلق إعلامنا من المسؤولية الملقاة على عاتق المربي والموجه.

ويرى د. عباس أن الفضائيات الإخبارية قدمت خدمات كبيرة للمتلقي العربي، لكنه يأخذ عليها عدم الاستقلالية في مصادر أخبارها، ويقول: الواقع إن الفضائيات العربية الإخبارية على وجه التحديد مثلت نقلة كبيرة في توضيح الواقع العربي والإسلامي في السنوات الأخيرة وغطت ما يجري على الأرض في مناطق النزاعات في العراق وفلسطين وغيرهما في مناطق يعرفها العربي قبل غيره ،ولكنها بشكل عام لا تساعد بحسب مكونها وطريقة تقديم خطابها في نقل صورة حقيقية عن الثقافة العربية والإسلامية ،لأنها تعمل أصلاً وفق منظومة للإنتاج تعتمد أساساً في الأخبار على وكالات الأنباء الغربية، وفي البرامج على تقليد نماذج لا ينتمي أغلبها إلى البيئة التي تعيش فيها. فوق ذلك لا تسهم معظم الفضائيات العربية في التصدي للمشكلات الحيوية الرئيسية التي تعيق عمليات التنمية في المجتمعات العربية، مثل الأمية ، وقضايا المرأة وما إلى ذلك بالشكل الذي يدعم التنمية البشرية بشكل ايجابي. وهي أيضا تعتمد على مصادر محدودة في الإنتاج البرامجي العربي ولا تعتد كثيراً بالإنتاج المشترك، خاصة في مجال الأفلام التسجيلية والوثائقية، وبرامج الأطفال والكارتون، والبرامج الثقافية والدراما التاريخية والمعاصرة .

كذلك يجب أن نشير إلى أهم ناقل للثقافة، وهو اللغة العربية، وما نلاحظه أن الكثير من الفضائيات مغرق في استعمال اللهجات المحلية، وبعضها مغرق في إيراد المفردات والمصطلحات غير العربية، وقد خلق بعضها ما يمكن تسميته باللغة (العامة) العربية التي يفهمها أصحاب اللهجات المختلفة من موريتانيا إلى الخليج،

وقد تطورت هذه اللغة الجديدة داخل غرف الأخبار في المحطات العربية الإخبارية في مجتمع من الصحفيين من جميع البلدان العربية، وهي أداة لغوية وسطية أصبحت سائدة في البرامج الحوارية في قنوات الأخبار مثل (العربية) و (الجزيرة) وساهمت كثيرا في نقل المادة الإعلامية . ولكننا محتاجون أكثر إلى أوعية إعلامية قوية للحفاظ على اللغة الفصحى، وهذا لا يتم إلا بالإنتاج البرامجي القوي والأصيل.

ويرى د. قسوم أن محاسن الفضائيات العربية الحالية أكثر من مساوئها وأن بالإمكان تقويم ما يوجد فيها من اعوجاج، ويقول: القضية ذات أوجه عديدة بالنسبة لوجود القنوات الفضائية فإنها مكسب مهما كان شكل أدائها ولكن على المثقفين والعلماء والمفكرين أن يطلعوا بترشيد هذه الفضائيات، لأنها سلاح ذو حدين ويمكنها أن تكون عامل بناء أو أداة هدم، نحن من يجعل منها أداة لمصلحتنا أو سلاحاً ضدنا. إذا وجدت هذه الفضائيات من يهتم بها، ووجدت من يعدون لها المواد الجيدة، ومن يوجهونها أحسن توجيه فإنها يمكن أن تصبح من أحسن عوامل البناء للأمة بدل أن تكون عامل هدم كما هو حال الكثير من هذه القنوات في الوقت الحالي.

لا يمكن أن نطلق أحكاماً معممة على كل الفضائيات، فمنها والحمد لله من تهتم بثقافتنا وقيمنا ومعتقداتنا وإيجابياتها أكثر من سلبياتها بكثير. كذلك فإن الفضائيات الهابطة موجودة وبكثرة لكنها سوف تتساقط وتختفي وتبور بضاعتها بعد مرور الزمن كما سقطت صحف صفراء ومجلات هابطة من قبل.

مسؤولية الإعلام عن الحملة ضد الإسلام

يقر د. عباس بمسؤولية الإعلام العربي الإسلامي عن تلك الحملات الإعلامية التي تُشن على الإسلام، ويرى أن هناك تبايناً كبيراً بين الفضائيات وبين رغبات الشارع العربي والإسلامي ، ويقول: ذلك صحيح إلى حد كبير، ونتاج أيضاً لعدم قدرتنا على التفاعل إعلاميا مع الواقع الإسلامي ,ومن اعتمادنا إعلاميا على تقديم صورتنا من خلال ماضينا فقط ، فوق وجود واقع على الأرض يصعب تجاوزه حاليا يتعلق بقوة وحجم الإنتاج الإعلامي الغربي إلى العالم كله وليس إلى العالم الإسلامي وحده ,فما نحسه من عدم توازن إعلامي يحس به الأوروبيون أيضاً من قوة اندفاع الإنتاج الإعلامي الأمريكي إليهم وهكذا .

تلخيصاً لما أوردنا فإن هنالك حالة فصام في العلاقة بين الفضائيات والثقافة العربية الإسلامية يتمثل في ضمور الاهتمام بالثقافة النافعة قياساً إلى البرامج الترفيهية التي يحمل بعضها مشاهد العنف والجريمة فضلا عن اللجوء إلى الإثارة في الخطاب الذي تقدّم به المادة الثقافية.

يوافق د. قسوم على الرأي السابق، ويلقي باللائمة على النخبة المتغربة بين أبناء المسلمين أنفسهم، ويقول: نحن نتحمل جزءاً كبيراً من هذه الحملات التي تُشن على ديننا وعلى نبينا، لأن لدى بعضنا القابلية لهذه الحملات. ما كان للإعلام المعادي أن ينجح في مهمته لولا وجود من يمكّن له داخل مجتمعنا. للأسف الشديد يوجد بيننا من يسمون أنفسهم بالنخبة، وهي نخبة مخترقة في داخلها ومحكومة بمصالحها ومعزولة عن محيطها ولا



قسوم:
نتحمل جزءاً من مسؤولية حملات تشويه الإسلام والإساءة لنبيه



تعكس الواقع الإعلامي ولا تمت له بصلة، بل هي مغروسة في داخلنا بواسطة الثقافات الأجنبية، وذلك بسبب تكوينها الأحادي أو مصالحها التي تحكمها وعمالتها لتلك الثقافات. الجهات المعادية لنا تستمد قوتها من ضعفنا. متى ما استطعنا تجاوز عوامل الضعف السياسي والثقافي والإعلامي والأخلاقي فلن تستطيع أي جهة أن تقف في وجهنا وسنسود العالم.

لو استطعنا تحصين ذواتنا والعودة إلى جذورنا ومنابعنا الأصلية، وحصنّا أجيالنا بما يمكن أن يُحصنّوا به ثقافياً وعلمياً وتقنياً نستطيع أن نظهر للآخرين سمو قيمنا وعظمة ديننا ونتحول من موقع المتلقي إلى موقع المرسل.

يرى د. المصمودي أن الغرب ليس كله معادياً للمسلمين ويدعو المسلمين إلى التعامل بعقلانية مع محاولات استفزازهم، ويقول: هذه الحملات تدخل ضمن إطار حملة أرادها البعض مساهمة منه في تغذية صراع الحضارات، الذي هو فكرة دعا إليها البعض حين رأوا أن هناك ثماني حضارات عالمية، من أهمها الحضارة الإسلامية التي تمثّل ١٨٪ من سكان الكرة الأرضية، الدول الإسلامية بها مخزونات نفطية كبيرة، وتشغل موقعاً استراتيجياً من العالم.

كانت الخطة الإستراتيجية لمن دعوا إلى هذا الصراع تقتضي الاستعداد لمجابهة هذه الحضارة، باعتبار أنه سيكون لها شأن كبير في مقبل الأيام.

لا بد من إدراك أن الغرب ليس كله معادياً وأن تلك النزعات العدائية تقابلها نزعات معتدلة، هناك من يدعو للمغالاة والصراع بين الحضارات، وبالمقابل هناك من يدعو للتعايش والاعتدال والوفاق.

قدرنا هو ألا نستخف بهذا الموضوع وأن نرفض الانجراف وراء الاستفزازات. أرى ألا نظهر الانفعال وأن نتعامل من منطلق عقلاني. لا ينبغي أن يتسم ردنا بالعشوائية وأن نخطط لكيفية الرد، وأن نستفيد من تجارب الدول والمجتمعات التي تعرضت قبلنا لمثل هذه الحملات ونجحت بفضل التخطيط السليم في تجاوزها. علينا أن نعتمد على الآليات والتقنيات والمنهجية السليمة. برامج الإعلام الاجتماعي نجحت بتفوق في تغيير الصورة والوضع والسلوك. اليابان على سبيل المثال عانت من حملة تشويه بشعة ونجحت من خلال حملات إعلامية منظمة وبواسطة برامج تثقيفية منسقة في تجاوزها وتغيير انطباع العالم نحوها.

الإعلام ومخاطبة الآخر بلغته

يدعود. قسوم إلى ترشيد الموجود حالياً ويشدّد على المؤهلات التي ينبغي توفرها في من سيُقدمون المادة الإعلامية للغربيين، ويقول: الفضائيات كالطفيليات تزداد يومياً وتنبت في كل الأماكن، وأرى أنه لو أُحسن تنظيم هذه الفضائيات وتم التنسيق بين مختلف أنواعها وتوجهاتها، بحيث تتخصص كل واحدة في مجال معين كأن يُوجّه بعضها للآخر وبعضها للجوانب النسوية وبعضها لقطاعات الشباب وأخرى للثقافة، لاستطعنا تحقيق كل ما نصبو إليه.

هناك بعض الفضائيات الإسلامية المتخصصة، ماذا لو تم تخصيص بعض ساعات البث اليومي لتكون باللغة الإنجليزية مثلاً وبعضها الآخر بالفرنسية وجزء للغات الأخرى؟ المجتمعات الغربية بحاجة ماسة إلى فضائيات تشرح لها حقيقة الإسلام وتوضح لها مبادئه الأصيلة وقيمه الصافية، وهذا لن يتأتى عن طريق القنوات الموجودة حالياً ما لم يتم تغيير لغاتها إلى اللغات الغربية.

ينبغي توفر مجموعة من الشروط في الفضائيات التي تخاطب الغرب، أولاً يجب أن تُسند إدارة تلك الفضائيات إلى متخصصين في لغات الغرب وثقافاته، وأن يكونوا ملمين بجوانب القوة والضعف في تلك الثقافات حتى يتمكنوا من اختراقها، وأن تكون لهم القدرة على إدارة حوار يختلف خطابه عن الذي يقدم في إطارنا العربي الذي يتسم بالوعظ والخطابة والانفعال. الخطاب الذي يقدَّم إلى الغرب ينبغي أن يعتمد على التحليل والاستنتاج والإقناع، حتى يمكن مخاطبة أولئك الناس.

يشير د. المصمودي إلى أهمية تنويع المادة الإعلامية التي تُقدَّم للغربيين والتركيز على حقائق الدين الإسلامي التي يجهلها الغربيون، ويقول: غالبية الفضائيات الإسلامية ناطقة باللغة العربية، لكن هنالك أيضاً فضائيات في إندونيسيا وماليزيا وغيرهما تنطق بلغات مختلفة. هناك ضرورة ملحة لتكثيف تلك البرامج التليفزيونية الموجّهة للغرب. علينا تنويع المادة الموجّهة للغربيين للتعريف بحقائقنا وواقعنا ومجتمعنا. نحن ندعو للوفاق والتفاهم واحترام الآخر، لذا علينا أن يكون خطابنا حاملاً لمثل هذه المفاهيم. ينبغي أن نظهر للعالم أننا أمة ذات حضارات متنوعة ومختلفة وأن نبرز لهم أن ديننا يدعو للتعايش والتسامح وليس لدينا لهفة في الاستيلاء على ما لدى الغير أو الاعتداء عليه.

ويبدي د. عباس بعض التحفظات على فكرة إيجاد فضائيات مخصَّصة للغرب

عباس: هناك حالة فصام بين الفضائيات والثقافة العربية والإسلامية



ويشدد على أهمية عدم انفصال هذه الفضائيات عن الموجود حالياً، ويقول: أظن أن الأمر يتعلق أيضاً بمن سينشئ وسيدير هذه القنوات،ومن أين ستنطلق ومن ستستهدف، وما مدى جاذبيتها، وهل ستتحدث بذات الأدبيات التي تقال في الفضائيات الحالية،إذ آن أي عمل إعلامي موجه للعالم العريض، في تقديري، لا يجب أن ينطلق بعيداً عن نموذج الإعلام الموجود حاليا وطريقة تقديمه لخطابه وإلا سيكون منكفئا وغير ذي جدوى .

الفضائيات وتجزئة الجمهور

لا يرى د. المصمودي بأساً في هذه التجزئة ويشير إلى أنها نتاج طبيعي لاختلاف آذواق المتلقين وتباين ثقافاتهم، ويقول: هذا الطرح يدخل في نطاق التعدد، تجزئة الجمهور واقع معاش داخل كل المجتمعات والحاجة إلى التخصص أصبحت ماسة. هناك من تجذبه البرامج الرياضية وآخر يميل إلى الثقافة وثالث ينزع نحو الدراما. لا بد من التعايش مع هذا التطور الذي فرضته تقنية الاتصال الحديثة.

كنا قبل ثلاثين عاماً نتحلق حول التليفزيون لمدة ساعة يومياً للاستماع إلى نشرات الأخبار والانتفاع من برامج مسلية تُبث لمدة ساعة واحدة يومياً، وكنا نحرص على عدم تفويت هذه الفرصة البسيطة. اليوم أصبحت لدينا فرصة كبيرة لتخزين هذه البرامج والانتفاع منها فيما بعد. أصبحت الإنترنت قوة دفع إضافية لهذه القنوات وأعطتها وزناً أكبر.

هذه الظاهرة واقع ملموس لكنها ليست مقلقة لأننا لا نملك إلا التجاوب مع معطيات العصر، شأننا في ذلك شأن كل المجتمعات الأخرى لأننا كلنا أبناء هذه الكرة الأرضية، نحن نمثل ١٨٪ من سكان الكرة الأرضية والبقية لها أيضاً ثقافتها ووزنها وحضارتها.

يخالف د. قسوم الرأي السابق ويشير إلى خطورة تصنيف الناس إلى أصناف متعددة، ويؤكد على مخالفة هذه التصنيفات لتعاليم الإسلام، ويقول: الإسلام هو دين الوحدة والشمولية ولا مجال فيه لتصنيف الناس إلى متدينين وغير متدينين. الإسلام يخاطب الجميع بلغة واحدة: (يا أيها الناس) (يا أيها الذين آمنوا) لذلك فإن عملية تصنيف الإعلام إلى إعلام متدين وآخر غير متدين أو إعلام إسلامي وآخر علماني مخالفة لمفهوم الإسلام وتعاليمه. المطلوب هو أن نقدم خطاباً إسلامياً بعيداً عن الغلو والجمود والانكفاء. خطاب يوجه للناس كافة ولكنه يأخذ بعين الاعتبار خصوصيات مختلف فئات المجتمع.

هذا التصنيف ضار جداً ويؤدي إلى تكريس الدين في أيدي قلة من الناس ويُبعد القاعدة العريضة من أبناء المسلمين عن دينهم، وإذا لم نتفاد هذا التصنيف ومخاطبة الناس بلغات متعددة فإننا سنكون عرضة للتشرذم والتجزئة وليس هذا هو الهدف من الوسائل الإعلامية.

يرجع د. عباس هذه الظاهرة إلى أسباب فنية لا يمكن لوسائل الإعلام الحرة أن تتجاوزها، ويرى أن الأمر عائد برمته إلى حاجة المتلقي إلى نوعية البرامج التي تستهويه، ويقول: حالة تجزئة الجمهور هذه ,خلقتها حاجة الجمهور نفسه والواقع أن الإعلام الحر مجبر على التعامل مع الجمهور المحدد تحديداً دقيقاً، والتزام حاجاته المحددة بنفس الدقة، ومن الصعب تجاوز مفهوم التجزئة لمجرد الرغبة في خلق خطاب عام.

اعتقد أن الآثار المستقبلية هي تطور حالة الفردانية - Individuality التي تحقق إعلاميا لكل فرد قائم بذاته، ولكي يقوم الإعلام بهذه المهمة فإن ذلك يتم وفق مبدأ شبيه هو التخصيص Customization وهي تحديات لا يمكن تجاهلها أمام أي إعلام جديد.



«٤» مليارات ريال تخرج مع السعوديين دون عودة

الاستمتاع بإجازة الصيف بين سندان السفر ومطرقة البقاء

إعداد - حسين محمد علي

■ في كل عام في مثل هذه الأيام، تشهد الموانىء الجوية والبحرية والبرية ازدحاماً شديداً من قبل المسافرين إلى بلاد عدة بغية قضاء إجازة الصيف.

وقبل نهاية العام الدراسي تقام الاجتماعات الأسرية بهدف الاتفاق على الدولة التي سيتوجهون إليها، والمهم هو قضاء صيف بعيداً عن أجواء التوتر والروتين اليومي، ومن ثم يتم تدبير الأموال اللازمة وتجهيز كل ما يتعلق بالسفر. ومع ازدياد عدد الراغبين في السفر إلى خارج أوطانهم، فهناك من يرفض فكرة قضاء الإجازة بعيداً عن الوطن، ولكل أسبابه ودوافعه التي تجعله حريصاً على تنفيذ خياراته مهما كانت الصعوبات التي تواجهه.

«الرابطة» فتحت ملف «الإجازة الصيفية» لتلقي الضوء على ظاهرة السفر وما يتعلق بها من إيجابيات وسلبيات.

السياحة الداخلية تنقصها برامج جاذبة

في البداية يقول سعد القرشي نائب رئيس اللجنة الوطنية للعمرة والسياحة في جدة إن السياحة الداخلية أمام معوقات عدة يتعين إزالتها بدءاً من ارتفاع الأسعار وجودة الخدمات المقدمة للسياح ومروراً بتنويع البرامج والعروض السياحية.

وأشار القرشي إلى «أن هناك أكثر من أربعة مليارات ريال تنفق سنوياً في الخارج من جانب السياح السعوديين» معتبراً أنه مبلغ ضخم يتعين على المسؤولين التفكير في كيفية سحب هذه الأموال إلى الداخل والاستفادة منها، خصوصاً وأن السياحة أصبحت مورداً اقتصادياً تتفنن الدول في تطبيقه.

عوامل الجذب نادرة

وقال القرشي إن عوامل الجذب السياحي في السعودية التي يبحث عنها المواطن والمقيم لم تتوفر حتى الآن، مشيراً إلى أن شركات العمرة المحلية مستعدة للتسويق للسياحة الداخلية وبرامجها، إلا أن ما يعوقها هو الإجراءات الطاردة، إذ أن فكرة سياحة المعتمر لم تفعّل حتى الآن من جانب الجهات المعنية بدعم السياحة، مؤكداً في الوقت نفسه عدم استطاعة المعتمر التجول في المناطق السياحية، وذلك لانعدام المرونة في إصدار التصاريح للمعتمرين من جانب الجهة المعنية.

مليارات هاربة

وأوضح القرشي أن الحديث عن السياحة يقود للحديث عن مليارات الريالات التي تتسرب سنوياً من الاقتصاد السعودي إلى الخارج، متسائلاً في الوقت نفسه عن غياب صناعة السياحة السعودية من هذه المليارات التي تصدر إلى الخارج من دون محاولة سحبها وإعادتها إلى الداخل للاستفادة منها.

وأكد ضرورة تطوير البرامج السياحية وتكثيفها في المواقع السياحية في البلاد من أجل ضمان استقطاب السياح السعوديين والزوار الخليجيين إليها، والحد من الهجرة السياحية التي تصادر الأموال المحلية.

من جانبه، اعتبر سمير قمصاني المدير العام لإحدى الشركات السياحية أن الحركة السياحية للداخل في نمو مستمر وطلب متزايد من جانب السياح، مضيفاً أن الحركة السياحية الخارجية تتحكم فيها عوامل عدة سواء كانت سياسية كالإجراءات المستحدثة في كثير من البلدان أثناء الدخول وطلب التأشيرة، خصوصاً بعد أحداث ١١ سبتمبر.

من ناحية أخرى، أكدت مصادر سياحية أن ٣٠ في المائة من السعوديين غيروا وجهتهم السياحية من خارج البلاد إلى داخلها، مرجعين ذلك لتعرضهم إلى خسائر كبيرة في سوق الأسهم المحلية خلال الفترة الماضية.

الصيف داخلياً غالٍ

لكن هناك من يقول إن خسائره الفادحة في سوق الأسهم المحلية أجبرته على البقاء في منزله من دون الاستفادة من العروض السياحية الخارجية. هذا ما أكده سمير محمد صالح اللحياني موضحاً أن قضاء الإجازة داخلياً أمر مكلف، مشيراً إلى أن الأسعار في الدول العربية القريبة في متناول أيدي الجميع.

وأوضح اللحياني أن ما دفعه لقضاء إجازاته السنوية الماضية في الخارج هو ارتفاع الأسعار في المناطق السياحية السعودية مقارنة مع نظيراتها في الخارج. إلا أنه أكد أن السياحة السعودية تتميز عن غيرها في الخارج بعنصر الأمن والأمان والإحساس بالطمأنينة.

أما سعد صالح سلامة الجهني، مدير مدرسة متوسطة في جدة، فيؤكد أنه لا يحبذ السفر إلى الخارج لقضاء الإجازة الصيفية، مشيراً إلى أن السعودية بمختلف مناطقها أفضل بكثير من دول عديدة.

وقال: يأتي إلينا الملايين من المسلمين سنوياً لأداء مناسك الحج والعمرة ويستمتعون بزيارة معالم المدينة المنورة ومكة المكرمة وجدة، ونلاحظ ذلك في الأسواق

المختلفة حيث الازدحام شديد، وجميع المعتمرين والزائرين والحجاج يتسابقون إلى الأسواق للتسوق والتنزه. وإنني أعلم جيداً أن الكثير من أبناء الخليج يتوجهون إلى الخارج بغرض التسوق فقط وحضور مهرجانات التسوق المنتشرة في تلك الدول. ولدينا الآن مهرجان «جدة غير» وكذلك «مكة خير» ونشاهد فيها الكثير من الفعاليات.

فكرة سريعة

ويقول صهيب طفران - حصل هذا العام على شهادة الثانوية العامة من مكة المكرمة - إنه لا يحرص كثيراً على التفكير في كيفية قضاء الإجازة أو أين، فإذا جاءته فكرة ما فإنه ينفذها بعد موافقة والده، وأضاف: لم أخطط لإجازاتي عادة، كل ما في الأمر أن فكرة كيفية قضاء الإجازة تأتيني غفلة وأفكر فيها لمدة دقائق معدودة ثم استعد لتنفيذها في الوقت المناسب.

الأفضلية لبلدنا

ويرى خالد عبدالهادي الشهري - موظف في جدة - أن التفكير في مكان قضاء إجازة الصيف أمر صعب، خاصة في الفترة الراهنة، فنحن نسمع بين حين وآخر عن المظاهرات التي تقام في بلدان عدة، إضافة إلى التفجيرات التي نفاجأ بحدوثها في تلك الدول، الأمر الذي يجعلنا نتخوف من السفر ونفضل قضاء إجازة الصيف في ربوع بلادنا وبين أهالينا.

ويضيف خالد الشهري: لا أعتقد أن هناك ميزة تجعل الدول الأخرى أفضل من بلادنا، لكن البرامج السياحية والخدمات المتميزة هي التي تصنع الأفضلية، فلقد سبق لي أن زرت مصر وسورية وتركيا، وشاهدت قرب المواقع الأثرية والأحياء الشعبية والمساجد المعروفة كالأزهر والحسين والمسجد الأموي ومسجد أيا صوفيا في أسطنبول واستمتعت جداً بالحياة المحيطة بها، لكن متعة الصلاة في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف والقرب منهما لا تقارن أبداً بأي مكان آخر.

هدفنا التعارف

ويعبر وسام محمد حمزة الحسيني - موظف في ميناء جدة الإسلامي في جدة عن حرصه على ضرورة قضاء إجازته السنوية خارج السعودية لا سيما مصر وذلك بصحبة الأسرة، فقرب المسافة بين البلدين واعتدال الجو والأسعار المناسبة وتعدد الأماكن السياحية يجعلنا نحرص على السفر إلى مصر كل صيف.

وأضاف الحسيني: لقد خلقنا الله لنتعارف، ونحن هنا في السعودية نستقبل الكثير من الحجاج والمعتمرين والزوار، وتربطنا ببعضهم علاقات متميزة جداً، ونزورهم في بلادهم كلما سنحت الفرصة، وأعتقد أن سفرنا لقضاء إجازة الصيف فرصة لزيارة هؤلاء الأعزاء.

هبوط الأسهم المحلية قاد الكثير إلى الصيف المحلي

تكاليف باهظة

ويؤكد علي سعيد الزهراني - متقاعد - أن قضاء إجازة الصيف داخل بلادنا أفضل بكثير جداً من السفر إلى الخارج، مشيراً إلى أن تكاليف السفر أصبحت باهظة، فالطيران أسعاره صارت خيالية وكذلك أسعار السفر براً باتت مبالغاً فيها، إضافة إلى ما ينفقه الأولاد لشراء مستلزمات السفر من ملابس، عطفاً على ما سيتم شراؤه من الخارج وجلبه إلى داخل السعودية.

الأندية مغلقة

ويقول مهند خياط - حاصل على شهادة الثانوية العامة هذا العام - عن سر حرصه على السفر إلى الخارج خلال الصيف: لا أعتقد أن هذا الحرص سيستمر طويلاً، لكن ما يدفعني إلى السفر أن إمكانياتي المادية محدودة، والأندية الرياضية تغلق أبوابها أمامنا، والأسعار في أبها والباحة مشتعلة في موسم الصيف لذا أفضل السفر إلى الخارج.

حرية التعبير والمشترك الإنساني لممارستها



تحقيق: نزار عبد الباقي أحمد

■ تداعيات الأحداث التي أعقبت نشر الرسوم المسيئة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفرزت مناقشات معمقة حول مفهوم حرية التعبير والمدى الذي يمكن السماح عنده للفرد بأن يعبِّر عن نفسه، وبرز سؤال جوهري: هل حرية التعبير مطلقة حتى لو اعتدت على حرية المجتمعات أو على المقدسات الدينية كما صرَّح بعض الغربيين؟

لا يختلف المسلمون في أن حرية التعبير ينبغي ألا تكون مقدمة على المقدسات الدينية، ذلك أن مرجعية المقدسات الدينية تؤول إلى الله خالق الكون، لذلك فهي مقدمة على حرية التعبير والتي هي اصطلاح واجتهاد بشري يخضع في صحته وخطئه إلى النسبية.

والانتماء الديني، برغم ما يحاول بعض العلمانيين أن يروجوا له، مغروس في دواخل الإنسان، أياً كان موطنه. ومنذ أن وُجد على ظهر الأرض بدأ في البحث عن خالقه فعَبَدَ الشمس والقمر والنار قبل أن يهتدي بالرسالات السماوية. لذلك فالدين يبقى في أعماق الإنسان وإن كان لا يظهر عند البعض إلا في أوقات الشدة أو الصدمات.

من هنا نشأ جدل كبير وبرزت أسئلة ملحة:

كيف يمكن وضع صيغ متوازنة لحرية التعبير تتوافق ولا تتعارض مع حريات الآخرين؟

كيف يمكن التوفيق بين النسبي من الحقوق والحريات البشرية وبين المعصوم والمطلق من ثوابت الدين؟

ما هو مستقبل العلاقة بيننا وبين الغربيين، وهل يمكن الاتفاق معهم على ثوابت تعزِّز من فرص التعايش السلمي؟

وقد اهتمت مجلة (الرابطة) بهذه المناقشات حول حرية التعبير وأفردت لها مقالها الافتتاحي في العدد الماضي.

وفي هذا التحقيق حملت مجلة الرابطة أسئلتها ووضعتها أمام ثلاثة من الأكاديميين والمثقفين هم الدكتور مزمل صديقي الرئيس السابق لاتحاد مسلمي أمريكا الشمالية والدكتور قطب مصطفى سانو وكيل الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا لشؤون البحث العلمي والأستاذ سيدي الأمين نياس مؤسسة شبكة (والفجر) الإعلامية بالسنغال، فكانت الحصيلة التالية:



سانو: تصرف الصحيفة الدنمركية إساءة لكل الشرفاء والمخلصين

حدود حرية التعبير

يرى د. سانو أن حرية التعبير لها حدود واضحة، ويبدي استغرابه من تهجم الصحيفة الدنمركية على رسول الله الكريم صلى الله عليه وسلم، ويقول: كل حرية لها حدود وكل شيء ليس محدوداً بضوابط معينة يتحول إلى فوضى. للحرية حدود ومن أهمها أن حرية الإنسان تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين. من تجاوزوا هذه الحدود اعتدوا على نبي له مكانته في قلوب الملايين.

المبادئ والقيم التي تقرها الأمم المتمدنة والمتحضرة ترفض الإساءة والتجريح، وما أقدمت عليه هذه الصحيفة لا يمكن القول إنه يدخل ضمن إطار حرية التعبير، إنما هو جزء من مخطط أعده بعض من يريدون المس بهذه الشخصية العظيمة. هذه الإساءة لذلك الإنسان المثالي الذي لم تعرف البشرية مثيلاً له ليست مجرد إساءة لشخصه الكريم إنما هي إساءة لكل الشرفاء والمخلصين وكل من اثروا البشرية. ما أقدمت عليه هذه الجريدة يندرج تحت بند مخالفة كل الأعراف والقيم التي تعارفت عليها الأمم والشعوب.

بدوره يقر د. صديقي أهمية حرية التعبير ويشير إلى أن الإسلام كفل هذه الحرية، لكنه يستنكر استغلال هذا الحق ذريعة للتهجم على الآخرين، ويقول: حرية التعبير بند رئيسي ضمن بنود الحريات العامة التي يتمتع بها الإنسان منذ وجوده على سطح الأرض. وقد كفل الإسلام هذه الحرية وصانها. حرية التعبير أمرٌ مقدس في الغرب ولا تملك الحكومات شيئاً للحد منها.

أما أن تتجاوز تلك الحرية كل الحدود وتصل مرحلة الانفلات والإساءة والتجريح فهو شيء غير مقبول. في الغرب هناك ضوابط صارمة وإجراءات تُتخذ في حق كل من يتجاوز حدود حريته ويتعدى على حرية الآخرين. القوانين الغربية تمنع الإساءة للأفراد والأديان والأعراق. ما أقدمت عليه تلك الصحيفة الدنمركية لا يمكن بأي حال إدراجه ضمن حرية التعبير المرعية في الغرب.



صديقي: المنفلتون في أدبهم يبحثون عن الشهرة بوسائل رخيصة

أما ما يدعيه البعض بأن حرية التعبير لا حد لها حتى ولو أدى الأمر إلى الإساءة للأديان، فذلك هراء وتغريد خارج السرب لأنه يتعارض مع معظم الدساتير والقوانين الغربية.

من جانبه يؤكد الأستاذ نياس على كفالة حرية التعبير، لكنه بالمقابل يشدّد على حقوق الآخرين، ويقول: التلاعب بالمبادئ والأسس القانونية لا يخدم البشرية، هناك حاجة إلى أسس متينة وقواعد يعمل عليها الجميع حتى نستطيع إنجاز حضارة. حرية التعبير عبارة قانونية معروفة ولها بداية ونهاية. حرية التعبير ليست ممتدة إلى ما لا نهاية. إذا كانت حرية الغير تتطلب احترامه واحترام مقدساته فينبغي عدم المساس بها. احترام الغير جزء أصيل من حرية التعبير. المعتقدات الدينية مصونة في الغرب ودليلي على ذلك أن مجرد الحديث عن السامية ممنوع عندهم. نحن المسلمين أول من نادى بحرية التعبير وعدم الحجر على آراء الناس، ولكن ذلك ينبغي أن يتم في إطار من احترام الذوق ومراعاة الشعور العام.

التناقض والكيل بمكيالين

يؤكد د. صديقي أن الدافع الحقيقي لأزمة الرسوم المسيئة لم يكن حرية التعبير، بل يرجعه إلى دوافع أخرى يوضحها قائلاً: إساءة الصحيفة الدنمركية إلى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لم يكن مبعثها حرية التعبير، إنما هي محاولة لاختبار مدى تعلق المسلمين بنبيهم صلى الله عليه وسلم وقياس رد الفعل الإسلامي، والدليل على ذلك أن الوسائل الإعلامية الغربية لم تتجرأ على الإساءة للمسيحية أو اليهودية. الصحف الغربية لا تجرؤ على الإساءة لليهود أو إنكار الهولوكوست لأنهم يعلمون أن اليهود تسربوا إلى المنظمات الدولية ومراكز صنع القرار العالمية. المسلمون لا يزالون يقفون في موقع المتفرج ونريد من الآخرين أن يحترمونا وأن يراعوا مقدساتنا وهذا لن يحدث للأسف الشديد. إذا أردنا أن نكون أمة محترمة تجبر الآخرين على مراعاة مقدساتها ورموزها الدينية فلنتحرك ونحمي أنفسنا عن طريق القوانين.

يرى الأستاذ نياس التناقض واضحاً، ويقول: محاولة جعل اليهود فوق النقد وفي نفس الوقت طرح الآخرين على موائد الاستفزاز والتجريح عبارة عن كيل بمكيالين وهي محاولة مرفوضة. إذا كان الهدف من تجريم الحديث عن المحرقة هو عدم إثارة الفتن فحق لنا أن نتساءل لماذا إثارة المسلمين بالإساءة لنبيهم؟ هذا لا يخدم السلام العالمي أو التعايش السلمي بين الناس.

ويشير د. سانو إلى نقطة هامة وهي ضرورة العمل على استصدار قوانين دولية تحرّم التعرض للأديان، ويقول: هناك نقطة هامة يجب التنبه لها وإدراكها وهي أن عدم تعرض الغربيين عموماً والصحافة الغربية على وجه الخصوص لليهود والمحرقة ليس ناتجاً عن خوف منهم وإنما لأن اليهود نجحوا في استصدار قوانين تجرّم كل من يتعرض لثوابتهم الدينية أو مقدساتهم. العقلية الغربية ترى أن كل ما لم يجرّمه القانون أو يحرّمه يمكن الخوض فيه والتعرض له.

من هنا أرى أنه من واجب الأمة الإسلامية وقادتها ومفكريها وحكامها أن يسعوا إلى استصدار القوانين والقرارات الأممية التي تحمي مقدساتهم من عبث الآخرين. كان الغربيون في السابق يتعرضون لمسألة الهولوكوست قبل أن تمنع القوانين ذلك. لذلك على المسلمين أن يستفيدوا من تجارب الآخرين وأن يمتلكوا زمام المبادرة. هذه فرصة ومناسبة يمكن استثمارها من أجل حماية المقدسات والأديان بصورة عامة.

الفن .. مطلق الحرية أم محدودها؟

يؤكد الأستاذ نياس أهمية وضع

ضوابط للأدب ويستدل على ذلك برسالة الفن في الحياة، ويقول: الفن هو جزء من الأدب ويحتاج إلى (أدب) في تناوله وطرحه، وله حدود ينبغي مراعاتها وعدم تجاوزها. الابتذال والانحطاط لا يمتان للفن بصلة. إذا كان البعض يتذرعون بأن الفن هو طرح للواقع ولذلك يتناولون كل ما يجري في المجتمع، فعليهم ألا ينسوا أن مهمة الفن الرئيسية هي تهذيب المجتمعات وتوجيه أفرادها وتنبيههم إلى قيم الفضيلة والعفة. أرى أن الفن بالذات ينبغي أن تكون له حدود صارمة لأنه القيم على أعراف المجتمع وأخلاقه والحارس لها. البحث عن الجمال والدفع إلى حبه من أهم وظائف الأدباء وعليهم ألا ينصرفوا عنها لمجرد البحث عن الشهرة ومخالفة الآخرين.

بدوره يستغرب د. سانو منطق إعفاء الفن من ضوابط الأخلاق ويؤكد أن الفن بالذات ينبغي أن تكون له ضوابط وحدود، وذلك لأسباب يجملها في قوله: للفن حدود وكل مقولة تخالف ذلك هراء. كل شيء في الدنيا له حدود. حتى عبادة الله سبحانه وتعالى لها حدود، لذلك أمر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يصلوا ويصوموا وفي نفس الوقت أن يسعوا إلى كسب أرزاقهم ومعاشرة نسائهم ورعاية مصالح أهلهم. الحدود تضعها تعاليم الدين وقيم المجتمع وأعراف الناس وضوابط الذوق العام. ليس صحيحاً أنه ليس للفن حدود وإنما الواقع والمنطق يقولان إنه بدون حدود تصبح الدنيا غابة ويختلط الحابل بالنابل. ثم إن الفن وسيلة لغاية نبيلة هي تهذيب المجتمعات والرفع من



شأنها وصياغة قيمها فكيف لا تكون له حدود؟ هل يمكن الوصول إلى غاية نبيلة بوسيلة غير شريفة؟ من يقول إنه ليس للفن حدود لا يعرف للفن شيئاً ويجهل رسالته وأساليب تبليغها.

ويتفق د. صديقي مع الآراء السابقة ويؤكد ضرورة وضع ضوابط للأدب قائلاً: مقولة إنه ليس للفن والأدب حدود هي مقولة تناقض نفسها. كيف يكون أدباً ذلك الذي لا هدف منه سوى إهانة الرموز الدينية أو إثارة الغرائز الجنسية؟ هذا ليس أدباً، بل إثارة وفرقعات لا تلبث أن تختفي. الأدب رسالة سامية لا تقل أهمية عن التربية والتعليم ومن الضروري أن يمارسه من تأدب مع نفسه أولاً. من يدعون أنهم يسلطون الضوء على بعض فئات المجتمع نقول لهم لماذا تهتمون بالاستثناءات وتتجاهلون الأغلبية؟ من يلجأون للإثارة وتهييج غرائز الناس واستفزازهم في مقدساتهم الدينية هم باحثون عن الضوء والشهرة بوسائل رخيصة.

الغرب وتغيُّر القناعات

يؤكد د. سانو أن العقلية الغربية لا تؤمن بإطلاق حرية التعبير على عواهنها، ويستدل على ذلك بقوله: في المنطق الغربي هناك إيمان بأنه لا وجود للحرية المطلقة سواء كانت حرية التعبير أو التدين. كل الحريات مقيدة بقوانين وأعراف ومعتقدات. هذه هي الضوابط التي تحكم حرية التعبير عندهم. القوانين لها تأثير كبير في المنطق الغربي وهي التي تستطيع كبح جماح التجاوزات عندهم. هل من حق الغربي أن يقود سيارته بالطريقة التي يريدها هو ويتجاهل كل أنظمة السير المعمول بها؟ بالطبع لا. إذن كل خطواتهم محكومة بالقوانين. الفرق الواضح بيننا وبينهم أن الحرية عندنا مقيدة بالمعتقدات والدين أما عندهم فإنها مقيدة بالقوانين والأنظمة. المرجعية الرئيسية لدينا هي الدين والمرجعية الرئيسية لديهم هي القوانين.

يؤكد د. صديقي أن القوانين الغربية تصون الخصوصيات الشخصية وتقدمها على حرية التعبير، ويقول: الغالبية في الغرب ترى أن



خصوصيات الإنسان مقدسة أكثر من حرية التعبير. الخصوصيات الفردية والشخصية مصونة ومرعية. إذا تجرأ أي شخص في الغرب وأهان أي شخص آخر لأسباب دينية أو عرقية فإنه يكون معرضاً لعقوبات شديدة. القوانين أصلاً لم توجد إلا لحماية الناس ووضع حدود للمنفلتين والخارجين عن المألوف. أزمة الرسوم المسيئة خلقت نقاشاً جاداً في الغرب حول ضرورة وضع قوانين تجرِّم الإساءة لكل الأديان والرموز الدينية. وتصريحات كثير من الرؤساء والقادة عقب أزمة الرسوم المسيئة تدل على ذلك.

يرفض الأستاذ نياس إطلاق حكم واحد معمَّم على الغرب كله، ويشير إلى الاختلافات بين الغربيين قائلاً: الغرب ليس كله على رأي واحد ولا يمكن اعتباره معادياً للمسلمين ولا موالياً لهم. هناك كثير من المنصفين الغربيين الذين كتبوا عن الإسلام وأنصفوه. العقلية الغربية تؤمن بوجود حرية للتعبير ذات حدود ينبغي مراعاتها. ليس صحيحاً أن كل ذلك مجرد امتصاص لرد الفعل الإسلامي تجاه قضية الإساءة. هناك كثير من الحدود التي لا يُسمح بتجاوزها في الغرب.

التفاهم مع الآخر

يبدي د. صديقي تفاؤله من إمكانية تحقيق تفاهم مشترك مع الغرب حول حرية التعبير وإن كان يربط حدوث ذلك ببعض الشروط قائلاً: الوصول مع الغرب إلى تعريف مشترك لحرية التعبير وارد إذا ما عزّزنا الحوار الحضاري الذي بدأ بين ممثلي الأديان. هناك أصوات غير إسلامية كثيرة ارتفعت منددة بالإساءة للنبي في الصحيفة الدنمركية. هناك إدانة واضحة من الكنائس المسيحية ومن الكثير من الحاخامات اليهود في أمريكا وأوروبا. هناك مظاهرات شارك فيها رجال دين يهود ومسيحيون ضد الرسوم المسيئة. يمكن استثمار هذا المناخ والوصول إلى تفاهم مشترك حول حرية التعبير، بالذات فيما يتعلق بالأمور الدينية.

لا يستبعد الأستاذ نياس إمكانية تحقيق تفاهم مشترك مع الغربيين حول مفهوم حرية التعبير، ويقول: الوصول إلى تفاهم مشترك مع الغربيين حول حرية التعبير ممكن بصعوبة. علينا أن نعلي من قيم التسامح وأن نبرز حقيقة ديننا. هناك كثير من المتشددين الذين لا يرون في الإسلام سوى عدو تجب معاداته. لا يضرنا أن نتخذ المبادرة ونبدأ بالحوار معهم. إذا أمكن ذلك عن طريق الحوار وبواسطة هيئات المجتمع المدني فالحمد لله، إذا لم يتحقق هذا التفاهم فيمكننا اللجوء إلى المنظمات الدولية والأمم المتحدة لاستصدار القوانين التي تحمي معتقداتنا.

يختلف د. سانو مع الآراء السابقة ويستبعد أن نصل إلى تحقيق تفاهم مشترك مع الغربيين حول معنى حرية التعبير، ويبرر ذلك باختلاف المفاهيم والمرجعيات، ويقول: لا أظن أن من الممكن الوصول إلى تحقيق ذلك التفاهم. الحريات تقيدها معتقدات أو أعراف أو قوانين. لا يمكن أن نتفق معهم على هذه الأشياء. نحن نختلف معهم في الدين والأعراف والتقاليد. الجانب الوحيد الذي يمكننا عن طريقه تحقيق اتفاق معهم هو جانب القوانين. يمكن الوصول معهم إلى صيغة قانونية فقط عن طريق استصدار قرارات من الأمم المتحدة وسائر المنظمات الدولية. أما أن نتوصل معهم إلى مفهوم ثقافي عن حرية التعبير فهذا مستبعدٌ في نظري.



مصطفى سيرتش:

واثق من مستقبل الأمة الإسلامية وهذه هي الأسباب

أجرى الحوار: منير حسن منير

■ الشيخ مصطفى سيرتش، أحد الوجوه الإسلامية المعروفة على مستوى العالم الإسلامي. أما على المستوى الأوروبي، فهو من القيادات التاريخية في مجال الدعوة والجهاد المدني خاصة أيام حرب الإبادة التي شهدتها البوسنة والهرسك إبان فترة التسعينات من القرن الماضي.

يبدو متفائلاً بمستقبل الدين الإسلامي في العالم كله، وليس في الغرب فقط. ويراهن على الجيل القادم من أبناء المسلمين هناك لأنهم - كما يقول - أكثر اعتزازاً من جيلهم بهويتهم الإسلامية التي كان جيلهم «يخجل» منها!

هذا الحوار محاولة لقراءة فكر الرجل، وسبر لأغوار داعية ظل بكل المقاييس رجلاً عصرياً يفكر بأسلوب العصر ويجادل بلغته.

لا بديل لنا ولا خيار إلا النصر والمستقبل لنا



●● قلتم أثناء المؤتمر، إنكم متفائلون بوحدة هذه الأمة، ما مبعث هذا التفاؤل وتأكيده بهذه الثقة؟

● نعم قلت هذا واثقاً، لأن الأمة الإسلامية مرّت بظروف أصعب مما تمرُّ به الآن، فبقيت في وحدتها العقائدية. وأنا أرى أنه ليس لدينا مشكلة في العقيدة.

ولكن الآخرين لديهم مثل هذه المشكلة. والعقيدة الإسلامية واضحة جداً وبسيطة تتلخص في (لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله)، والذين يثيرون قضية العقيدة في الإسلام إنما يريدون الفتنة.

مشكلة المسلمين اليوم تكمن في التنظيم وليس في العقيدة، وفي كيف يتعاونون مع بعضهم، وكيف يثقون في بعضهم البعض. هذان العنصران المهمان هما الآن في أدنى درجاتهما للأسف. وعلينا استعادة الثقة فيما بيننا في كل المجالات سياسياً واقتصادياً وثقافياً. أما العقيدة، فقد أكرمنا الله تعالى بأن جعلنا أمة واحدة ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾. ومع هذا الذي نقوله من ضعف وخوار، فإن الإسلام ينتشر لأنه عقيدة تجذب الناس من خارج إطار المسلمين، وأنا لا أبالي لما يقوله الغرب، ولكني أكثر اهتماماً لما يقوله المسلمون أنفسهم عن الإسلام وبما يرونه في عقيدتهم، فما من أحد كان يتصور أن يعود الشباب إلى دينهم بهذه القوة كما يحدث الآن، فالمسلمون يعودون إلى الإسلام لأنهم يرون أن تجارب الاشتراكية والعلمانية الغربية وكل الفلسفات الأخرى لا تصلح، وأن لا فلاح ولا تقدم إلا بالإسلام.

أقول إننا نعيش الآن في أزمة، فسبعون في المئة من اللاجئين في العالم هم مسلمون. أغلب الحروب الآن تجري على أراضي المسلمين، حتى تسونامي كان ضرره بالمسلمين أكبر، الحرب الأهلية والجوع في الصومال يقعان على المسلمين. فنحن في ابتلاء شديد، لكن يجب ألا نخاف من هذه الأزمات، لماذا؟ لأن الأزمة - أي أزمة - دافع للإبداع والاختراع، فإذا كنت في راحة ودعة، فلا داعي للتفكير أو الإبداع. ولكن ما دمت داخل الأزمة، فلا بد من الإبداع والتفكير في سبيل الخروج من المأزق الذي أنت فيه. ونحن الآن نعيش (مخاض) هذا الإبداع، وهو التفكير في علاج أزماتنا السياسية والاقتصادية وغيرها. وندرس الآن موقفنا من الغرب وموقفه منّا، وموقف القوميات بالنسبة لنا، وموقفنا من المذاهب المختلفة، كل هذا نناقشه بجرأة ودون خوف. المستقبل لنا.

أما لماذا أنا متفائل، فلأن التفاؤل يدفعك لكي تتقدم، أما التشاؤم فيحدث عقدة في نفسك وعقلك فلا تستطيع أن تتصرف أو تفكر، والتفاؤل يفتح لك آفاقاً جديدة لحل المشكلات، والمتشائم يغلق الأبواب. وأعتقد أن لا خيار أمام أجيالنا المسلمة القادمة إلا النصر، ولا بديل لنا كمسلمين إلا النصر. أما متى سيكون هذا النصر، في مائة سنة، في مائتين لا أحد يعلم، ولكنه في النهاية سيأتي والأمر مسألة وقت فقط.

●● قلتم أيضاً إنكم في البوسنة قد بدأتم جهاداً جديداً وهو تنشئة أجيال تتمسك بهويتها المسلمة.. كيف ترى المستقبل هناك؟

● هذا الجهاد، أي تنشئة أجيال متمسكة بدينها وهويتها هو (الجهاد الأكبر)، فالرسول صلى الله عليه وسلم قال «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر». فالقرن الحادي والعشرين يرفع شعار المحافظة على الأرواح، وكل الأمم والحضارات تتبنى هذه الشعارات (حقوق الإنسان والمحافظة على حياته من أي تهديد)، لذلك يجب أن نعرف أن أبناءنا معرضون لمغريات وتهديدات كثيرة لم تكن موجودة في زماننا حين كُنَّا في سنهم. وتربية الشباب هي مستقبل هذه الأمة. ففي أمريكا مثلاً الشعار المطروح هو (تبديل القيادة) (Change drivers) ويُقصد به التعبئة الروحية بدلاً عن المادية، أي العودة إلى الروحانيات بعد أن طغت الحياة المادية على الحياة هناك. فمن

نعيش (مخاض) بعث جديد لأجيال أكثر اعتزازاً بهويتها



الذي يستطيع أن يقدم هذه الروحانيات ويملأ الفراغ الموجود؟ هو الإسلام بلا شك. ومن الغريب أنه عندما أذهب إلى مؤتمرات في الغرب، أجدهم كلهم يتحدثون عن الإسلام، قلت لهم مرة أنني أريد أن أسمع عن دينكم.. ذلك لأن الإسلام لم يكتشف عندهم بعد، ولكنه سيكتشف مستقبلاً من قبل الغرب، ربما ليس على أيدينا، فنحن جيل مستضعفين.. فالجيل القادم والعالم كله سيكتشف الإسلام لذلك أنا متفائل بالمستقبل.

•• بعد الحرب الطويلة التي عشتم في أتونها، كيف ترون مستقبل هذا البلد في ظل الوضع الهش للسلام الذي أعقب تلك الحرب الشرسة وغير الأخلاقية ومحاولات الإبادة ومحو الوجود؟

• أكرر مرة بعد أخرى بأنني متفائل.. إن ثمانين في المائة من أبناء المسلمين من الجيل الجديد هم من يعمرون المساجد الآن. فالمستقبل في أيديهم ويخصهم أكثر مما يخصنا. فهم ليست لديهم عقدة نفسية أو يعانون من ازدواج الهوية، فهم مسلمون يعتزون بإسلامهم.

في الماضي كُنّا - أي جيلنا - نخجل من الإسلام، ولكنهم يعتزون بهويتهم وجذورهم، ولكنهم يحتاجون إلى القيادة الواعية والرشيدة. وهم ضد البيروقراطية وضد التقوقع والجمود، ويريدون أن يكونوا أكثر نجاحاً من أقرانهم الآخرين بهويتهم الإسلامية، ونحن نشغلهم أحياناً بأشياء تاريخية وليس بمتطلبات العصر، لذلك يجب أن نغير منهجنا في تقديم الإسلام. والجيل الجديد سيكون أفضل منّا إن شاء الله. لقد كُنّا يتامى، نتبع الآخرين.. الآن أرى المستقبل أفضل من ماضينا.

•• الوجود الإسلامي في أوروبا - وأنتم جزء منه - يتعرض إلى هجمة شرسة خوفاً مما يسمونه بالمد الإسلامي داخل القارة. كيف تقيم الوضع بالنسبة للظروف التي يعيشون فيها؟

• هذا الوضع الذي ذكرته هو أفضل فرصة للمسلمين لكي يرفعوا شأنهم في القارة والغرب عامة. يجب أن ننتهز هذه الفرصة. ولكن المسلمين في هذه القارة يعانون من عصبية عميقة ضد الإسلام لأسباب تاريخية منها الحروب الصليبية. وعلى أوروبا أن تتحرر من هذه العقدة.

ويمكن القول إن مستقبل المسلمين في أمريكا أفضل من مستقبلهم في أوروبا إلا إذا فهم المسلمون الأوروبيون أنهم يجب ألا يقفوا مكتوفي الأيدي، وذلك بتنظيم أنفسهم على أساس الدين الإسلامي (العالمي) وليس على أساس عرقي أو جغرافي.



مصطفى سيرتش
شيخ بمواصفات العصر!

■ حواري مع مفتي البوسنة والهرسك الشيخ مصطفى سيرتش كان الثالث من حيث عدد المرات. وفي كل مرة ألتقيه، أراه بفكر متجدد وطرح جريء، غير أن شجاعته تظل ثابتة في طرح ما يريد.

خاض مع أخوانه الدعاة وأبناء شعبه المسلم أشرس (جهاد) في مواجهة حرب شرسة وغير أخلاقية ضدهم، حين أراد الصرب اجتثاثهم من أرضهم وإبادتهم عن بكرة أبيهم، فصمدوا في وجه المحاولة، رغم أن المجتمع الدولي قد خذلهم طويلاً، بدليل المقابر الجماعية التي تكتشف كل يوم جديداً.

حين أجريت معه الحوار كان يلبس (الجبة الأزهرية) و(الطربوش التركي) وحين قام ليتوضأ خلعهما، فبدا في ملابسه الأوروبية تحتهما بقميص أنيق وربطة عنق فاخرة.

وكان حين يدخل علينا في المركز الإعلامي يستأذن للجلوس على جهاز الكمبيوتر، يدخل على موقعه الشخصي، ويفتح بريده الإلكتروني ويرد على الرسائل أو يطلع عليها. ثم يتجول في الشبكة (الإنترنت) قبل أن يطبع مقالاته أو يرد على أسئلة صحفية بالكتابة على جهاز الكمبيوتر.

إنه شيخ وعالم بمواصفات العصر..

د. جعفر شيخ إدريس في حوار حول:

واقع الإسلام وقضايا المسلمين



إسلام أونلاين

• نبدأ مع فضيلة الشيخ في تفسير تأثير البعد الديني في الأداء السياسي الأمريكي، خاصة في الإدارة الحالية، حيث تبدو إشكالية تتباين فيها الآراء؛ هل الدين يحرك هذه الإدارة أو أنها تستغل الدين في تحقيق مصالحها ؟

• أولاً تدل الإحصاءات التي تُجرى في الغرب أن أمريكا تعتبر أكثر البلاد الغربية تديناً، يعني مثلاً عدد المؤمنين بوجود الخالق نسبة كبيرة في أمريكا، يقولون إنها ٩٥٪، مع أنها في بلاد غربية أخرى أقل من هذا بكثير، أظن أن أخفض نسبة هي في السويد. ففي مجرد الإيمان بوجود الخالق هم أحسن من غيرهم، ثم يتبع ذلك الإيمان بالنصرانية والذهاب إلى الكنيسة، والقنوات الدينية كثيرة جداً، بل يقولون إن الإحصاءات تدل الآن على أن الإقبال على الدين في ازدياد.

أما هذه الإدارة، فالذي يُقال عنها إنهم أناس متدينون، فمؤلف كتاب (بوش محارباً)، يذكر اسم الطائفة النصرانية التي ينتمي إليها، ويقول إن له كتاباً يجلس ليدعو منه في الصباح الباكر من كل يوم. فهذا يدل على أنه رجل يأخذ دينه مأخذ الجد، وسئل مرةً: من فيلسوفك السياسي ؟ فقال: المسيح.

ومعروف أيضاً عن "أشكروفت" أنه كان يعقد جلسات لدراسة ما يُسمى بالكتاب المقدس في مكتبه، حتى احتج على ذلك كثير من الأمريكان وقالوا نحن دولة علمانية، فما ينبغي أن تُستغل المكاتب الرسمية لمثل هذا. وهكذا سائرهم: باول، رامسفيلد، كوندوليزا رايس ... الخ. بل يُقال إن الصلة الأساس بين هؤلاء هي الصلة الدينية، فكلهم ينتمون إلى التيار الذي يُطلق عليه اسم (المحافظون الجدد)، وهم قوم معروفون بشدة تمسكهم بدينهم وتسخير نشاطهم السياسي لخدمته.

الخوف من الإسلام يوجه السياسة الأمريكية

الانتماء الديني حتى على المستوى الشخصي لم يبرز في الماضي بهذه الطريقة الصارخة، فإذا كان الرئيس بوش يصرح بأن فيلسوفه السياسي هو المسيح؛ فقد ذهب غيره إلى أكثر من ذلك، رئيس الأغلبية في الكونجرس يقول: أنا مهمتي أن أنشر المسيحية. بهذا الوضوح، وسمعتم عن هذا الرجل الذي هو نائب رامسفيلد، ومسئول عن المخابرات، وضابط كبير، هذا كان يذهب إلى الكنائس ويتكلم عن المسيحية وهو الذي تكلم في إحدى هذه الكنائس عن الإسلام كلاماً سيئاً؛ حتى إن المسلمين طالبوا بفصله عن عمله، لكنّ شيئاً من هذا لم يحدث. بل عندما كتبتْ عن كلامه هذا صحيفة "لوس أنجلوس تايمز": كان كل الذي قاله بوش: إن ما يقوله لا يمثل رأي الدولة.

عندما نقول إن دوافعهم دينية؛ إنما نعني في الغالب مثل هذه المواقف السلبية من الإسلام.

أما أن لهم ديناً معيناً هم متفقون عليه وداعون إليه فلا، نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن أحد العلماء الذين خبروا النصارى قوله: إنك لو سألت عشرة قساوسة سؤالاً أعطوك أحد عشر جواباً. وإذا كان هذا في زمن ابن تيمية؛ فأظن الأجوبة الآن تكون عشرين أو أكثر.

قبل مدة كتب أحدهم مقالاً عن تديّن السياسيين، وقال إن الناس في أمريكا ليسوا متعصّبين، بوش كان في طائفة كذا انتقل إلى طائفة كذا، هاوارد دين المرشّح الديمقراطي للرئاسة، يقول إنه ترك كنيسته لأنه اختلف معهم في شارع كان يرى إقامته. والكنيسة كما تعلمون ليست مجرد مكان للعبادة كالمسجد، بل هي انتماء إلى جماعة أو طائفة معيّنة، فتحول الإنسان من كنيسة إلى أخرى كخروجه من طائفة إلى أخرى. وذكر عن مرشّح آخر أنه نصراني من طائفة كذا لكن أبناءه يهود، ربما لأن أمهم يهودية.

بل إن مما يأخذونه على المسلمين ويرونه تشدداً وسيراً ضد تيار العصر (والعصر عندهم هو السائد في حضارتهم): هو أخذ المسلمين لنصوص دينهم مأخذ الجد، لأن غالبيتهم لا يعتقدون أن نصوص كتبهم هي كلام الله تعالى، وإنما هي أو معظمها كلام بشر تأثروا بالجو الثقافي الذي كان سائداً في زمانهم، فلا معنى إذن لفرض ثقافتهم على عصر مختلف عن عصرهم. لكن مشكلتهم - التي هي من علامات غرورهم - أنهم يرون أن كل دين لا بد أن يكون كدينهم أو أسوأ. ولهذا السبب قال "كلنتون" كلمته تلك الوقحة جداً؛ أنه لو كانت السيارات موجودة في زمان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لسمح لزوجاته بقيادتها. وقد قلت تعليقاً على كلامه الوقح هذا في كلمة باللغة الإنجليزية: إنه لو كان السبب الذي اعتمد عليه العلماء الذين أفتوا بعدم جواز قيادة المرأة للسيارة هو ما ذكر الشيخ كلنتون وهو عدم وجودها في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، لما حصروا المنع في القيادة! بل لقالوا إنه لا يجوز لهن ركوبها، بل لعمموا هذا على الرجال والنساء، بل لشمل المنع كل وسائل المواصلات الحديثة من الدراجة إلى السيارة إلى الباخرة إلى الطائرة أو المركبة الفضائية!

ولعل أكبر دليل على عدم أخذهم لدينهم مأخذ الجد ما حدث أخيراً في الكنيسة الإنجيلية بأمريكا، فقد اختارت هذه الكنيسة شخصاً يستعلن بانحرافه الجنسي ليكون قسّها الأكبر، وقد بلغت به الصفاقة أن جاء إلى الاجتماع ومعه صاحبه، ورغم ذلك انتُخب بنسبة ٦٠٪ من الأصوات! ولكن الأغرب من هذا أنه قال كلاماً حرصت على حفظه لكي أستدل به على اتخاذهم دينهم لعباً، قال هذا الرجل بعد انتخابه: "إن الذين عارضوا انتخابه كانوا محقّين؛ لأن هذا الأمر مخالف لتقاليد الكنيسة، ومخالف لتعاليمها، ومخالف لنصوص الكتاب المقدّس، لكن هذا لا يعني أنه خطأ"! فكنا نقول لإخواننا في أمريكا إن هذا كمثل مسلم يقول إن هذا الأمر مخالف لنصوص القرآن، ومخالف للأحاديث الصحيحة، ومخالف للإجماع، لكن كل هذا لا يعني أنه خطأ.

ولكن يبدو أن خوفهم من الإسلام هذا على نصرانيتهم

الشكلية هذه أمر قديم، فقد حكى لي أحد إخواننا السودانيين، عن رجل كان في وظيفة كبيرة في زمن "النميري"، قوله إنه عندما أعلن الرئيس النميري الشريعة الإسلامية، جاءني مندوب من السفارة البريطانية وآخر من السفارة الأمريكية، وطلبا منّي أن أبلّغ الرئيس بأن هذا البلد أصله بلد نصراني ونحن لا نقبل أبداً أن يتحوّل إلى بلد إسلامي. وقد قابلت الرئيس نميري وتحدثت معه بعد الإطاحة به، فوجدته معتقداً اعتقاداً جازماً بأن الذي أزاحه عن الرئاسة ليس الانتفاضة كما يظن الناس، وإنما هم الأمريكان، وأن السبب الأساس هو إعلانه للشريعة. فالغربيون مصابون بنوع من الهلع من الإسلام.

● ولعلّ هذا ما أشار إليه فوكوياما في نظرية نهاية التاريخ، حينما ذكر أن التحدي الفاشي والنازي والشيوعي انتهى، ولم يبق إلا التحدي الحضاري الإسلامي؛ لأن المسلمين يشعرون بأن عندهم حضارة؟

● نعم! ذكر هذا، قال كل العالم سائر في اتجاه الديمقراطية اللبرالية والرأسمالية، وذكر أن الأمة الوحيدة التي تشعر أن لديها بديلاً أحسن هم المسلمون.

إنهم يقولون الآن إن الحرب القادمة حرب أفكار، ونحن نقول إذا كانت حرب أفكار هُزمتم. إن كثيرين منهم يعتقدون - وهم محقون في اعتقادهم - بأن القوة المادية عسكرية كانت أو اقتصادية لا تكفي، فلذلك لا بد من نوع من المحاربة للإسلام ما دام هو العدو الوحيد الباقي في هذه المعركة بعد سقوط الشيوعية.

●: لكن هذه الخلفية الدينية في السياسة الأمريكية؛ ما انعكاسها على الحرب الأخيرة، يعني في العالم العربي، سواء فيما يتعلق بقضية الحرب في العراق وقبلها أفغانستان، أو الحرب على ما يسمى بـ(الإرهاب)؟

● نعم! إنهم يريدون أن يضعفوا أي مصدر يعين على انتشار الإسلام. بالنسبة لطالبان، يقول كثير من الأمريكان أنفسهم من خصوم بوش وصحبه إن المشكلة الأساسية لم تكن الإرهاب، وإن حوادث ١١ سبتمبر وإن لم تصنعها الإدارة الأمريكية، إلا أنها أعطت هذه الفئة فرصة لم تكن تحلم بها لأن ينفّذوا أجندة كانوا هم أصلاً قد أعدّوها.

بالنسبة للعراق الشيء نفسه، كثير منهم يتكلم بنوع من الزهو والبطر عن أنهم يحتلون الآن بلداً كان عاصمة المسلمين الفكرية والثقافية ومصدراً من مصادر اعتزازهم وفخرهم.

ثم إن السبب الأساس لغزو العراق، كما يعترف بذلك بعض الأمريكان حتى من الذين أيّدوا الغزو، إنما كان الخوف على إسرائيل، والخوف على إسرائيل أيضاً داخل في مسألة الإسلام؛ لأن إسرائيل هي سلاحهم الذي يحاربون به المسلمين، فإذا زالت إسرائيل، ربما يمهد هذا لانتشار الإسلام.

نعيش حالة ضعف والضغط علينا شديد

وكانوا يعتقدون أن العراق سيكون - إلى جانب ثروته البترولية - قاعدة ثقافية للفكر الغربي بعد إسرائيل. كانوا يعتقدون أنهم وجدوا طلبتهم في بلد أهله مستعدون لاستقبالهم لما عانوا من حاكمهم. كانوا يحلمون - وأظنهم ما زالوا - بأن يقيموا في العراق دولة ديمقراطية على النمط الغربي تفصل بين الدين والدولة، وتتبنى الثقافة الغربية، فتكون بذلك مثالاً تطالب الجماهير في البلاد الأخرى بأن تحذو بلادهم حذوه، وأن نفطها سيغنيهم عن الحاجة إلى السعودية حتى يتفرغوا أكثر لشن حربهم الثقافية عليها. ولفرط اهتمامهم باحتلال العراق كانوا يحذرون قومهم من أن لا يتوقعوا انسحاباً منها إذا حصل موت وتضحيات - أي أنهم لن يفروا منها كما فروا من لبنان والصومال حين استحرّ فيهم القتل .. ومما فعلته الحكومة في هذا المجال أنها أصدرت قانوناً يمنع عرض جثث القتلى من الجنود على شاشات التلفاز كما كان يحدث في الماضي.

وفعلاً ما أظن أحداً كان يتصور أن يستمر الموت بهذه المعدلات، والإدارة تصر على الاستمرار في الاحتلال. بالطبع هنالك أسباب أخرى لكنها أيضاً متعلقة بالدين. خذ البترول مثلاً الذي يرى بعض الناس أنه هو الدافع الوحيد أو الأهم لغزو أمريكا للعراق، لكنهم ينسون أن البترول له علاقة بقوة المسلمين. لعلّكم قرأتم في الصحف عن الوثائق السرية التي نُشرت، والتي بيّنت أنهم كانوا يفكرون في غزو السعودية والكويت سنة ١٩٧٣م، وأنا أذكر جيداً كلاماً لـ"كسينجر" قبل ثلاثين عاماً؛ يثبت هذا. فقد قال آنذاك كلاماً فحواه انهم لا يمكن أن يدعو أمريكا تؤثر فيها مصادفة جغرافية (يعني وجود البترول في العالم العربي الإسلامي)!

حتى الكلام عن دعم الديمقراطية وجعل العراق أنموذجاً تحذو الدول العربية الأخرى حذوه، مرتبط بهذه الدوافع الدينية، لقد ساعدوا في الماضي على وأد الديمقراطية في مصر وسوريا والعراق والسودان؛ لأنهم وجدوا أن الحركة الإسلامية ترعرعت في ظلها. وهم يقولون الآن إنهم كانوا مخطئين، وإنهم يريدون الآن تشجيع الديمقراطية، لكن السبب واحد؛ وذلك أنهم يرون الآن أن الديمقراطية هي التي ستُذهب بريق الحركات الإسلامية، وتقرِّب الجماهير من نمط الحياة الغربية. ويريدون الديمقراطية أيضاً لأنهم يرون أن الدكتاتورية هي التي ساعدت على الإرهاب؛ لأن المواطنين أصبحوا يرون أن أمريكا هي التي تساند الحكومات التي تذلهم وتخنق أنفاسهم، لذلك يتوجّهون بجام غضبهم إليها.

يتساءل بعضهم: ماذا نفعل إذا أتت الديمقراطية بحكومات غير موالية لنا ؟ يقولون: لا، نحن سنعمل على أن تكون الديمقراطية لمصلحتنا.

بل إن هنالك سبباً دينياً مباشراً للاهتمام بأحوال العالم الإسلامية، ولا سيما الجماعات الخيرية وجماعات الدعوة والمناهج الدراسية؛ لأنهم يرون أن هذا كله ذو علاقة وثيقة بسرعة انتشار الإسلام في أمريكا، وهو أمر يخيفهم. فالمسألة إذن ليست محصورة في محاربة الإرهاب بمعنى العدوان المسلَّح، بل تشمل كل نشاط ثقافي علمي يساعد على نشر الإسلام أو حتى تحسين صورته في الغرب.

● **لكن عامة الشعب الأمريكي هل هو منسجم مع السياسة الأمريكية ؟**

● تركيزنا في معظم ما قلناه كان على تلك الفئة المسماة بـ"المحافظون الجدد"، والتي تمثل أمريكا رسمياً الآن، لكن من الإنصاف أن نذكر أننا عندما عمّمنا القول لم نكن نعني كل فئات الشعب الأمريكي، فهذا الشعب - كما يقول بعض المختصين باستطلاعات الرأي العام - هو الآن منقسم انقساماً حاداً لم يشهد له مثيل في تاريخه، حتى أن بعضهم صار يتحدث عن شعبين أو أمتين. لكن إذا فصّلنا القول عنهم بعض الشيء فيمكن أن نقول إن بعضهم يؤيد سياسة حكومته للأسباب التي تذكرها له لا لدوافعها الحقيقية، وكثير من هؤلاء يتحول متى ما استبانت له الحقيقة. دوافعهم ليست كدوافع بوش وأشكروفت، ولكن هذه الإدارة استغلت محرِّكاً من أقوى المحركات في البشر، هو حرصهم على أن يعيشوا آمنين حتى لو كان ذلك على حساب حريتهم وأكلهم وشربهم. حتى خصوم هذه الإدارة يعترفون بأنها نجحت في استغلال هذه المسألة النفسية استغلالاً كبيراً. ماذا تتوقع من إنسان يُقال له إن هؤلاء القوم هم سبب الرعب والخطر الذي يحدق بك وببلدك ؟

ومما ساعد على ذلك شيء معروف عن الشعب الأمريكي خاصة، هو جهله الشديد بالعالم. وهناك جماعات لبرالية لعل أكثر من يمثلها من المرشّحين الديمقراطيين هو "هاوارد دين". فهؤلاء خلافهم مع المحافظين الجدد ليس خلافاً سياسياً بالمعنى الضيِّق، بل هو خلاف نابع من جذور أيدلوجية، فهذا الرجل كان هو الوحيد الذي وقف صراحةً ضد شن الحرب على العراق، وهو الوحيد الذي صرَّح بأن على الولايات المتحدة أن تكون متوازنة في موقفها من الفلسطينيين

الغربيون يعتقدون أنهم أحسن الناس عقلاً وقيماً وفكراً !

والإسرائيليين، ويقول إنه يمثل عدداً كبيراً من المثقفين لأن الاتجاه اللبرالي هذا يشيع بينهم أكثر من شيوعه بين عامة الأمريكان، وهم أكثر معرفة بالعالم وقضاياه من بقية مواطنيهم، ولكنهم لا يمثلون أغلبية الشعب فيما يبدو.

ولكن عندما نقول إن دوافعهم في حربهم لنا دينية؛ لا نعني أنهم سيجعلون هذه الحرب همهم الأوحد، ويضحون في سبيلها بكل مرتخص وغال، بل يبدو أنه إذا كان هنالك أمل في أن لا ينجح حزب بوش في الانتخابات القادمة؛ فلن يكون بسبب رفض الناس لسياسته، بل سيكون لأسباب اقتصادية إذا ما تدهور الاقتصاد، أو لكثرة عدد الموتى. سيقول كثير من المعترضين إننا بحساب الكسب والخسارة لم نكسب من هذه الحرب ما وعدنا به بل كنا نحن الخاسرين.

● لكن هذه السياسة هل المتوقع أن تتغير مع الحزب الديمقراطي، أو أن القضية عبارة عن استراتيجية للسياسة الأمريكية ليست مرتبطة بالحزب الحاكم؟

● هذا سؤال صعب، لكن الذي يبدو أنها لن تتغير تغيراً كاملاً، لأن من أوائل الناس الذين أيّدوا بوش، كلينتون، وكلينتون قائد ديمقراطي كبير، لكنه أيضاً من الذين يتحدثون عن الإسلام حديثاً سلبياً من منطلق لبرالي لا منطلق ديني. وكان قد ألقى محاضرة مهمة في جامعة "جورج تاون" قال فيها كلاماً فحواه أن المسلمين يعتقدون أن الحق كله معهم، ولذلك يستهينون بحياة من يخالفهم ويبيحون قتلهم. وقد كنت من الذين ردوا عليه في عدة أحاديث بيّنت فيها أن كيلنتون ينساق مع خطأ شائع هو الخلط بين الموقف من الاعتقاد والموقف من المعتقدين، فنحن لا نتردد - في مسألة العقائد - في القول بأن الحق معنا، وأن كل ما خالف الإسلام فهو باطل، لكن هذا لا يعني - كما ظن كيلنتون وغيره - أننا نستنتج من هذا أن كل من خالفنا يستحق أن يُقتل، بل نقول إن حقه علينا أن ندعوه ونجادله ونعامله معاملة حسنة ما دام مسالماً، ولا نلجأ لحربه إلا إذا كان هو الذي يلجأ إلى الحرب.

وموقفنا في مسائل الدين هو موقف كل إنسان عاقل عرف الحقيقة في أمر ما؛ إذ لا بد له من الاعتقاد بأن من خالفه لا بد أن يكون مبطلاً، سواء كانت الحقيقة التي عرفها فيزيائية أو بيولوجية أو جغرافية أو غيرها، فلا أحد عاقل يقول أنا أعرف أن الأرض مكوّرة، لكن قد يكون الذي يقول إنها مسطّحة على حق أيضاً. ولا أحد عاقل يقول إن من يخالفني ويجهل هذه الحقيقة وينكرها يستحق مني عقاباً.

فكلينتون من الذين قالوا كلاماً كهذا، ومحاضرته في جدة تدلكم على عدم احترامه للمسلمين ودينهم، وما أظنه إلا قد خرج منها أكثر احتقاراً للمسلمين بعدما رأى التصفيق الذي قوبل به كلامه. وإذا كان هذا قول كيلنتون، ففي أقوال المرشحين للرئاسة الآن كثير مما يدل على عدم احترامهم للمسلمين، وتأييدهم الكامل لإسرائيل مهما عملت.

العلمانيون عندنا نوعان.. وللغرب طابور خامس داخل بلادنا

ولذلك فمع ظني بأن السياسة ستتغير إذا ما جاء الديمقراطيون، إلا أنني لا أظن أنها ستتغير تغيراً كاملاً، فسياسة الديمقراطيين لن تكون قائمة على أساس ديني بالمعنى الإيجابي، وموقفهم من الحريات والتشدد في فصل الدين عن الدولة سيكون أحسن.

● تحدثتم فضيلة الشيخ قبل قليل عن حرب الأفكار، وفي بداية الحملة على العراق تحدث الرئيس بوش عن تغيير في منطقة الشرق الأوسط في خلال السنوات العشر القادمة، وبعدها أطلق وزير الخارجية الأمريكي "كولن باول" مبادرة الشراكة الأمريكية الشرق أوسطية لتطوير منطقة الشرق الأوسط؛ فما هي الرؤية الأمريكية لمنطقة الشرق الأوسط بشكل عام؟

● الرؤية الأمريكية بالنسبة للعالم كله هي رؤية غربية لكن فيها مبالغة بالنسبة للأمريكان، وهم يريدون للناس أن يكونوا مثلهم، وأن يحذو حذوهم، إذا كان عندهم دين فينبغي أن يفهموا الدين كما فهموا هم دينهم،

قيمهم الخلقية ينبغي أن تكون مثل قيمهم، نظامهم السياسي ينبغي أن يكون مثل نظامهم، مع شرط واحد هو أنهم يجب أن يكونوا مع ذلك موالين لأمريكا. رغبة الناس بل حرصهم؛ أن يكون سائر الناس مثلهم حتى في الأمور التافهة، بل حتى فيما يعلمون أنهم فيه على باطل، فالناس لا يأنسون إلا لمن كان على شاكلتهم، ألم يقل الله تعالى ﴿كذلك زيَّنَّا لكل أمة عملهم﴾ الأنعام: ١٠٨، ألم يقل سبحانه ﴿ودُّوا لو تكفُرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ النساء: ٨٩؟! بل ألم يقل ﴿ودَّ كثيرٌ من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبيَّن لهم الحق﴾ البقرة: ١٠٩؟! ثم إن حالنا وحال كثير من الأمم غير الغربية صار فتنة للغربيين، جعلهم يعتقدون أنهم فعلاً أحسن من سائر الناس عقلاً وقيماً وفكراً ومقدرة على إدارة شؤون الحياة، وإلا فلماذا يقول لهم الناس إنهم يريدون أن يكونوا مثلهم؟

ثم هناك سبب آخر هو أن أمريكا فقرها بين عينيها، فهم في خوف شديد وهلع من أن يفقدوا هذه القوة وهذه المكانة العالية، فهنالك قوة وغرور، وفي الوقت نفسه هلع وخوف، ولذلك تجدهم حريصين على أن يقضوا على كل بادرة يرون فيها تهديداً لقوتهم ومكانتهم، سواء كانت بادرة عسكرية، وهذا هو السر فيما يُسمى بأسلحة الدمار الشامل، أو بادرة ثقافية. فهم يعتقدون أن قوتهم الحالية لا تتمثل فيما يسمونه بالقوة الصلبة - قوة السلاح والاقتصاد - التي يعترف الناس كلهم بتفوقهم فيها، بل يعتقدون أنهم أقوياء فيما يسمونه بالقوة اللينة أيضاً، أعني القوة الثقافية. فلا يرون لأحد غيرهم أن ينافسهم في أي من القوتين حتى لو كانوا إخوانهم الأوروبيين. وإذا لم يكن العالم العربي ذا قوة صلبة فربما تمثل قوته اللينة (الإسلام) خطراً. لذلك ترونهم بدؤوا يزيدون من اهتمامهم بنشر ثقافتهم في عالمنا العربي، فمجلة نيوزويك تُطبع الآن باللغة العربية، قبل أيام رأيت مجلة اسمها (السياسة الخارجية) مترجمة من الإنجليزية، وسمعت أن وزارة الخارجية ستصدر جريدة خفيفة اسمها (هاي)، وهناك إذاعة (سوا)، ولذلك انتقد بعضهم حكومة بوش في تضييقها على الطلاب العرب ولا سيما السعوديين، قالوا كيف سنؤثر فيهم إذا كنا سنمنعهم من الدراسة عندنا؟! وأظنهم لذلك سيغيرون هذه السياسة، ربما يراقبون الطلبة أكثر لكن سيفتحون الباب من جديد لهم.

● لكن يُلاحظ بأن التيارات الليبرالية والعلمانية في بلادنا الإسلامية والعربية تؤيد توجهات التغيير الأمريكي، ومن الضغوط التي تواجه العالم الإسلامي، أن هناك توافقاً فكرياً بين الأجندة الأمريكية والأطروحات العربية العلمانية، إلى أين سوف يصل هذا الحال؟

● لعل من الإنصاف أن نقول إن العلمانيين عندنا نوعان، فنوع عندهم وطنية يرون أن هذا بلدهم، ولا يريدون له أن يكون تابعاً من الناحية السياسية والاقتصادية وغيرها لا لأمريكا ولا لبلد آخر، بل بعضهم فيما يبدو قد خاب ظنه في أمريكا وربما في الغرب بصفة عامة، اعتقادهم بأنهم مثال للديمقراطية والحرية وسائر القيم التي كان يربط بينها وبين العلمانية، لكنه الآن يرى أن الأمر ليس كذلك.

النوع الآخر هو الذي ينطلق - والعياذ بالله - من كراهيته للإسلام، لقد كنا نقول لبعض زملائنا أنتم هدفكم فقط هو محاربة الإسلام. ولذلك حتى اليساريون منهم الذين كانوا في الماضي يعدون أمريكا أكبر عدو؛ هم الآن بعدما سقط الاتحاد السوفييتي صاروا مع الغرب، بل صار كثير منهم كالعملاء له، وذلك لأنهم ضد الإسلام وليسوا مع شيء معين.

فللغرب إذن قوة - طابور خامس - في داخل بلادنا، إنهم من قومنا ومواطنون مثلنا من أبناء جلدتنا، يتكلمون لساننا ويعيشون بيننا، لكنهم موالون لأعدائنا.

ومما يساعدهم على هذا أنه حتى أصحاب الدين منا صار كثير منهم متأثراً بفكرة الوطنية، فهو يرى أنه ما دام الشخص من أبناء وطنه فلا بد أن يكون ولاؤه لهذا الوطن حتى لو كان معروفاً بكفره وردته، بل إننا صرنا - تبعاً للتأثر بالثقافة الغربية - نخشى من وصف الإنسان بالكفر ما دام مواطناً يتكلم بلساننا واسمه كأسمائنا مهما قال أو عمل. فلم يعد هنالك حد فاصل بين المؤمن والكافر في البلاد الإسلامية. وكل هذا من مصلحة الغربيين ولا سيما الولايات المتحدة، وخاصة

إن كثيراً من هؤلاء الموالين لها هم أصحاب النفوذ في السياسة والاقتصاد والإعلام والمؤسسات العسكرية.
إن المعتدي لا يستطيع أن يغزو بلداً ويحل بها آمناً لكي يسيِّر أمورها، إلا إذا وجد في تلك البلد من يواليه ويعينه، حدث هذا في الماضي ويحدث الآن، حدث هذا في أفغانستان ويحدث الآن في العراق. وكلما كثر عدد هؤلاء وتمكنوا، كان الاحتلال أهون على المعتدين.

● لكن على المدى البعيد هل تتوقعون نجاح المشروع التغريبي في البلاد العربية ؟

●يعتمد هذا، والله أعلم، أولاً على وعي المتدينين وفقههم ونشاطهم، وإدراكهم للخطر الذي يحدق الآن ببلادهم، فإذا أدركوا هذا ركَّزوا على القضايا الكبيرة المؤثرة فعلاً، والتي هي بحمد الله تعالى محل إجماع بينهم، ولم ينشغلوا عنها بما هو أقل منها خطراً. كل هذا من الفقه، لأن الفقيه هو الذي يعرف كيف يضع الأمور في نصابها، يقدم ما يقدم في الوقت المعيَّن، ويؤخِّر ما يؤخِّر وكذا. فإذا ما أدرك المستمسكون بدينهم أن عدوهم لا يفرق بينهم، وأنهم جميعاً هدف؛ أدركوا أن عليهم أن يتعاونوا ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ونسوا في سبيل ذلك انتماءاتهم الجماعية والحزبية، ولم يجعلوها معيار الحكم على الناس في الصدق بالاستمساك بالدين.
لماذا لا نتعاون مثلاً على تقديم حلول إسلامية عملية لقضايانا المعاصرة، بل لقضايا عالمنا، ونثبت بذلك أن عندنا فعلاً ما نقدمه ونعتز به، ولا نحتاج إلى أن نكون دائماً مقلدين، وإن كنا مستفيدين من تجارب غيرنا ؟! رجائي أن نؤثر بذلك في الغرب نفسه وليس فقط على العلمانيين في بلادنا.
إن كثيراً من العلمانيين من النوع الأول الذي ذكرته قد رجعوا لدينهم وصاروا من خير الدعاة إليه، فأنا مع دعوتي للحذر منهم لست يائساً من أمرهم. ومن الأمور المبشِّرة في هذا الصدد ما لاحظه كاتب ومفكر فلسطيني اسمه "طيباوي"، كان يكتب في الخمسينيات والستينيات الميلادية باللغة الإنجليزية في بريطانيا، لاحظ هذا الكاتب - عليه رحمة الله - أن هنالك ظاهرة في العالم الإسلامي، هي أن كثيراً من المثقَّفين ممن يكونون في شبابهم بعيدين عن دينهم ومتأثرين بالفكر الغربي، لا يلبثون أن يعودوا إليه مع كبر سنهم وازدياد علمهم وعقلهم وتجاربهم. وأقول إن ملاحظته هذه ما زالت صادقة، تدل عليها شواهد كثيرة فيمن نعرف من المثقفين في مصر والسودان مثلاً، نعرف في هذه البلاد أناساً كانوا من قادة الشيوعيين مثلاً ثم هداهم الله تعالى، حتى قال لي أحدهم إن الروس كانوا قد لاحظوا هذا، وقالوا لهم أنتم الشيوعيون السودانيون لا فائدة تُرجى منكم. يكون الواحد منكم شيوعياً في ما بين العشرين إلى الخامسة والثلاثين، فإذا ما تجاوز ذلك ذهب إلى الحج!

● يعني هل الصحوة الإسلامية بمختلف تياراتها تفقه هذا الصراع وعلى مستوى التحدي ؟

● لا، أبداً، ومن مشكلاتنا، سواء في الصحوة الإسلامية أو الدراسات الإسلامية أو كذا، أننا عزلناها عن الواقع، حتى الدراسات الإسلامية في الجامعات تتناول كثيراً من الدراسات الإسلامية وكأنها تاريخ لا صلة له بواقع الأمة، ولذلك صار كثير من أفاضل علمائنا يجيدون من علوم الشريعة تلك التي لا تتغير مع الزمن، وهي بحمد الله كثيرة ومفيدة، بل هي أساس الدين فجزاهم الله خيراً. لكن علماءنا لم يكونوا في الماضي كذلك، فهم قد علموا أن في الدين أشياء تكفَّل الله تعالى ببيانها في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وأشياء ندب الناس إلى معرفتها، فنحن ركَّزنا في دراساتنا الرسمية على النوع الأول، وهو كما قلت الأهم والأساس لغيره، لكنه مع عظم قدره لا يكفي لتسيير حياة بشرية اجتماعية، ولذلك ندبنا الله تعالى للاهتمام به، وعلم أنه في نطاق قدراتنا وإمكاناتنا. لكن الكثيرين منَّا عدوُّا هذا من أمور الدنيا التي لا شأن لهم بها، وقد أدَّى هذا إلى فتن وعواقب وخيمة، بيد أننا بدأنا الآن نسير في الطريق الصحيح، ونسد هذا النقص في ثقافتنا الإسلامية، فكثير من الذين تخصصوا في علوم مثل الاجتماع والتاريخ والاقتصاد والسياسة، بل والعلوم الطبيعية والفلسفية، ثقَّفوا أنفسهم ثقافة إسلامية. وكثير من الذين لم ينالوا حظاً من هذه الدراسات في معاهدهم وجامعاتهم الإسلامية؛ نالوا قدراً كبيراً منها بمجهوداتهم الفردية. لكننا ما زلنا بحاجة أكثر إلى معرفة العالم الذي نعيش

فيه، وإلى التفكير في طريقة التعامل معه، بطريقة مفصَّلة لا تعتمد فقط على المبادئ العامة والشعارات. فكما أننا احتجنا إلى أن نفصل في أمور العبادات، بل وأمور العقيدة، فنحن محتاجون إلى أن نفصل في الطريقة التي نتعامل بها مع عالمنا. إذا عرف المسلم العالم الذي يعيش فيه، وعرف الخطر الذي يواجه المسلمين، وعرف مدى ضعفهم بالنسبة لأمم الغرب؛ كان هذا قميناً بأن يوقظه من سباته، يشحذ همته ويدفعه لأن يستفرغ وسعه في نصرة دينه وأمته بحسب ما أعطاه الله تعالى من إمكانات، وهيأ له من أسباب، إن من أسوأ الغفلات أن يظن الإنسان أن حدود العالم هي حدود البلد الذي يعيش فيه ولا يدري الأخطار المحيطة به.

● ما زال الحديث في الصحوة الإسلامية، ربما في الفترة الأخيرة أصبح التيار السلفي في واجهة الصراع مع الغرب ؟

● الحقيقة أن هذا ليس بالأمر الجديد، وإن كان قد صار الآن أكثر ظهوراً. حدَّثني قبل أكثر من خمسة عشر عاماً أحد إخواننا من قادة هذا التيار في الولايات المتحدة أن المخابرات اتصلت به، فقال لهم لماذا أنتم مهتمون بنا، فنحن أناس لا دخل لنا بالسياسة ولا عمل لنا إلا تعليم الناس العقيدة ؟! قال فكان جوابهم نحن نعرف هذا، ولكننا نرى أنكم أنتم الخطر! أو كلاماً هذا فحواه.

على الدعاة إذن أن يستمروا في الاستمساك بدينهم ودعوتهم، وأن لا يخطر ببالهم أنهم يمكن أن يرضوا أعداء دينهم بغير التنازل عنه، كما قال تعالى عن المصرِّين على باطلهم من اليهود والنصارى ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ البقرة: ١٢٠، قلت المصرِّين لأن الآية ليست على عمومها؛ إذ لو كانت شاملة لكل فرد يقول إنه يهودي أو نصراني لما آمن منهم أحد، فكيف ونحن نعرف أن الكثيرين منهم ما زالوا يسلمون، وكيف ونحن نرى الكثيرين منهم يساعدون المسلمين ويدافعون عنهم ؟! من ناحية أخرى هذا السلوك ليس قاصراً على اليهود والنصارى، بل هو شامل لكل أنواع المشركين المصرِّين على باطلهم مهما تعددت أديانهم واختلفت أسماؤهم من شيوعيين وعلمانيين. لكن عدم المداهنة وعدم التنازل لا يعني إهمال أقوالهم أو عدم الرد على شبهاتهم. وإذا كانوا يأخذون على الأفراد منا أو على جماعاتنا أموراً نحن نعلم أنها مخالفة لديننا؛ فيجب أن نعترف بأنها خطأ، لأن المهم هو الدفاع عن دين الله تعالى لا عن تصرفاتنا.

إننا نعيش في حالة ضعف والضغط علينا شديد، لكن لا بد من الصبر والاستعانة بالله تعالى على أخذ الدين بقوة، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا توفيق إلا بفضل الله، ألم يقل الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلاً. ولولا أن ثبَّتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾ الإسراء: ٧٣-٧٤ ؟! هذه آية مخيفة جداً، لأنه إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد كاد ولم يفعل، وإذا كان ما كاد أن يفعله ولم يفعله شيء قليل، فما بالنا نحن ؟

إسرائيل هي السلاح الذي تحارب به أمريكا المسلمين

ثم علينا نحن المؤمنين بالطريق الصحيح أن نمشي فيه ولا نحزن كثيراً لمن يتخلَّف، فقد نهانا ربنا سبحانه عن الحزن، والحزن عاطفة سلبية، قال العلماء إن الحزن لم يرد في كتاب الله تعالى إلا منهياً عنه أو تقريراً لأمر واقع، فلم يرد مأموراً به ولا مثنى على فاعله.

● هناك دعوات قوية جداً في العالم الإسلامي لتجديد الخطاب الديني، وتتبناه بعض المؤسسات الرسمية، لكن أيضاً بعض أبناء الصحوة الإسلامية لهم دور كبير جداً في هذا، فهل يمكن أن يكون لذلك تأثير في قواعد الصحوة ؟

●لا، إذا كان الخطاب بمعنى أن تكلِّم الغربيين أو المثقفين عندنا أو كذا أو كذا بطريقة يفهمونها، فهذا طبعاً ما تميَّزت به الصحوة الإسلامية.

نحن عشنا في السودان مثلاً في زمان كان الذي يدرس

عندنا في المدرسة أو الجامعة لا يستطيع أن يقرأ الجلالين؛ لأنه لا يفهم لغته، فعندما جاء رجل كـ(سيِّد قطب) وكتب بلغة يفهمها الناس؛ انتشر كتابه بين هذه الفئات، فإذا كان المقصود بهذا هو هذا فلا شيء فيه. فنحن مأمورون بأن نخاطب الناس بما يعقلون.

• لكنهم يقصدون تمييع أحكام الإسلام ؟

• التمييع هو ما قال الله تعالى عنه ﴿ودّوا لو تُدهن فيُدهنون﴾ القلم:٩، إن مهمتنا أن نبلغ دين الله تعالى كما هو، وأن نبذل وسعنا في بيانه وتحبيبه إلى الناس، لكن التحبيب لا يعني المساومة أو التبديل، قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿يا أيّها الرسول بلِّغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلَّغت رسالته﴾ المائدة:٦٧، نعم إن الذين يكرهون ما أنزل الله تعالى سيفرحون بتغييره، ويوالون من يفعل ذلك ويمدحونه، كما قال تعالى في آيات الإسراء التي ذكرناها آنفاً ﴿وإذاً لاتخذوك خليلاً﴾ لإسراء:٧٣ .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا أئمةً في الاستمساك بدينه، وأن يوفِّقنا بالوفاء بشرطي هذه الإمامة ﴿وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾السجدة:٢٤، لا بد من الصبر، ولا بد من اليقين، أما إذا كان الإنسان متردداً وجزعاً خائفاً، فإنه لا ينصر ديناً ولا يقمع عدواً.

• اذا تحولنا الى العراق ، الوضع فيه لا شك أنه في غاية التعقيد، والأيدي الأمريكية تعبث في العراق بشكل واسع، والسنة ربما يكونون هم من أقل الناس تحركاً في مثل هذه الأحداث، فما هي رؤيتكم لأوضاع أهل السنة تحديداً في العراق ؟

•إذا قلنا إن المستهدف في هذه الحملة الجديدة الجائرة على الإسلام؛ فهم في المكان الأول الذين يمثلونه تمثيلاً صحيحاً، فمن المعلوم أن أقرب الناس إلى هذا التمثيل الصحيح هم أهل السُّنة على درجات متفاوتة، وقد تكلَّم هؤلاء الأعداء كثيراً عن أهل السُّنة حتى قبل الغزو، وذكروا أن من أهدافهم إنهاء حكم ما أسموه بالأقلية السُّنية في العراق، فهم في النهاية أصدقاؤهم الشيعة. وإذا كان أهل السُّنة هم أقرب الطوائف الإسلامية إلى حقيقته؛ فإن كل من بعد عنهم كان أبعد عن الدين الصحيح، وهذا يشمل طوائف مثل الشيعة وغيرهم من أهل الأهواء، كما يشمل المارقين عن دين الله.

لقد أدرك كثير من الغربيين قوة هذا الدين لما رأوا مقاومته للشيوعية، رغم أنهم كانوا آنذاك قد استفادوا من هذه المواجهة لكنهم ربما يكونون قد قالوا لأنفسهم إذا كان هذا الدين قد وقف ضد الشيوعية كما لم يقف أي دين ولا أي عقيدة أخرى في العالم، فهو الذي يقف الآن ضد الفكر الغربي، وأن الذي يمثل هذا الموقف الصلب هم أهل السُّنة، فلا بد إذن من العمل على إبعادهم وإضعافهم.

مشكلتنا أننا قد عزلنا الصحوة عن الواقع

• ما وصيتك لعلماء السُّنة في العراق على وجه التحديد، وعموم المسلمين في العراق ؟

•يبدو أنهم - حتى من غير وصية من أمثالي - قد أدركوا أنهم لا بد أن يتجمعوا، وأن يكون لهم ما يشبه التنظيم والقيادة؛ لأن الناس إذا لم يفعلوا هذا لا يستطيعون أن يؤثروا تأثيراً كبيراً. لكن المشكلة في التنظيم أن العمل يكون فيه مكشوفاً تسهل محاربته. فلا بد إذن من نوعين من العمل السياسي الدعوي الواضح المكشوف، ولا بد أيضاً من أشياء لا تُعلن، وهذا موجود في العالم كله، الحكومات البريطانية والأمريكية ما كل سياساتها معلنة، ولذلك يقول لك الأجندة الخفية وكذا، فلا بد أن يكون لأهل السُّنة في العراق مثل هذه الأجندة الخفية.

ثم إن أهل السُّنة في العراق هم الآن رأس الرمح في هذه الحرب الحضارية الجديدة، لا بد إذن من إعانتهم والوقوف معهم كلٌّ بحسب استطاعته، ونحن حين نفعل هذا، لا ندافع عن العراق فحسب، ولكن ندافع عن أوطاننا أيضاً، فالعدو يقاتلنا كافَّة.

نسأل الله تعالى العون والنصر وأن لا يجعلنا فتنةً للذين كفروا وظلموا.

بعد مرور ستة قرون على وفاة العلامة ابن خلدون

ما مدى الصحة في فلسفته للتاريخ؟!





بقلم : محمد وقيع الله

■ تستعيد الأوساط الثقافية الغربية والعالمية في هذه الأيام ذكرى فيلسوف التاريخ العظيم عبد الرحمن بن خلدون، بمناسبة مرور ستمائة عام على وفاته ، وبينما يستفيض أهل الفكر والنظر في ذكر مآثره العلمية، من دون أن يوفوه حقه في الريادة والأصالة ، فإنهم يغفلون كذلك أن يذكروا مصادر إلهامات عبقريته الإسلامية القويمة. وكأنما تواطأ هؤلاء المقرظون على الزعم بأن فكر ابن خلدون كان انخلاعاً تاماً عن الأصول الإسلامية، وأنه مثّل جسراً يعبر عليه المفكرون من بعده فينقلهم من العوالم الإسلامية إلى رحاب العلمانية أو اللادينية.

في هذا المقال ننظر إلى ابن خلدون في إطاره الإسلامي الحقيقي، لنتبين مدى استمداده من المنابع الإسلامية ومدى التزامه بنصوص وهدي الشرع الحنيف.

عاش عبد الرحمن بن خلدون في نهاية عصر الألق الحضاري الإسلامي (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ / ١٣٣٢ - ١٤٠٦ م) ، وجاء كتابه الرائد - المقدمة - عصارة خالصة لدراساته وتأملاته الطويلة في فلسفة التاريخ والسياسة ، وأصبحت قوانينه التي أرساها في ذلك الكتاب تأسيساً لعلم العمران ، أو علم الاجتماع بالتعبير الحديث . لقد كان ابن خلدون سابقاً لعصره بقرون ، كما كان سابقاً لأقطاب فلسفة عصر النهضة الأوروبية من أمثال مكيافللي وديكارت ومونتيسكيه وسبينوزا وهوبز، وذلك في تحليلاته للطبيعة الإنسانية ، والسببية التاريخية ، وتفسير أسباب نشوء وانهيار الدول.

وفي نص لكبير فلاسفة التاريخ في هذا العصر ، البروفسور أرنولد توينبي ، عن (مقدمة ابن خلدون) ذكر بأن: " صاحبها قد تصور وصاغ فلسفة للتاريخ هي بلا شك أعظم عمل من نوعه تمكن عقل إنساني من ابتكاره في أي زمان أو مكان " . وكفى بتلك شهادة تنبئ عن تفوق ابن خلدون على سائر السابقين واللاحقين في هذا المضمار العتيد.

ضرورة العصبية في النهضة والحضارة :

وفي الحقيقة فإن ابن خلدون كان رائداً لتوينبي نفسه في المنهج الفلسفي التحليلي الذي أقام عليه كتابه العظيم (دراسة التاريخ) ، من حيث النظر المنتظم الذي يتناول أداء الحضارات في مراحل نشأتها ونضجها وتدهورها. فنظر ابن خلدون إلى التاريخ الإنساني يصوره على أنه حركة انتقال دائمة من حالة البداوة، إلى حالة الحضارة، ثم التحلل والانهيار. وفي تقدير ابن خلدون فإن ذلك الانتقال يتم دائماً عبر مؤسسة الدولة. حيث إنها المؤسسة التي قامت أساساً لتحقيق حاجات الإنسان إلى العيش الجماعي الآمن وحفظ النوع وعمارة الأرض : فـ " إن البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم إلا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضرورياتهم ، وإذا اجتمعوا دعت الضرورة إلى المعاملة ، واقتضاء الحاجات ومد يد كل واحد منهم إلى حاجته ، يأخذها من صاحبه لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان ، بعضهم على بعض . ويمانعه الآخر عنها بمقتضى الغضب والأنفة ومقتضى القوة البشرية في ذلك ، فيقع التنازع المُفضي إلى المقاتلة ، وهي تؤدي إلى الهرج ، وسفك الدماء ، وإذهاب النفوس ، المُفضي ذلك إلى انقطاع النوع ، وهو ما خصه البارئ سبحانه بالمحافظة ، فاستحال بقاؤهم فوضى دون حاكم يزع بعضهم عن بعض " (المقدمة، دار الفكر، بيروت، دت، ص ١٨٧). وهكذا يقرر ابن خلدون - قبل توماس هوبز بقرون - أن وجود الدولة بأجهزتها المختلفة ضرورة لازمة من ضرورات الاجتماع الإنساني ، لأن حياة الإنسان لا تستغني عن الوظائف التي تؤديها الدولة للمجتمع ، وفي مقدمة ذلك تحقيق الأمن والعدل والعمران .

وحتى تقوم الدولة على أساس قويم وتؤدي الوظائف المنوطة بها ، فلا بد أن تقوم على أساس من (العصبية) التي تسندها وتحميها . وعصبية المرء هي العقيدة التي تعضده وتسنده ، وهي في الغالب تأتي من قومه وأنسبائه ، وإن لم يكن ضرورياً أن تأتي من هذا المصدر وحده إذ : " من البيِّن أن الالتحام والاتصال موجود في طباع البشر وإن لم يكونوا أهل نسب واحد " . ومهمة هذه العصبية أن تمكن الدولة من إنفاذ إرادتها على المواطنين : " وذلك أن الرئاسة لا تكون إلا بالغلَب ، والغلَب إنما يكون بالعصبية . فلا بد في الرئاسة على القوم أن تكون من عصبية غالبة لعصبياتهم واحدة واحدة ، لأن كل عصبية منهم إذا أحست بغلَب عصبية الرئيس لهم ، أقروا بالإذعان والاتباع " . وواضح هنا أن ابن خلدون إنما يشير إلى مفهوم للقوة قريب من مفهوم القومية، أو الأغلبية ، أو القوة العسكرية التي تسند الدولة

، وتمكنها من تنفيذ مراسمها وقراراتها .

ولكن الغالب على تفكير ابن خلدون ، وهو مستوحىً إلى حد كبير من ظروف عصره والعصور السابقة له ، أن العصبية تنبثق دائماً عن حالة البداوة ، لأن الناس في تلك الحالة يحافظون على نقاء عناصرهم وأنسابهم ، ويحرصون على معاضدة بعضهم البعض ضد العصبيات الأخرى ، ولذلك فقد افترض ابن خلدون أن الدولة تنشأ من حالة البداوة صعوداً بشعبها إلى مراقي التحضر والعيش الرغد .

ضرورة العامل الديني في العصبية :

وإذا كان ابن خلدون قد جعل من مفهوم " العصبية " العامل الحاسم في نشأة الدول ، فإنه لم يتجاهل أثر العامل الديني في هذا الخصوص إذ قرر أن عصبية الدولة قد تتشتت بسبب ما يحدث فيها من التنافس والخلاف ، وهنا يأتي عامل الدين لتأليف القلوب وتوحيدها في الإقبال على الله ، فيذهب بالتنافس ويقلل الخلاف حتى يسود التعاون والتعاضد . وتتضاعف العصبية أيضاً بعامل الاستنصار اللذين يفرزهما الدين ، كما جرى لدولة الإسلام الأولى في قتالها للروم والفرس : " فلم يقف للعرب أحد من الجانبين وهزموهم وغلبوهم على ما بأيديهم " بقوة الاجتماع الديني الذي ضاعف قوة عصبيتهم .

ولكن العامل الديني نفسه لا بد أن يستند إلى العصبية حتى يكون عاملاً ذا شأن . فإن الله سبحانه ، ما بعث نبياً من الأنبياء إلا في عصمة قومه ومنعتهم . وإذا كان الأنبياء لم تخرق لهم هذه العادة (أو القانون) فما بالك بمن هم أدنى منهم بكثير من رجال السياسة والملك . وهكذا فحتى تبلغ الدعوة الدينية أهدافها ، فلا بد لها من الاستنصار بالعصبية ، وما أكثر ما فشلت الثورات الدينية التي لم تعتصم بالعصبيات القوية في قتالها للحكومات الظالمة ، وذلك لأن : " أحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناءها إلا المطالبة القوية التي من وراءها عصبية القبائل والعشائر " ، ولذلك انكسرت معظم ثورات الفقهاء والأئمة ، لأنها لم تستصحب معها هذا البعد الهام .

يقول ابن خلدون في مقدمته عن ذلك : " ومن هذا الباب أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فإن كثيراً من المنتحلين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه والأمر بالمعروف رجاءً في الثواب عليه من الله فيكثر أتباعهم والمتلثلثون بهم من الغوغاء والدهماء ويعرِّضون أنفسهم في ذلك للمهالك، أكثرهم يهلكون في هذا السبيل مأزورين غير مأجورين، لأن الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم، وإنما أمر به حيث تكون القدرة عليه قال صلى الله عليه وسلم : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وأحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناءها إلا المطالبة القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه، وهكذا كان حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم إلى الله بالعشائر والعصائب، وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء، لكنه إنما أجرى الأمور على مستقر العادة والله حكيم عليم " . وهكذا يضع ابن خلدون للعصبية موضعاً علياً في أي مجال للعمل السياسي الاجتماعي النافع.

العقل والشرع :

إن النص السابق قد يستنتج منه البعض أن ابن خلدون يغلب عامل العصبية على العامل الديني . ويقدم الشأن (الزمني) أو الطبيعي على الشأن (الديني) المحض. ولكن ذلك استنتاج متسرع لا يجوز تكوينه من مجرد قراءة ذلك النص . وأفضل من ذلك أن نرد المسألة إلى إطار أكبر ، ونفحصها من خلاله .

إن معضلة التوفيق بين الشأنين الزمني والديني هي مشكلة العقل الإنساني على مر التاريخ . ولقد ثارت بالفعل في تاريخ العقل الإسلامي ، كما ثارت في تاريخ العقل الغربي . وفي إطار تاريخ العقل الإسلامي ، فقد أثارتها

فرقة المعتزلة التي مالت إلى ترجيح (العقل)على (النقل) عند تعارض المصدرين . ولكن حتى غلاة المعتزلة فإنهم لم ينظروا إلى (النقل) باعتباره نصوصاً جامدة يتخطاها الزمن ويفقدها مصداقيتها ومرجعيتها ، كما كان الحال في تاريخ الفكر الأوربي . ويمكن القول في هذا المقام إن أمر التوفيق بين (العقل) و (النقل) آمر ميسور ومتاح على الدوام في التيار العام للفكر الإسلامي .

ومع أن ابن خلدون لم يكن فقيهاً دينياً – بالمعنى المعروف لهذه الكلمة – إلا أنه ومن منظوره السياسي العام يقدم لنا حل القضية على النحو الآتي : إن من الممكن التفريق بين ثلاثة أنواع من الحكم أولها : الملك الطبيعي ، الذي يعرفه بأنه : " حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة " ، وثانيها : الملك السياسي وهو : " حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار " ، وثالثها : الخلافة الدينية وهي " حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها " .

وهكذا يطور ابن خلدون من نظريته السياسية ليمضي خطوات أبعد من تلك التي وقف عندها توماس هوبز وغيره من رموزالفلسفة الأوروبية الذين أتوا بعده بأكثر من ثلاثة قرون. وإذا كان هوبز مثلاً قد جعل من وجود (الحكومة) منتهى الطلب ، وجعل من (الحاكم) مصدراً مطلقاً للقانون ، فإن حصافة ابن خلدون قد قادته للتمييز بين ثلاثة مصادر للقانون وهي : المصدر الأول وهو: الشعب بمجمله ، والمصدر الثاني : وهو العقل ، والمصدر الثالث وهو : الشرع . وفي تقدير ابن خلدون فإن هذه الأنواع الثلاثة من القوانين يمكن أن تتعاضد لتضبط حياة البشر في المسارالسليم.

هذا بينما يبقى قانون الشرع هو القانون الأمثل والأشمل والأنفع : " في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وذلك أن الخلق المقصود بهم دنياهم فقط ، فإنها كلها عبث وباطل ... فالمقصود بهم إنما هو دينهم المُفضي بهم إلى السعادة في آخرتهم ... فجاءت الشرائع بحملهم على ذلك في جميع أحوالهم من عبادة ومعاملة . حتى في الملك الذي هو طبيعي للاجتماع الإنساني ، فأجْرَته على منهاج الدين ليكون الكل محُوطاً بنظر الشارع ، فما كان منه بمقتضى القهر والتغلب وإهمال القوة العصبية في مرعاها فجور وعدوان ومذموم عنده ، كما هو مقتضى الحكمة السياسية وما كان منه بمقتضى السياسة وأحكامها فمذموم أيضاً لأنه نظر بغير نور، لأن الشارع أعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من أمور آخرتهم ، وأعمال البشر كلها عائدة عليهم في معادهم من ملك أو غيره " .

وهكذا ففي اعتقاد ابن خلدون فإن الإنسان غير قادر وحده على اكتشاف الحقائق المطلقة ، وأن هداية الإنسان إلى السلوك الصحيح لا تتأتى من داخله فقط ، وإنما من مصدر آخر هو الوحي ، وأن مقام العقل يأتي بعد الوحي ، ولا يصادمه ، لأن ما قرره الشرع هو الأصح.

ولا ينفي هذا أن للعقل مجالاً واسعاً لاستنباط الأحكام حسب المقررات الكلية للشرع ، فعند حديث ابن خلدون عن علمي (الفقه) و (أصول الفقه) أشار إلى أن النصوص الدينية لا تفي بمعالجة كل الوقائع المتجددة ، وعند ذلك فلا بد من إعمال العقل الإنساني ، وممارسة الاستنباط ، وقياس الأشباه بالأشباه ، ومناظرة الأمثال بالأمثال ، وإلحاق كل واقعة مستجدة بما قد يكون لها من أصل في الشرع . فهذا جانب من جوانب عمل العقل في القانون الإسلامي ، وهو جانب يتسع كلما تقدم الزمان ، وتكاثرت القضايا المستجدة التي لم تألفها العصور السابقة .

العدل أساس الملك :

ومع أن ابن خلدون لم يقدم تعريفات محددة للظلم والعدل إلا أن ذلك يمكن استشفافه من حديثه عن آثار الظلم . إن الظلم . وخصوصاً إذا ما وقع من قبل الدولة – مؤدٍّ بالضرورة إلى تحطيم المبادرة الحرة ، ومصادرة مناخ العمل الاقتصادي التنافسي ، مما يؤدي إلى تعويق حركة

النمو الحضاري العام ، ويؤذن بخراب العمران وانهيار الدول . وفي هذا يقول ابن خلدون : " اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ، ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها وتحصيلها لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم ، وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتهيلها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك . وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب " . ويقرر ابن خلدون في غير ما مواربة أن العدل هو أساس الملك ، ودعامة استقرار الدول ونموها المستمر ، وبقدر ما يتعطل ميزان العدل ، تدور دائرة البوار بالدولة : " ولا تنظر في ذلك إلى أن الاعتداء قد يوجد بالأمصار العظيمة من الدول التي بها ، ولم يقع فيها خراب ، واعلم أن ذلك إنما جاء من قبل المناسبة بين الاعتداء وأحوال أهل المصر ، فلما كان المصر كبيراً ، وعمرانه كثيراً ، وأحواله متسعة بما لا ينحصر ، كان وقوع النقص فيه بالاعتداء والظلم يسيراً ... «و» لم يظهر أثره إلا بعد حين " . هذا وكأنما الظلم داء خفي يقضي على ضحيته في الأمد الطويل .

ومع تعرض ابن خلدون لألوان مختلفة من الظلم ، فإنه يعود ليركز تنبيهه على خطورة مصادرة ممتلكات الرعايا ، أو إجبارهم على تنفيذ أعمال بعينها بدون إعطائهم أجورهم الكاملة : " فإن الرعية المُعْتَملين في العمارة ، إنما معاشهم ومكاسبهم من اعتمالهم ذلك ، فإذا كلفوا العمل في غير شأنهم ، واتخذوا سخرياً في معاشهم ، بطل كسبهم ، واغتصبوا قيمة عملهم ذلك " . وفي هذا ما يذكر بنظرية فائض القيمة التي أتى بها كارل ماركس في القرن التاسع عشر، وجعلها مدعاة لاشتعال صراع الطبقات ونشوب الثورات وتحطيم الدول . وقد قرر ابن خلدون أن بعض أنواع الظلم التجاري القائم على سلطة الدولة يقود إلى عاقبة الكساد الاقتصادي مما يؤدي إلى انخفاض عائدات الدولة من الضرائب ، فتلجأ لتعويض ذلك عن طريق فرض مزيد من الضرائب على الناس يستحدثون لها : " ألقاباً ووجوهاً يوسعون بها الجباية ليفي لهم الدخل بالخرج " في محاولة يائسة لتوسيع ميزانية الدولة وقدراتها المالية. وقد حذر ابن خلدون حكام الدول من محاولة معالجة ضعف إيرادات الضرائب ، بالانغماس المباشر في العمل التجاري . لأنهم يدخلون بذلك في منافسة غير متكافئة مع التجار الذين لا يملكون القوة الكافية لموازاة قوة الحكام وسلطتهم ، ويؤدي ذلك بالضرورة إلى الإضرار بالتجار ، " وربما يتكرر ذلك مع التاجر والفلاح منهم ، بما يذهب رأس ماله ، فيقعد عن سوقه ، ويتعدد ذلك ويتكرر ، ويدخل به على الرعايا من العنت ، والمضايقة ، وفساد الأرباح ما يقبض آمالهم عن السعي في ذلك جملة ، ويؤدي إلى فساد الجباية ، فإن معظم الجباية إنما هي من الفلاحين والتجار " . وهكذا يؤدي تكرار الظلم إلى نضوب موارد الدولة المادية ، ويكون ذلك مؤشراً لدخولها في دوامة الكساد ، ومنحدر الاضمحلال . ومن الطريف أن الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان قد اقتبس المقولة السالفة عن ابن خلدون، منوهاً بسبقه الرائد في صكها، واتخذ منها بنداً طليعياً في برنامجه الذي خاض به الانتخابات الرئاسية الأمريكية في عام ١٩٨٠م.

انحدار الدول :

وقد أكد ابن خلدون أن للدول أعماراً طبيعية كما للأشخاص . ولكن عمر الدولة يساوي ثلاثة أجيال ، وعمر الجيل في المتوسط هو أربعين عاماً : " وإنما قلنا إن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال ، لأن الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش ، والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد ، فلا تزال بذلك سَوْرة العصبية محفوظة فيهم فحدهم مرهف ، وجانبهم مرهوب ، والناس لهم مندوبون . والجيل الثاني تحوّل حالهم بالملك والترفه من البداوة إلى الحضارة ، ومن الشظف إلى

الترف والخصب ، ومن الاشتراك في المجد ، إلى انفراد الواحد به ، وكسل الباقين عن السعي فيه ، ومن عز الاستطالة ، إلى ذل الاستكانة ، فتنكسر سوْرة العصبية بعض الشئ ، وتؤنس منهم المهانة والخضوع . وأما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ، ويفقدون حلاوة العز والعصبية . ويبلغ فيهم الترف غايته بما ذاقوه من النعيم وغَضَارة العيش . وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة ... فإذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعته فيحتاج صاحب الدولة حينئذ إلى الاستظهار بسواهم . ويصطنع من يغني عن الدولة بما حملت " .

وهكذا يتصور ابن خلدون قيام الدول ونضجها ثم انهيارها خلال ثلاثة أجيال ، هي نحو مائة وعشرين من الأعوام ، ولا تزيد الدول كثيراً على هذا العمر ، إلا إذا لم يدافعها عدو أقوى منها ، وعندئذ يكون الداء مستولياً ولكن الطالب لم يحضر بعد .

إن الترف هو أحد أعظم الأدواء التي تصيب الدول وتعجل بانهيارها وتحللها . ولكن الترف إذا جاء في أول عمر الدولة فإنه يزيدها قوة إلى قوتها ، حيث يكثر عدد السكان وتزيد عصبية الدولة ، أما عندما يتكاثر الترف ، بعد عهد الدولة الأول ، فإنه يصيبها بالمرض القتال .

وهنا يحسن ملاحظة أثر عامل الترف من خلال الأطوار الخمسة لنشوء الدول وسقوطها في تصور ابن خلدون : فالطور الأول : هو طور الانتصار والتمكن ودحر القوى المناوئة، حيث يكون الحاكم على وفاق مع شعبه وعصبيته لا ينفرد دونهم بشئ . ويكون الجميع على حالة من البداوة والشظف . والطور الثاني : هو طور استبداد السلطة وتضييق دائرة الحكم ، وكبح أهل عصبيته عن الاشتراك في تسيير أمور الدولة ، ومدافعتهم وصدهم عنه وجدْع أنوفهم وردهم على الأعقاب . والطور الثالث : هو طور الفراغ والترف والدعة والانصراف إلى زيادة الثروة ، وتحقيق الشهرة وتشييد المباني والمدن والهياكل مع التوسع في جباية الأموال ، والصرف منها على الحاشية والجند . والطور الرابع : وهو طور الاستسلام والقنوع حيث يكتفي صاحب الدولة بما بناه سابقوه ، ويعمل على تجميد الأوضاع على ما ورثه منهم ، ويرى أن الخروج عن خطة سلفه ابتداع وفساد . والطور الخامس : وهو طور السرَف والتبذير، وإتلاف الثروة التي جمعها الأولون في سبيل ملاذه وشهواته بالاشتراك مع حاشيته وبطانته الفاسدة .

وابتداءً من الطور الثاني يطرق الدولة الخلل في ركني (العصبية) و(المال) . فإذ يتمكن الحاكم في سدّة الدولة ، فإنه يخشى على حكمه من مسانديه من أهل عصبيته ، فيستبد بهم بجدع أنوفهم وقهرهم وقتلهم ، فتقل أعدادهم وتضعف قوتهم ، وتستبدل بهم بطانة فاسدة : " من موالي النعمة وصنائع الاحسان ، ويتخذ منهم عصبية إلا أنها ليست مثل تلك من الشدة الشكيمية ... ويحس بذلك أهل العصبيات الأخرى ، فيتجاسرون عليه وعلى بطانته تجاسراً طبيعياً " . وبذلك يخسر الحاكم ركن عصبيته الركين ، وينغمس في عالم الترف الذي ينخر ما بقي من أساس دولته ، ويرتع الحاكم في نعيم الملك وشهواته ملياً ، ثم يستسلم الرعايا بدورهم إلى دواعي الترف ، فتذهب عنهم صفات الخشونة والبسالة ، وتنشأ أعقابهم على الترفع عن الخدمة والعمل الجاد ، والاستنكاف عن أداء الأعمال الضرورية الموكلة بهم ويأذنون تباعاً بالانقراض : " وعلى قدر ترفهم ونعمتهم يكون إشرافهم على الفناء ، فضلاً عن الملك . فإن عوارض الترف والغرق في النعيم ، كاسرٌ من سوْرة العصبية التي بها التغلب . وإذا انقرضت العصبية قصر القبيل عن المدافعة والحماية ، فضلاً عن المطالبة ، والتهمتهم الأمم سواهم ، فقد تبين أن الترف من عوائق الملك والله يؤتي ملكه من يشاء " .

وهكذا فإن نشوء الدول وسقوطها – كما قرر ابن خلدون – هي أطوار طبيعية ، تمر بها الدول ، مثلما تمر بها الكائنات الانسانية والحيوانية على اختلافها . هذا وقد تتفطن بعض الدول لما يلحق بها من عوارض الهرم ، فتحاول

علاجها ، وتعمل على تعويض فقدان العصبية بالأبهة والمبالغة في مظاهر العظمة ، التي سرعان ما ينكشف زيفها ، وينقضي أمر الدولة على يد دولة أخرى أقوى منها وفي هذا يقول ابن خلدون : " وربما يحدث عند آخر الدولة قوة توهم أن الهرم قد ارتفع عنها ، ويومض ذُبالها إيماضة الخمود ، كما يقع في الذُّبال المشتعل ، فإنه عند مقاربة انطفائه يومض إيماضة توهم أنها اشتعال وهي انطفاء ، فاعتبر ذلك ، ولا تغفَل سرَّ الله تعالى وحكمته في اطراد وجوده على ما قدر فيه ، ولكل أجل كتاب " .

وهكذا فإن الأيام دُوَلٌ ، وما دامت السلطة قط لدولة واحدة في التاريخ، ولن تدوم ، لذا فالأجدر بعقلاء السياسة تدبر تلك المراحل والدورات في فلسفة ابن خلدون للسياسة والتاريخ ، وعدم العمل على معاكسة سنن الخلق . فإن التاريخ لن ينتهي لصالح دولة بعينها كما تخيل جورج دبليو هيجل ، ولا لصالح نمط إنتاج بعينه كما تصور كارل ماركس ، ولا لصالح الحضارة الغربية الراهنة ، كما بشَّر الياباني المتأمرك فرانسيس فوكاياما .

ريادة ابن خلدون المنهجية :

لقد كان ابن خلدون وهو يخط قوانينه في فلسفة التاريخ والاجتماع على وعي آكيد بريادته في ذلك المجال ، وعلى أهمية فلسفته وآرائه في سبيل إيقاف تدهور الحضارة الإسلامية، وكان يرجو أن يأتي من بعده من علماء الإسلام من : " يؤيده الله بفكر صحيح ، وعلم مبين ، يغوص من مسائله على أكثر مما كتبنا ، فليس على مستنبط الفن إحصاء مسائله ، وإنما عليه تعيين موضع العلم وتنويع فصوله ، وما يتكلم فيه ، والمتأخرون يُلحقون المسائل من بعده شيئاً فشيئاً إلى أن يكمل، والله يعلم وأنتم لا تعلمون " . على أن ذلك الأمل لم يتحقق ، وذلك لأن دورة الشمس الإسلامية كانت في طريقها للأفول الأكيد ، وتعاقبت واطردت الأحداث الجسام التي قوضت دولة الأندلس ، وعجلت بتسلسل انهيار دول الإسلام .

هذا وإن كان ما كتبه ابن خلدون لم يلحقه التطوير المبتغى على يد المفكرين الإسلاميين ، فإنه عند تسربه في وقت لاحق إلى الغرب ، عُدَّ ريادة فكرية حقيقية ، وأضيف إليه الكثير ، وبرهنت آراؤه الفلسفية على صحتها تماماً ، وتبناها بعض فلاسفة التاريخ الغربيين أو انتهبوها من دون أن يشيروا إلى اسم صاحبها ، وهكذا ظهرت أفكار الدائرة التطورية في تفسير التاريخ ، وتطورت أفكار ابن خلدون في مسألة نشوء الدول وانهيارها إلى ما يسمى اليوم بنظريات القوة النسبية في العلاقات الدولية .

وقد تبارت مدارس فكرية عديدة في تبني أفكار ابن خلدون . فعده الماركسيون : " أحد الرواد الأول للمادية التاريخية . فهو في دراسته للديالكتيك الداخلي لتطور المجتمعات يعلق أهمية كبيرة على تقسيم العمل ، وهو يرتب الشعوب والنظم الاجتماعية وفقاً لأساليب الإنتاج الاقتصادي ... " . وقيل أن لينين احتفى احتفاءً خاصاً بتحليلات ابن خلدون الاقتصادية .

وفي العالم العربي حاول بعض العلمانيين اتخاذ كتاباته تكأة للخروج من عالم النص الديني ، فلأن ابن خلدون كان مفكراً عقلانياً عميق الرؤية والتحليل ، اعتقد هؤلاء أنه لا بد أن يكون شيئاً مختلفاً عن الفقهاء وعلماء الدين ، وأنه لا بد أن يكون – بالضرورة – مخالفاً للنص الديني أو متجاوزاً له . وحاول آخرون التوفيق بين فكر مدرسة ابن خلدون وفكر المدرسة الوضعية المنطقية في علم الاجتماع ، على ما بين منطلقات المدرستين من تعارض جذري أساسه رفض الوضعية المنطقية الحاسم للدين ، وهكذا حاز ابن خلدون بحصافته وأصالته الفكرية رضا الأوساط الفكرية على اختلافها ، وهذا شأن كل مفكر ضخم في التاريخ الإنساني .

لقد أنزل ابن خلدون الفلسفة من عليائها وجعل منها علماً اجتماعياً واقعياً حياً ، واستخدم منهجاً استقرائياً رشيداً ، مؤطراً في نطاق التصور الإسلامي العام للإله والكون والحياة . وهذا أعظم ما يبقى من ابن خلدون على صعيد المنهجية والفكر .

من البحوث المقدمة إلى المجمع الفقهي الإسلامي

حول زواج المسيار



د. يوسف القرضاوي
مدير مركز بحوث السنة والسيرة - جامعة قطر



■ في السنوات الأخيرة ثار كلام كثير، وجدل طويل الذيول، حول ما سمي (زواج المسيار) الذي كثرت حوله الأسئلة واختلفت عنه الأجوبة، كالشأن في كل مسألة جديدة، أو شبه جديدة. والجديد في أمر هذا الزواج هو: اسمه وعنوانه (زواج المسيار) فلم يكن لهذا الاسم وجود في تراثنا الفقهي، أو حتى تراثنا الشعبي، وإنما هي تسمية اشتهرت - أول ما اشتهرت - في أقطار الخليج العربية. و(مسيار) على وزن (مفعال) من السير، هو المشي، ويبدو أن الناس أطلقوا على هذا النوع من الزواج هذه التسمية؛ لأن الرجل يسير فيه إلى المرأة ما بين حين وآخر. وليست المرأة هي التي تسير إليه مرة واحدة وتستقر في بيته.

ونظراً لجدة الاسم أو العنوان، وعدم معرفة المضمون مستوعبة: اختلفت فيه آراء العلماء اختلافاً كبيراً مابين مجيز ومانع .

وأود أن أشير هنا إلى أن اختلاف الرأي بين علماء الأمة في فروع المسائل لا يقلق مخلصاً، ولا يزعج مؤمناً، مادام الاختلاف قائماً على تعدد زوايا الرؤية، وعلى تفاوت الأدلة والاعتبارات التي يستند إليها كل فريق، وليس مبيناً على اتباع هوى النفس أو أهواء الغير، فإن اتباع الأهواء يغبّش الرؤية ويضل عن الحق ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (القصص: ٥٠) وقد قال تعالى ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴾ (الجاثية) فالآراء المؤسسة على الهوى هي التي تزعج المؤمنين الصادقين، وكذلك الآراء التي تصدر ممن سماهم الرسول الكريم «رؤوساً جهالاً، إذا سئلوا أفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا».

أما الاختلاف فيما وراء ذلك، فهو ضرورة ورحمة وسعة، كما بينت ذلك بأدلته وأمثلته مفصلاً في كتابي «الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم».

وسيظل الناس يختلفون في كثير من القضايا المستجدة - كما اختلفوا في كثير من القضايا القديمة - مابين مانع ومجيز، وما بين مضيق وموسع، ولهذا اختلف الأئمة الأربعة بين بعضهم وبعض، وخالفهم أصحابهم في كثير من المسائل، واختلف أتباع كل مذهب بعد ذلك في تصحيح الأقوال والروايات والوجوه، أو تضعيفها، أو ترجيح بعضها على بعض.

كما اختلف شيوخ الأئمة الأربعة من التابعين وأتباعهم، واختلف قبلهم شيوخ هؤلاء جميعاً من فقهاء الصحابة رضوان الله عليهم، وعرف تراثنا ما سماه شدائد ابن عمر، ورخص ابن عباس، وشواذ ابن مسعود، ولم يمنع ذلك من بعدهم من علماء الأمة أن ينتفعوا بعلم هؤلاء، ويقتبسوا من أنوارهم، التي استمدوها من مشكاة النبوة.

أسئلة مثارة:

وهنا أسئلة مثارة يلزمنا الجواب عنها حتى نكشف النقاب عن وجه القضية، وتبدو واضحة جلية. وهي:

١- ما حقيقة زواج (المسيار) هذا؟

٢- وما معنى (المسيار) ؟

٣- وهل هذا زواج جديد لم يعرفه الناس قبل هذا حتى يحدث هذه الضجة؟

٤- وهل هو شيء غير الزواج العرفي الذي عرفه الناس من قديم؟

٥- وهل أجازه من أجازه مطلقاً أو أجازوه بشروط وضوابط؟ وما هذه الضوابط والشروط؟

٦- وهل هذا الزواج يحقق كل أهداف الزواج الشرعي كما يريده الإسلام؟

٧- وما الفرق بينه وبين زواج (المتعة)؟

٨- وما الفرق بينه وبين زواج (المحلل)؟

٩- وقبل ذلك: لماذا خالف فيه بعض العلماء؟

إلى غير ذلك من الأسئلة التي تعن للكثيرين والكثيرات.

من أخطر آفات العلم

والمطلوب من العالم المسلم إذا عرضت عليه مسألة ليصدر فيها حكمه وفتواه: أن يقول للناس ما انتهى إليه اجتهاده الذي يدين الله به، ويحاسبه عليه.فإن كان صواباً فاز بالأجرين: أجر النظر والاجتهاد، وأجر الإصابة، وإن كان خطأً نال أجراً واحداً، وهو أجر الاجتهاد والتحري. ولا ينبغي للعالم إذا أفتى أو حكم أو علم: أن يجعل أكبر همه رضاء الخلق، ولو بسخط الخالق، بل يقول مايرى أنه الحق، ولا يخاف في الله لومة لائم.

وقد ذكرت في بعض كتبي: أن من أخطر آفات أهل العلم وأهل الفتوى خاصة، أمرين:

أولهما: اتباع أهواء السلاطين والحكام، وتفريخ الفتاوى، تبريراً لمظالمهم وانحرافاتهم.

وثانيهما: اتباع أهواء عامة الناس وجماهيرهم، والدخول في (سوق المزايدات) حسب الرائج عندهم، فإن كان الرائج هو التشدد والتطرف تشدد وتطرف أكثر منهم، وإن كان الرائج هو التساهل كان أكثر تساهلاً.

ولقد بينت أن العالم الذي يتبع أهواء الجمهور أشد خطراً على الدين، من

العالم الذي يتبع هوى السلطان، فإن هذا سرعان ما يكشف ويفتضح أمره. أما الآخر فظاهره التحمس للدين، والحرص عليه والتشدد فيه، فلا يكتشف إلا بصعوبة، ولا يعرف زيفه إلا أصحاب البصائر، أما العامة فهم محجوبون بظاهره عن حقيقته.

حقيقة زواج المسيار

إن زواج المسيار كما يسمى، ليس شيئاً جديداً إنما هو أمر عرفه الناس من قديم، وهو الزواج الذي يذهب فيه الرجل إلى بيت المرأة ولا تنتقل المرأة إلى بيت الرجل، وفي الغالب: تكون هذه زوجة ثانية، وعنده زوجة أخرى هي التي تكون في بيته وينفق عليها .

فروح هذا الزواج هو إعفاء الزوج من واجب المسكن والنفقة والتسوية في القسم بينها وبين زوجته الأولى أو زوجاته، تنازلاً منها، فهي تريد رجلاً يعفها ويحصنها ويؤنسها، وإن لم تكلفه شيئاً، بما لديها من مال وكفاية تامة.

أذكر في صباي جارة لنا توفي عنها زوجها وترملت، ولم تزل شابة، وترك لها طفلين، وبعد عدة سنوات تزوجت رجلاً من قرية قريبة من قريتنا ونظراً لأن لها بيتاً وأولاداً، فكان الرجل هو الذي يأتي إليها كل أسبوع يوماً أو يومين، وقدأعفته من السكنى بحكم وجودها في بيت زوجها السابق مع ولديها ولم تلزمه بكل النفقة، بحسبها أن يساعدها في ذلك . وكان جاراتها يتغامزْن عليها في أول الأمر، فإن الأرامل في العرف الاجتماعي عندنا لا يستحسن منهن الزواج لا سيما إن كان لهن أولاداً، ولكن هذه المرأة العاقلة لم تبال بذلك، واستفادت من إجازة الشرع لها، واستقر الأمر بعد ذلك ورضي به الجميع.

وقد كان هذا في الأزمنة الماضية قليلاً: فقد كان الزواج سهلاً ميسراً، ولم تكن هناك عوائق مادية ولا اجتماعية كالتي نراها في عصرنا، وكان قليل من النساء من لهن مال خاص جاءهن عن طريق الميراث في الغالب. ولهذا لم ينتشر كثيراً هذا النوع من الزواج الذي تتنازل فيه المرأة الموسرة عن بعض حقوقها .أما في زمننا فقد كثرت عوائق الزواج ومعظمها مما كسبت أيدي الناس، ونشأ عن ذلك كثرة (العوانس) اللاتي فاتهن القطار، وعشن في بيوت آبائهن محرومات من الحق الفطري لهن في الزواج وفي الأمومة، إضافة إلى المطلقات، وهن للأسف كثيرات، وإلى الأرامل اللاتي مات عنهن أزواجهن، وخلفوهن وحيدات، أو مع أطفال، وكثيراً ما يكون معهن ثروة ومال.

كما أن الأوضاع في عصرنا قد أعطت كثيراً من النساء فرصة ليكون لهن موارد خاصة بهن من كسبهن المشروع، كمن تعمل مدرسة أو موجهة أو طبيبة أو صيدلية أو محامية أو غير ذلك من أنواع المهن.

فكل هذه الأسباب أدت إلى شيوع نسبي لهذا النوع من الزواج الذي سموه (زواج المسيار). وأنا لا أعرف معنى (المسيار) فهي ليست كلمة معجمية فيما رأيت إنما هي كلمة عامية دارجة في بعض بلاد الخليج يقصدون منها: المرور وعدم المكث الطويل.

لا عبرة بالأسماء والعناوين

وأنا عندما سئلت عن هذا الزواج (المسيار) قلت: أنا لا يهمني الأسماء، فالعبرة في الأحكام ليست بالأسماء والعناوين، ولكن بالمسميات والمضامين. وفي القواعد الشرعية لمجلة الأحكام العدلية الشهيرة: العبرة في العقود للمقاصد والمعاني، وليست للألفاظ والمباني، سموا هذا الزواج ما تسمونه، ولكن المهم عندي أن يتحقق أركان عقد الزواج وشروطه.

أركان عقد الزواج وشروطه

١- وأول أركان عقد الزواج هو الإيجاب والقبول ممن هو أهل للإيجاب والقبول.

٢- وأن يتحقق الإعلام والإعلان به، حتى يتميز عن الزنى واتخاذ الأخدان، الذي يكون دائماً في السر، وهناك حد أدنى في الشرع لهذا الإعلان، وهو وجود شاهدين. ووجود الولي في رأي المذاهب الثلاثة المعروفة: مالك والشافعي وأحمد.

٣- وألا يكون هذا الزواج مؤقتاً بوقت، بل يدخله الرجل والمرأة بنية الاستمرار.

٤- وأن يدفع الرجل للمرأة مهراً، قل أوكثر، وإن كان لها بعد ذلك أن تتنازل عن جزء منه أو عنه كله، لزواجها إذا طابت نفسها بذلك، كما قال تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا

مريئا﴾ (النساء: ٤).
بل لو تزوجت بغير مهر، صح العقد، وكان لها مهر مثلها .
فإذا وجدت هذه الأمور الأربعة: الإيجاب والقبول من أهلها، والإعلام ولو في حده الأدنى، وعدم التأقيت، والمهر، ولو تنازلت عنه المرأة بعد ذلك، فالزواج صحيح شرعاً، وإن تنازلت المرأة فيه عن بعض حقوقها، ماعدا حق الجماع الذي لا يجوز أن يشترط في العقد، لأنه شرط ينافي مقصود العقد، فيبطله.
ولا يملك الفقيه أن يبطل مثل هذا العقد المستوفي لأركانه وشروطه، ويعتبر هذا الارتباط لوناً من (الزنى) لمجرد تنازل المرأة فيه عن بعض حقوقها، فهي إنسان مكلف، وهي أدرى بمصلحتها، وقد ترى - في ضوء فقه الموازنات بين المصالح والمفاسد - أن زواجها من رجل يأتي إليها في بعض الأوقات من ليل أو نهار: أولى وأفضل من بقائها وحيدة محرومة أبد الدهر .
والعاقل الحكيم هو الذي يعرف خير الشرين، ويرتكب أخف الضررين، ويفوت أدنى المصلحتين.
فهل يجوز للمرأة أن تتنازل عن بعض حقوقها ؟ وهل يؤثر هذا في صحة العقد؟
أعتقد أن فقيهاً لا يملك أن يمنع المرأة من التنازل عن بعض حقوقها بمحض إرادتها لمصلحتها هي، التي تقدرها، وهي امرأة بالغة عاقلة رشيدة، ليست طفلة ولا مجنونة ولا سفيهة.

وإذا أخذنا بمذاهب الأئمة الثلاثة الذين يشترطون وجود الولي أو إذنه - وهو المعمول به في بلاد الخليج حيث ينتشر المذهب المالكي والحنبلي - فمع المرأة أيضاً وليها من أب أو أخ، ولا يتصور أن يرضى لها الضياع أو الهوان.
ولا يخفى أن في الحياة - كما نشاهدها - عوامل وأسباباً، تجعل الإنسان يتنازل عن بعض حقوقه، تحصيلاً لما هو أهم منها.
وقد رأينا السيدة سودة بنت زمعة زوج رسول الله ﷺ بعد خديجة، وقد كانت امرأة كبيرة السن، وقد أحست أن النبي ﷺ لم يعد يقبل عليها كما كان من قبل، وخافت أن يطلقها وتحرم من أمومة المؤمنين، ومن أن تكون زوجته في الجنة، فبادرت وأخبرت رسول الله ﷺ بتنازلها عن يومها لعائشة رضي الله عنها، فحمد لها الرسول ذلك، وأبقاها في عصمته، وصدّق ذلك قول الله تعالى: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير ﴾ (النساء: ١٢٨).
وأنا أفضل ألا يذكر مثل هذا التنازل في صلب العقد، وأن يكون أمراً متفاهماً عليه عرفاً، على أن ذكره في صلب العقد لا يبطله. وأرى وجوب احترام هذه الشروط، كما جاء في الحديث المشهور: «المسلمون عند شروطهم» وهو ضرب من الوفاء بالعهد الذي أمر به الله ورسوله . وفي الصحيحين «أحق الشروط أن توفوا به : ما استحللتم به الفروج» أي شروط النكاح.

وهناك من الفقهاء من يرى أن مثل هذه الشروط لا تلزم، بل يصح العقد ويبطل الشرط. وهو قول لأبي حنيفة، ورواية عن أحمد، وهو ما اختاره في (المقنع) وغيره، فقد ذكر النوع الثاني من الشروط، وهو: أن يشترط أن لا مهر لها ولا نفقة، أو أن يقسم لها أكثر من امرأته الأخرى، أو أقل، فالشرط باطل، ويصح النكاح.
قال في (الإنصاف) وكذا لو شرط أحدهما عدم الوطء، وهذا المذهب، نص عليهما.
وقيل: يبطل النكاح أيضاً.
وقيل : يبطل إذا شرطت ألا يطأها.
قال ابن عقيل في مفرداته: ذكر أبو بكر - فيما إذا شرط ألا يطأ، أو لا ينفق، أو إن فارق رجع بما أنفق - روايتين، يعني في صحة العقد.
قال الشيخ تقي الدين (أي ابن تيمية): ويحتمل صحة شرط عدم النفقة.قال: لا سيما إذا قلنا: إنه إذا أعسر الزوج ورضيت به : أنها لا تملك المطالبة بالنفقة بعد . واختار- فيما إذا شرط أن لا مهر - فساد العقد، وأنه قول أكثر السلف. واختار أيضاً الصحة، فيما إذا شرط عدم الوطء، كشرط ترك ما يستحقه. ا. هـ.

الفرق بين زواج المسيار والزواج العرفي

أما الفرق بين زواج المسيار والزواج العرفي، فهما قد يلتقيان، وقد يتفرقان،

فبينهما عموم وخصوص من وجه، كما يقول علماء المنطق: يجتمعان في صورة، وينفرد كل منهما في أخرى. فالزواج العرفي زواج شرعي غير مسجل ولا موثق، ولكنه زواج عادي، يتكلف الزوج السكن والنفقة للمرأة، وفي الغالب يكون الرجل متزوجاً بأخرى، ويكتم عنها هذا الزواج لسبب وآخر.

وزواج المسيار، قد يكون غير مسجل، فيكون عرفياً، وقد يكون مسجلاً وموثقاً، كما هو واقع في كثير من الأحيان في المملكة العربية السعودية، ودولة الإمارات، وغيرهما.

وأنا أرجح أن يسجل هذا الزواج ويوثق بشروطه حفظاً للحقوق، وضماناً للمستقبل، وحرصاً على سهولة ثبوت نسب الأولاد لأبيهم وميراثهم منه، فهذا ما لا يجوز التنازل عنه. فإن كان للزوجة التنازل عن بعض حقوقها، فليس لها التنازل عن حقوق أولادها.

كما أن طاعة أولي الأمر هنا واجبة شرعاً؛ لأنها طاعة في معروف، فهم لم يأمروا بهذا ويوجبوه، إلا لمصلحة الناس، وخشيةأن يتناكروا وتضيع الحقوق بينهم. وفي الحديث «إنما الطاعة في المعروف» وفي الحديث الآخر: «السمع والطاعة حق على المرء المسلم فيما أحب أو كره، مالم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة».

ومع هذا لا أستطيع أن أبطل العقد إذا لم يسجل، مادام مستوفياً أركانه وشروطه، فإن إبطال العقد أمر خطير، يترتب عليه أن تعتبر العلاقة بين الرجل والمرأة محرمة، وإن ولد بينهما ولد، فهو ابن حرام. وقد كان المسلمون طوال القرون الماضية يتزوجون بلا توثيق.

وقوانين الأحوال الشخصية في البلاد العربية التي ألزمت بالتوثيق والتسجيل للعقود، اكتفت في الزواج العرفي بأن قالت: لا تسمع فيه الدعوى، ولم تقل ببطلانه.

زواج المسيار وتحقيق أهداف الزواج الشرعي

ويقول بعض المعترضين على زواج المسيار: إن هذا الزواج لا يحقق كل الأهداف المنشودة من وراء الزواج الشرعي. فيما عدا المتعة والأنس بين الزوجين والزواج في الإسلام له مقاصد أوسع وأعمق من هذا، من الإنجاب والسكون والمودة والرحمة.

وهذا يتفق مع رواية نقلت عن الإمام أحمد في زواج النهاريات أو الليليات، قال: ليس من نكاح الإسلام، يعني: ليس هو النكاح الكامل، كما تقول: ليس بمؤمن من لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

وأنا لا أنكر هذا، وأن هذا النوع من الزواج ليس هو الزواج الإسلامي المثالي المنشود، لكنه الزواج الممكن، والذي أوجبته ضرورات الحياة، وتطور المجتمعات، وظروف العيش، وعدم تحقيق كل الأهداف المرجوة لا يلغي العقد، ولا يبطل الزواج، لكنه يخدشه وينال منه، وقد قيل: ما لا يدرك كله، لا يترك كله. والقليل خير من العدم.

هب أن رجلاً تزوج امرأة عاقراً لا تنجب أو أن امرأة تزوجت رجلاًعقيما، فهل يكون هذا الزواج باطلا، إذا لا إنجاب فيه؟

هب أن رجلاً تزوج امرأة في سن اليأس لم تعد صالحة للحمل، فهل في ذلك مانع شرعاً؟

وهب أن رجلاً تزوج امرأة (نكدية) كدرت عليه حياته، ونغصت عليه عيشه، ولم يجد معها سكينة ولا مودة ولا رحمة، هل يفسخ العقد بينهما بذلك؟

إن تحقيق الزواج لأهدافه كلها هو المثل الأعلى الذي يصبو إليه المسلم والمسلمة، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه، والمسلم يحاول أن يحصل من هذه الأهداف مايقدر عليه.

والأصل في الزواج أن يعيش الزوج مع زوجته ليلاً ونهاراً، صيفاً وشتاءً، ولكن كثيراً من الأزواج يسافرون في مهام تجارية أو صناعية أو وظيفية أو غيرها، ويتركون زوجاتهم أياماً وليالي، بل أشهراً عدة في بعض الأحيان، وهذا لا يبطل الزواج القائم.

ولهذا اشترط بعض المذاهب ألا يغيب الزوج عن زوجته أربعة أشهر - وبعضها قال ستة أشهر - متصلة إلا لضرورة، أو بإذن الزوجة.

وكان الناس في قطر وبلاد الخليج أيام الغوص يتغربون عن أوطانهم وأهليهم بالأشهر، وبعضهم كان يتزوج في بعض البلاد الإفريقية أو الآسيوية التي يذهب إليها، ويقيم مع المرأة الفترة التي يبقى فيها في تلك البلدة، التي تكون

عادة على شاطئ البحر. ويتركها ويعود إلى بلده ثم يعود إليها مرة أخرى، إن تيسر له السفر.

فهذا زواج اقتضته الحاجة، ورضيت به المرأة وأهلها، وهم يعلمون أن هذا الرجل لن يبقى معهم إلا فترة من الزمن، وقد يعود إليهم وقد لا يعود، ولم يعترض على هذا الزواج معترض.

وأحب أن أقول لبعض الإخوة الذين يهونون من هدف الإمتاع أو الاستمتاع أو الإحصان، ويحقرون من شأن المرأة التي تتزوج لتستمتع بالرجل في الحلال، ولا تفكر في الحرام، ويعتبرون هذا انحطاطاً بكرامة المرأة، ونزولاً بقدرها، أحب أن أقول لهؤلاء كلمة صريحة:

إن هدف الإمتاع والإحصان ليس هدفاً هيناً، ولا مهيناً، كما تتصورون وتصورون بل هو أول أهداف الزواج، ولهذا لا يجوز التنازل عنه في العقد، وفي الحديث الصحيح المعروف «يامعشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج».

وفي القرآن الكريم قال تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ (البقرة: ١٨٧) بل عرف الفقهاء النكاح بأنه: عقد لحل التمتع بأنثى خالية من الموانع الشرعية. وإن كنت أرى أن التمتع للطرفين جميعاً: الرجل والمرأة كليهما، كما أشارت الآية ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾.

فالعفة والإحصان قيمة كبيرة من قيمنا الإسلامية، هي مما يميز مجتمعنا عن المجتمعات السائبة المتحللة، وحاجة الرجل إلى المرأة، وحاجة المرأة إلى الرجل: حاجة فطرية، ولا ينظر الإسلام إليها نظرة بعض الأديان الأخرى: أنها قذارة أو رجس أو بهيمية! بل هي غريزة فطر الله الناس عليها، ولا بد من تسهيل الطرق الشرعية إليها، حتى لا يضطر الناس إلى ركوب الحرام، ولا سيما في عصر فتحت فيه أبواب المحرمات على مصاريعها، وكثرت فيه المغريات بالمنكر، والمعوقات عن المعروف.

إن الإسلام لم يستنكف من الاستمتاع الجنسي، ولم يقلل من شأنه إذا كان حلالاً. بل قال الرسول الكريم: «وفي بضع أحدكم صدقة! قالوا: يارسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أليس إذا وضعها في الحرام، كان عليه وزر، فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر».

والمجتمع الغربي المعاصر - في إطار حضارته المادية الإباحية المعاصرة - حل هذه المشكلة: مشكلة الغريزة الجنسية، وحاجة الرجل والمرأة الفطرية كليهما للآخر، بإطلاق العنان لكل منهما، يستمتع بصاحبه بلا عقد ولا رباط مقدس، ولا مسؤولية أخلاقية ولا دينية، ولا قانونية.

أجل. حل الغرب هذه المشكلة عن طريق ماسموه (البوي فرند) و(الجيرل فرند). ونحن لا نملك أن نحل هذه المشكلة بهذه الطريقة، إذا لا بد عندنا من عقد ومن رباط شرعي.

فلماذا يحقر بعض الناس هذا الجانب المهم في حياة الإنسان، وهو جانب فطري لا حيلة في دفعه، ولماذا يتظاهرون وكأنهم ملائكة مطهرون، لا يحتاجون إلى الجنس، ولا يفكرون فيه؟!!

خشية ابتزاز الرجال للنساء

ويخشى بعض المعترضين على هذا الزواج: أن يكون وسيلة لابتزاز الرجل للمرأة مادام يشعر أنها محتاجة إليه، وأن لديها مالاً وثروة، فهو يضغط عليها ليبتزها، ويستفيد منها، وهذا قد يحدث من غير شك ولكنه كما يحدث في زواج المسيار، يحدث كثيراً في الزواج العادي، وأنا شخصياً أتلقى رسائل كثيرة، وهواتف أكثر، من زوجات موظفات يشتكين من أزواجهن، الذين يستولون على معاشهن، ويتحكمون في رواتبهن، ولا يمكنونهن من فتح حساب في البنك خاص بهن ولا يسمحون لهن بمساعدة أهلهن الفقراء من آباء وأمهات أو إخوة وأخوات.

فهذا أمر مرجعه إلى الإيمان والأخلاق، وسيظل قائماً مادام إيمان الناس واهناً، ومادامت أخلاقهن سقيمة، وكما قال شوقي رحمه الله:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم
فأقم عليهم مأتماً وعويلاً

زواج المسيار وقوامة الرجل

ويقول بعض المعترضين: إن زواج المسيار يناقض ماقدره الله تعالى من

حق الرجل في القوامة على المرأة، والمسؤولية عن الأسرة، لأنه لا ينفق على المرأة، ولا يتحمل تبعتها في السكنى والنفقة.

ونقول : إن الله تعالى جعل القوامة للرجال على النساء بأمرين:

أولهما : بما فضل الله بعضهم على بعض .

وثانيهما: بما أنفقوا من أموالهم.

أما الأول، فيراد به : ما خص الله به الرجال من قدرة على التحمل والصبر على متاعب القيادة ومسؤوليتها أكثر من المرأة . وزواج المسيار لا يسقط هذا الأمر.

وأما الثاني، فيكفي الرجل هنا أن يدفع الصداق، حتى يقال : إنه أنفق من ماله، ولهذا يستحق القوامة بمجرد الدخول قبل بدء النفقة اليومية .

فهذا وذاك كافيان في أن يكون الرجل قواماً ومسؤولاً، ولا يعني قبول الرجل تنازل المرأة عن النفقة أن يتنازل هو عن القوامة.

زواج المسيار وزواج المتعة:

ويقارن بعض المعترضين بين زواج المسيار وزواج المتعة، ولا يخفى أن ثمت فرقاً كبيراً بين زواج المتعة وزواج المسيار.

زواج المتعة زواج مؤقت، محدود بمدة معينة مقابل مهر أو أجر معين، ويكون المهر أو الأجر عادة على قدر المدة، فأجر الأسبوع، غير أجر الشهر، غير أجر السنة، وبمجرد انتهاء المدة ينتهي هذا الزواج تلقائياً، لا يحتاج إلى طلاق ولا فسخ ولا شيء فالمدة جزء لا يتجزأ من صلب العقد.

أما زواج المسيار، فهو زواج دائم، لا دخل للمدة فيه، ولا ينتهي إلا بطلاق أو خلع ،أو فسخ من القضاء.

والشيعة أجازوا زواج المتعة، ولكنهم لم يعتبروا المتزوجة بالمتعة من النساء الأربع اللاتي يجوز للمسلم أن يتزوجهن.

زواج المسيار وزواج المحلل

وأغرب من هذا ما ذكره بعض الإخوة المعترضين من المقارنة بين زواج المسيار وزواج (المحلل) الذي ذمه الرسول ﷺ ولعن فاعله، قال «لعن رسول الله المحلل والمحلل له» وسمي في بعض الأحاديث (التيس المستعار) وقال: «ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا: بلى يارسول الله . قال هو المحلل، لعن الله المحلل والمحلل له» رواه ابن ماجه، وليت شعري أين هذا من ذاك ؟ ما أبعد الفرق بين زواج المسيار وزواج المحلل!

زواج المحلل زواج غير مقصود بالمرة، إنه قنطرة لغيره ليعبر عليها ،لا هدف له في هذا الزواج ولا مقصد من ورائه، ولا صلة له بهذه المرأة، ولا تعارف بينهما قط، إلا أنه أداة لتحليلها شكلياً للزوج الأول.

فزواج المحلل غير دائم وغير مقصود لذاته.

هو غير دائم لأنه زواج ليلة أو ساعة ثم يطلقها.

وهو غير مقصود لذاته، بل هو مراد لتحقيق هدف الرجل الآخر، الزوج السابق في استعادة امرأته.

أما زواج المسيار، فهو زواج مقصود، تفاهم عليه الرجل والمرأة، وقصداه، بعد أن تعارفا واتفقا.

وهو زواج دائم، كل زواج يعمد إليه المسلم والمسلمة. فالأصل في الزواج هو نية الاستمرار والبقاء.

على أن زواج المحلل نفسه فيه خلاف كثير، عند الحنفية وغيرهم، خصوصاً إذا أضمراه في أنفسهما، ولم يذكر في العقد، حتى في داخل المذهب الحنبلي نفسه يوجد خلاف، ولكني مع شيخ الإسلام ابن تيمية في ترجيح تحريمه وسد الباب إليه.

المسيار والتعدد

ويقول بعض المعترضين: ولماذا نلجأ إلى المسيار، وعندنا تعدد الزوجات، وقد شرعه الله تعالى لنا بشرطه؟

ونقول لهم: وهل المسيار لون من التعداد؟ لا أتصور شابا يدخل الحياة الزوجية لأول مرة، يدخلها (مسيار). ولماذا لا يقيم مع زوجته هذه مستمراً، ليلاً ونهاراً، إذا لم يكن له زوجة أخرى، وبيت آخر؟

الواقع أن الذي يلجأ إلى هذا الزواج تكون له زوجة أولى، وله بيت مستقر، وفي الغالب له من زوجته أولاد، وتزوج هذه الزوجة الثانية – وربما تكون الثالثة – بهذه الصورة، أو بهذه الطريقة، لحاجة إلى زوجة أخرى، كما يحتاج الرجل إلى الزواج الثاني، لسبب أو لآخر، ويجد المرأة الملائمة له فيتزوجها.

المسيار والكتمان

ويقول بعض الإخوة: إن الغالب في المسيار الكتمان أو السرية. وهذا يضعف هذا النوع من الزواج، إذا الأصل في الزواج الإعلان. وقد قال علماء المالكية : إذا اشترط على الشهود الكتمان، فالزواج باطل.

نقول: إن الكتمان والسرية ليست من لوازم زواج المسيار، فبعض هذا الزواج يتمتع بالتسجيل والتوثيق في المحاكم الشرعية والسجلات الرسمية، ويكفي حضور الولي أو إذنه بالزواج فهذا كاف في تحقيق الحد الأدنى للإعلان.

على أن حرص بعض الناس على كتمان هذا الزواج عن أهليهم أو غيرهم - بعد توافر شروطه - لا يجعله باطلاً عند جمهور العلماء.

وما نقل عن المالكية مخصوص بما إذا أوصى الشهود بالكتمان حين العقد. أما إذا وقع الإيصاء بعده فلا يضره، لأن العقد وقع بوجه صحيح، وكذا إذا دخل بالمرأة وطال مكثه معها عرفًا، فلا يفسخ النكاح بعد ذلك . والمهم عندهم في صحة العقد هو : شهادة رجلين عدلين، غير الولي، بل هم لا يشترطون الشاهدين في العقد إلا من باب الندب والاستحباب، للخروج من الخلاف.

يقول العلامة الدردير، في كتابه الشهير (الشرح الصغير): وندب الإشهاد عند العقد للخروج من الخلاف، إذ كثير من الأئمة لا يرى صحته إلا بالشهادة حال العقد. ونحن نرى وقوعه صحيحاً في نفسه، وإن لم تحصل الشهادة حال العقد كالبيع، ولكن لا تتقرر صحته، وتترتب ثمرته، من حل التمتع، إلا بحصولها قبل البناء (أي الدخول) فجاز أن يعقد فيما بينهما سراً، ثم يخبرا به عدلين، كأن يقولا لهما: قد حصل منا العقد لفلان على فلانه.. الخ) في حين ذكر الشيخ الدردير هنا : أنه يندب إعلان النكاح، أي إظهاره بين الناس، لإبعاد تهمة الزنى، فجعل الإعلان من باب الندب والاستحباب لا من باب الإلزام والإيجاب.

المهم ألا يشترط عند العقد على الشهود الكتمان .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الذي لا ريب فيه: أن النكاح مع الإعلان يصح، وإن لم يشهد شاهدان، وأما مع الكتمان والإشهاد فهذا مما ينظر فيه، وإذا اجتمع الإشهاد والإعلان فهذا الذي لا نزاع في صحته. وإن خلا عن الإشهاد والإعلان، فهو باطل عند العامة (يعني الجمهور) فإن قدر فيه خلاف فهو قليل أ. هـ.) فانظر كيف وجد الخلاف، حتى فيما فقد الإشهاد فيه والإعلان جميعاً! وهذا لحرص فقهائنا على تصحيح عقود الناس وتعاملاتهم بقدر الإمكان .

وقد سألتني إحدى الأخوات في حلقة (الشريعة والحياة): هل يجوز للرجل أن يخفي أمر زواجه من أخرى عن زوجته الأولى وهي شريكة حياته، وربة بيته؟

وأقول : إن الرجل في الأعصار الماضية كان يتزوج على امرأته جهاراً، من زوجة أخرى، وفق ما شرعه الله تعالى، ولا يكتم ذلك عن امرأته، بل كثيراً ما كان يشاورها فيمن يتزوجها، بل عرفت زوجات هن اللاتي خطبن لأزواجهن الزوجة الثانية، ولكن في زماننا تغير الحال، نتيجة الاختلاط بالغرب، والتأثر بحضارته وثقافته، حيث يقبل تعدد الخليلات، ويرفض بعنف تعدد الحليلات، ونتيجة القصف الإعلامي الرهيب المتمثل في أجهزة الإعلام كلها، مقروءة، ومسموعة ومرئية، ولا سيما المرئية حيث تشنع الأفلام والمسلسلات والتمثيليات والمسرحيات على التعداد، وتبرزه في أسوأ مظهر .

وقد أثر ذلك على عقول بناتنا ونسائنا أشد التأثير، بما يشبه غسل الأدمغة من مفاهيم الإسلام وقيمه وأحكامه. وأمست المرأة المسلمة ترى الزواج الثاني كأنه جريمة منكرة، بل بعضهن يرينه وكأنه حكم عليها بالإعدام، وقالت بعضهن : لأن يزني أهون عندي من أن يتزوج أخرى. وشاع المثل القائل: جنازته ولا جوازته.

ومن هنا رأى بعض الرجال من باب الإشفاق على امرأته الأولى ألا يفجعها بهذا النبأ، ويخفيه عنها ما استطاع، فكتمان ذلك من باب الحرص عليها.

بين الجائز شرعياً واللائق اجتماعياً

وفي الختام أود أن أنبه على أمر ذي بال، وهو: أن الزواج قد يكون جائزاً من الوجهة الشرعية، ولكنه غير مقبول من الناحية الاجتماعية.

فزواج المرأة من سائق سيارتها أو من طباخها مرفوض اجتماعياً، ويعرض من

ترتكبه لسخرية المجتمع، وينزل من قيمتها عنده، ولكن لا يمكننا من الناحية الشرعية أن نقول: إنه زواج محرم أو باطل.
وكذلك زواج الرجل من خادمته الهندية أو الفلبينية ونحوها، يرفضه المجتمع، ويعتبره غير لا ئق بمكانته.
أو زواج الشيخ الكبير ابن الستين من صبية في السابعة عشرة من عمرها.
أو زواج امرأة عجوز من شاب في العشرين من عمره.
إلى غير ذلك من ألوان الزواجات غير المتكافئة، والفروق فيها صارخة، ولهذا ينكرها المجتمع بقوة، ويشتد النكير على من فعلها. ومع هذا نجدها مستوفية للشروط والمقومات الشرعية فلا نملك إلا إجازتها شرعاً.
على أن اللائق وغير اللائق اجتماعياً يختلف من مجتمع إلى آخر، وفي المجتمع الواحد من عصر إلى آخر.

موقف العلماء

أما موقف العلماء، فقد أشرت في مطلع هذه الكلمة إلى اختلافهم، شأن كل أمر جديد في مضمونه أو في شكله، وإن كنت أرى أن أكثر العلماء يجيزونه ولا يحرمونه.
في أواخر شهر ذي الحجة ١٤١٨ أواخر شهر إبريل ١٩٩٨ انعقدت بالدوحة ندوة (قضايا الزكاة المعاصرة) وشهدها أكثر من عشرين عالماً من خيرة علماء الأمة وأهل الفقه فيها وقد أثرنا في إحدى سهراتنا موضوع (زواج المسيار) وكانت الأغلبية العظمى من الحاضرين مؤيدة لهذا الزواج، ولا ترى به بأساً، وترى فيه حلاً لبعض المشكلات الاجتماعية بطريق حلال، ولم يخالف في ذلك إلا اثنان أو ثلاثة، ومع هذا لم أسمعهم قالوا ببطلان العقد، ولا اعتبروا هذا الزواج كعدمه، وأن من ارتبطوا به قد فعلوا محرماً.
كل ما قالوه: إنهم يخشون أن يكون ذريعة إلى مفاسد اجتماعية، فالأولى منعه سداً للذريعة.
ومعنى هذا أنه مباح في الأصول، ولكن إذا خشي من بعض المباحات أن تؤدي إلى ضرر وفساد، فإن منعها مطلوب وجوباً أو استحباباً، حسب مظنة الضرر، قرباً أو بعداً، كبراً أو صغراً.
وهذا كما طلب سيدنا عمر من سيدنا حذيفة أن يطلق المرأة اليهودية أو المجوسية التي تزوجها وهو بالمدائن، فأرسل إليه يقول: أحرام هو ياأمير المؤمنين؟ قال: لا ولكن أخشى أن يكون في ذلك فتنة على نساء المسلمين. وفي رواية: أخشى أن تواقعوا المومسات منهن، يعني: ألا تتحروا في توافر شرط الإحصان.
ويقول بعض المعترضين: إذا حللتم بهذا الزواج مشكلة العانس الموسرة، فكيف تفعل العانس الفقيرة التي لا مال لها؟
وأقول: إن عجزنا عن حل بعض المشكلات لا يجوز أن يكون عائقاً لنا عن حل مشكلات أخرى نجد لها حلاً. فحل مشكلات البعض أهون من ترك الكل.
فلنحل ما نقدر عليه، ولنسع مجتهدين لحل المشكلات الأخرى، ولكل مجتهد نصيب، وإنما لكل امرئ ما نوى ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ (الطلاق: ٢، ٣).
ويقول قائلون: ولماذا لا نحل المشكلة من جذورها، ونيسر الزواج الشرعي الكامل، ونزيح العوائق من طريق الحلال المشروع، من غلاء المهور، والإسراف في الهدايا والولائم والتأثيث، ورد ذي الدين والخلق لأسباب ما أنزل الله بها من سلطان، إلى غير ذلك مما عسر يسر الله؟!
وأقول: هذه يدي في أيديكم لنعمل جميعاً، مع أهل الرأي وأهل التنفيذ. وقد صار لي أكثر من ثلاثين سنة، وأنا أنادي بذلك في دروسي وخطبي ومحاضراتي ومقالاتي، في المساجد والإذاعة والتلفاز والصحف، ولكن التقاليد الراسخة لا تزول بسهولة. على أننا لو حللنا مشكلة العوانس، وهيهات هيهات، فستبقى مشكلة الأرامل والمطلقات.
فإذا وجدن في هذا الزواج حلاً لمشكلتهن مع بعض الرجال الطيبين - ولا تخلو الأرض منهم - وتراضوا بينهم بالمعروف، فلماذا نسد باباً فتحه الشرع بالحلال، لنفتح أبواباً للحرام في عصرٍ تيسرت فيه أسباب الحرام والمغريات.؟
ليكن عملنا هنا الترشيد والتسديد، بدل المنع والتشديد، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.



المتاجرة بالهامش في سوق الأوراق المالية



دكتور: شوقي أحمد دنيا•

فكرة المتاجرة بالهامش: Trading on The Margin

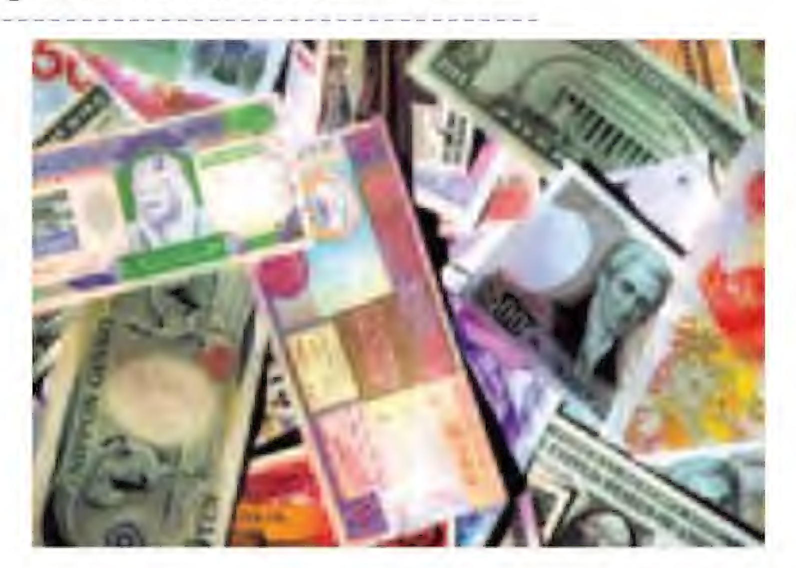
بداية تعرف هذه المعاملة في أدبيات التمويل والأسواق المالية باسمين:

١ - الشراء بالهامش أو الشراء الهامشي "Margin Purchase"

٢ - التمويل النقدي الجزئي

وليس هناك ما يمنع من تسميتها بالمتاجرة بالهامش، حيث إن المسألة لاتخرج عن كونها متاجرة بنظام معين عادة ما تكون في أوراق مالية. والأصل في البيوع أن يتم تسليم كل من الثمن والمثمن عند التعاقد (البيع الحال) أو يتم تسليم المثمن وتأجيل الثمن "البيع الآجل" أو يتم تسليم المثمن وتأجيل الثمن (السلم) أو يتم تسليم المثمن وتقسيط الثمن "البيع بالتقسيط".

• أستاذ الاقتصاد - وعميد كلية التجارة جامعة الأزهر - فرع المنصورة



لكننا هنا أمام صورة مغايرة لكل ذلك. وقد ظهرت هذه الصورة في العديد من البورصات وخاصة في الدول الصناعية، حيث يقوم المشتري، وهو عادة ما يسمى بـ العميل أو المستثمر بطلب من أحد بيوت السمسرة بأن يشتري له عدداً من ورقة مالية؛ سهماً كانت أو سنداً بنظام الشراء الهامشي، وذلك بأن يقوم المشتري بدفع نسبة معينة من الثمن على أن يقوم السمسار بدفع باقي الثمن لبائع هذه الأوراق.وقد يظن لأول وهلة أننا أمام مشترٍ متعدد مكون من شخصين. لكن الحقيقية غير ذلك فالمشتري شخص واحد، والشخص الثاني ليس طرفاً في العقد، وإنما هو سمسار يتولى شراء هذه الورقات لغيره كما يتولى بيعها لغيره، لكنه مع ذلك يقوم "إلزاماً" بإقراض المشتري ما يكمل الثمن. ومن ثم يحصل البائع للورقات المالية على ثمن ورقاته كاملاً حال تمام البيع. وبالطبع فإن السمسار يحصل من المشتري على عمولة السمسرة كما يحصل منه على فائدة على ما أقرضه من مال. وعادة ما يقوم السمسار باقتراض هذا المبلغ من أحد البنوك بفائدة، ثم يعيد إقراضه للمشتري للأوراق بفائدة أعلى ويحصل على الفرق بين الفائدتين.

ثم يقوم السمسار بحجز هذه الأوراق المالية لديه، ولا يدفعها إلى المشتري لها ضماناً لحقوق لديه، بل ويسجلها باسمه هو، فهي مرهونة لديه ضماناً للقرض الذي قدمه للمشتري لها، وقد يستخدمها لتحقيق مصالحه.

هذه هي الفكرة العامة لما يعرف بالشراء الهامشي أو التمويل النقدي الجزئي، وإليك مزيداً من البيان والتوضيح من خلال هذا التصوير.

تصوير المعاملة بمثال رقمي افتراضي كما تحصل عملياً:

نفرض أن المشتري؛ مستثمراً كان أو مضارباً يريد شراء عدد معين من ورقة مالية ولتكن ١٠٠٠ ورقة، وبفرض أن ثمن الورقة ١٠٠ جنيه. وأنه مستعد لدفع نسبة من قيمة الصفقة ولتكن ٦٠٪ من الثمن، ويسمى ذلك بالهامش المبدئي Initial Margin عند ذلك يقوم المشتري بفتح حساب لدى شركة السمسرة يسمى حساب الهامش.

ويقوم السمسار بإقراض المشتري بقية الثمن والذي يمثل هنا ٤٠٪ من القيمة، وبذلك يمكن للبائع أن يحصل على كامل مستحقاته. ويحصل المشتري على أوراق قيمتها في مثالنا هذا ١٠٠٠٠٠ جنيه مع أنه لم يدفع من موارده سوى ٦٠٠٠٠ ألف فقط.

ويمثل هذا الهامش المبدئي دفعة من الثمن، كما أنه في هذا المجال يمثل ضماناً وآماناً للسمسار، وبالتالي للبنك الذي اقترض منه السمسار، حيث إن الورقة، لديه ومهما انخفض ثمنها، حتى ولو وصل إلى ٦٠٪ من قيمتها الأساسية فإنه ضامن لحقه، حيث إن من حقه أن يبيع الورقة ولو بغير رضى من المشتري.وحتى يحقق السمسار لنفسه أكبر قدر من الأمان فإنه يتابع ويلاحظ يومياً أسعار الأوراق المالية Mark to market . وعند هبوط سعر الورقة يكون الهامش المبدئي الفعلي أقل من الهامش المبدئي المدفوع، أو بعبارة أصح يكون أقل من النسبة المتفق عليها، وهي هنا ٦٠٪، وقد ابتكرت الهندسة المالية هنا تحوطاً يعرف بهامش الصيانة أو الوقاية (Maintenance Margin). ونسبته عادة أقل من نسبة الهامش المبدئي. وعادة مالا يقل الهامش المبدئي عن ٥٠٪ من الثمن، وقد يزيد، بينما لا تسمح بعض البورصات بهامش للصيانة أقل من ٢٥٪ من الثمن. ويجب ألا يقل الهامش الفعلي اليومي عن نسبة هامش الصيانة، وعندما ينخفض الهامش الفعلي عن هامش الصيانة يطلب السمسار من المشتري دفع مبلغ يدعم به الهامش الفعلي ليصل إلى الهامش الوقائي.وإلا باع جزءاً من الأوراق المالية، وبهذا أو ذلك يرتفع الهامش الفعلي إلى مستوى هامش الصيانة. ومن ثم يصبح السمسار في أمان من عدم قدرة العميل سداد ما عليه. وبفرض أن القيمة السوقية للأوراق محل الصفقة قد ارتفعت، عندئذ يصير الهامش الفعلي أكبر من الهامش المبدئي، ويكون من حق العميل أن يسحب جزءاً من المبلغ الذي سبق وأن دفعه أو يزيد مشترياته من الأوراق محل الصفقة، على أن تتم تغطية قيمة هذه المشتريات الجديدة بقرض يحصل عليه السمسار، كما حدث في البداية، وهكذا فإن الشراء بالهامش يسمح آلياً بتخفيض أو زيادة حجم الاستثمار أو التعامل في ضوء الأوضاع المتغيرة للسوق.

مزايا الشراء بالهامش:

يعد الشراء بالهامش عند علماء التمويل أحد المنتجات المهمة للهندسة المالية ويثير إعجاب العديد منهم، كما أنه يلقى ترحيباً قوياً من الكثيرين. فما هي مزايا هذا المنتج

المالي الجديد؟ يعزى لهذا المنتج الهندسي المالي ميزة الانسياب والابتعاد عن التعقيدات، كما يعزى له ما يحققه من تغطية ذاتية ضد المخاطر. وكل ذلك يمكن إدراكه من النظر في ميكانيكية عمل هذا النظام. يضاف إلى ذلك ما يوفره من ركن الاستمرارية فهو نظام قابل للبقاء والاستمرار، وذلك من خلال كونه يحقق مكاسب ومزايا لكل الأطراف المتعاملة به. ويمكن توضيح ذلك في الفقرات التالية:

١- بالنسبة للمشتري أو المستثمر أو المضارب حقق له الحصول على قرض يدعم ما لديه من موارد بسعر فائدة أقل مما لو قام هو باقتراضه من البنك. ثم إنه قد حصل على أصول ذات قيمة أكبر من موارده، فهو قد دفع أقل ليحصل على الأكثر. ومن ثم فقد حرر جزءاً من موارده لاستخدامه واستثماره في أعمال أخرى. ثم إنه تمكن من اغتنام فرصة انخفاض سعر بعض الأوراق المالية فقام بشراء كمية كبيرة منها دون تحمل ضغط قلة موارده. ولا شك أن لجوءه إلى البنك لاستكمال ثمن الصفقة قد يستغرق وقتاً أطول، وبالتالي قد يرتفع سعر الورقة، فتضيع عليه فرصة تحقيق المزيد من الأرباح. يضاف إلى ذلك أن هذا النظام يحقق للمشتري مطلب السيولة والذي يعطيه قدراً متزايداً من الأمان، حيث يمكنه يومياً بل وفي أي لحظة خلال اليوم أن يراجع قراره الاستثماري، والتخلص من استثماراته في أي لحظة.

٢- بالنسبة للسمسار. نجد هذا النظام قد حقق له مكاسب تتمثل في حصوله على عوائد وعمولات، فما يدفعه للبنك أقل مما يحصل عليه منها من المشتري، كما أنه يحصل من المشتري على عمولات لقيامه بالسمسرة، فهو يشتري له كما يبيع له أيضا. والمهم في الأمر أنه لا مخاطر عليه في ذلك، لأن النظام يكفل وضع الأوراق المالية تحت يده، كما أن الهامش الذي دفعه المشتري يمثل ضمانة قوية لعدم خسارته، لا سيما إذا ما أدركنا ميكانيكية عمل هذا النظام.

٣- أما بالنسبة للبنك الذي أقرض السمسار فقد وظف أمواله، بقدر ضئيل من المخاطر نتيجة لآليات هذا النظام.

٤- أما بالنسبة للمستوى القومي فيرى البعض أن هذا النظام يمكن البنك المركزي من مواجهة التقلبات الاقتصادية من تضخم وكساد، ومن ثم توسيع الاستثمارات المالية أو تقليلها، وذلك من خلال تحكمه في نسبة الهامش المبدئي. فعند التوسع الزائد في الاستثمار، وما ينجم عنه من مشكلات التضخم فإن البنك المركزي يقوم برفع نسبة الهامش المبدئي، وبذلك يحد من اندفاع الناس لشراء الأوراق المالية، ويحدث العكس عند بطء حركة الاستثمارات في البورصة.

وبهذا يحقق هذا المنتج المالي فوائد ومكاسب لجميع الأطراف وبذلك يتوفر فيه مبدأ الاستمرارية.

لكن أليس للنظام وجه آخر؟ وهل بالفعل وفي الواقع تتوفر هذه الميزات؟ وأليست له مثالب ومضار على الأطراف ذات الشأن أو على الأقل على بعضها؟

هذا ما يمكن أن نعرفه ولو باختصار في الفقرة التالية.

مضار ومخاطر الشراء بالهامش:

بقدر ما أثار هذا النظام في المتاجرة إعجاب البعض بقدر ما أثار ذعر واستياء البعض الآخر. وجوهر القول فيه إن نظاماً جمع بين الوجهين المتضادين، وجه حسن وجيد ووجه آخر سيىء ورديء. ومشكلته أنه من الصعب إن لم يكن من المتعذر فصل هذا الوجه عن ذلك، بل إن الأمر فيه ليصل إلى حد أنه كلما زاد أحد وجهيه حسناً كلما زاد الوجه المقابل سوءاً.

وبالاختصار إن هذا النظام يمثل إغراء متزايداً لأطرافه، وخاصة المستثمر والسمسار، ومن ثم يلقى إقبالاً قوياً على استخدامه، وغالباً ما ينجم عن ذلك مزيد من المخاطر والمضار، وبخاصة على المستثمر وعلى البورصة وعلى الاقتصاد القومي.

إن قاعدة "كلما زاد العائد زاد الخطر" تتجسد بشكل واضح في هذا النظام. إن هذا النظام بالنسبة للسمسار قد لا يكون ضرره ومخاطره محسوسة، واضحة لأنه يحتوي على آليات حامية واقية له ضد مختلف المخاطر. كما أنه في غالب الأمر كذلك بالنسبة للبنك، لأنه من خلاله يتعامل مع بيوت سمسرة معروفة وذات مراكز مالية قوية في البورصة، وعادة ما تكون لها حساباتها في البنك، وهي تؤمن نفسها، وبتأمينها نفسها تؤمن في نفس الوقت البنوك التي تتعامل معها، وقد تودع فيها الأوراق المالية.

أما بالنسبة للمستثمر أو المشتري أو المضارب فهنا مكمن الخطر. فهم وإن كانوا يستفيدون بقوة في بعض الحالات فإنهم يضارون بعنف شديد في حالات أخرى، والمسألة تكاد بالنسبة لهم تدخل في باب الحظ أو المغامرة أو المخاطرة الجسيمة. إنهم يحصلون على الكثير من الأموال في مقابل دفع القليل من مواردهم الذاتية. تصور إنساناً يشتري منزلاً مثلاً قيمته مليون جنيه مع أنه لم يدفع من ماله فيه سوى نصف مليون. وعندما يرتفع سعره يبيعه محققاً مكاسب كبيرة وبمعدلات مرتفعة، وخاصة إذا ما نسبت إلى الجزء الذي يدفعه كهامش مبدئي أو كحق ملكية. إنه نظام أو أسلوب يغري على الشراء بما يفوق القدرة ويتجاوز الموارد. ماذا لو تقلبت الأسعار بالهبوط؟ هنا يلحق المشتري ضرر بالغ، وخاصة أنه مدين مقترض بفوائد، وقد يتعرض للانهيار والإفلاس. ولا سيما إذا ما كان مشترياً بغرض المضاربة على الأسعار، فهي ذات مخاطر عالية تجعلها تدخل في نطاق المراهنة. وعلى المشتري أن يعي جيداً أنه من خلال هذا النظام يكون مذعناً للسمسار خاضعاً لرغبته ومصلحته. ثم من الذي أدراه بالفعل عن الأسعار الحقيقية للورقة المالية، سواء في البداية أو كل يوم، إن إغراء المشتري على التعامل بهذا النمط في المتاجرة يزداد كلما قل الهامش المبدئي، وذلك لكبر العائد الذي قد يحدث، ولكن لسوء الحظ فإنه كلما حدث ذلك زادت المخاطرة قوة وارتفاعاً.

وبوجه عام كلما زادت الأسعار السوقية حقق هذا النظام للمشتري عائداً أعلى مما يحققه له نظام الشراء العادي ذو التمويل النقدي الكامل.

وكلما هبطت الأسعار السوقية، كان عائد الشراء العادي أعلى من عائد الشراء بالهامش.

ومما يلفت النظر هنا أن مرجع كل تلك الأمور هو باعتراف خبراء التمويل نظام الاقتراض والمداينة. وهم يسجلون له أنه نظام يرفع من معدلات العائد وهو في الوقت ذاته يرفع من معدلات المخاطر وهو ما يعرف بالرافعة المالية، وهو بذلك يقترب بالمتعاملين إلى المراهنين والمضاربين ويقترب بالسوق إلى كونها داراً للرهان والقمار.

شهادة خبير من أهله

ربما كان تقرير الاقتصادي اللامع موريس آليه الحائز على جائزة نوبل أقوى برهان على إدانة هذا النظام، وهذه بعض فقراته "سواء في مجال المراهنة على النقود أو المراهنة على الأسهم أضحى العالم ملهى رحباً وزعت فيه موائد اللعب طولاً وعرضاً والألعاب والمزايدات التي يشترك فيها ملايين اللاعبين لا تتوقف أبداً، ولوحات التسعير في كل البورصات، الائتمان يدعم المراهنة، إذ يمكنك أن تشتري دون أن تدفع وأن تبيع دون أن تحوز..

وإذا كان من الممكن أن تشتري دون أن تدفع وأن تبيع دون أن تحوز، فعند توقع ارتفاع أسعار الأسهم إذا كان بإمكان الناس الشراء مع تمويل مشترياتهم بقروض مصرفية مضمونة بإيداع الأسهم فإن الأسعار ترتفع في الحال. وكل من اشترى في مثل هذه الظروف سيشهد في الغد ارتفاع الأسعار، وهذا الارتفاع سيحقق توقعاته، ويحفز على الإقراض من جديد، لأجل الشراء من جديد، وبهذا فالارتفاع يجلب الارتفاع، وتتضاعف المكاسب على الورق، ويصبح المشتري ثرياً أكثر فأكثر بسهولة أكبر فأكبر والازدهار العام يحرض المصارف على المزيد من الإقراض، إذ أن مكاسبها تزداد كلما أقرضت. مثل هذا الارتفاع في الأسعار لا يقف في وجهه أي عائق، إذ يكفي اعتقاد الارتفاع واستمراره حتى ترتفع أسعار الأسهم وتبلغ مستويات لا سابق لها. ويشعر حائزو الأسهم بتزايد ثرواتهم، ولكنهم في الحقيقة ما لم يبيعوا أسهمهم التي في حيازتهم فإن أرباحهم لاتوجد إلا على الورق. غير أن مثل هذه العملية، مهما كانت قوة اندفاعها، لا يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية، ففي لحظة أو أخرى يدرك بعض المتعاملين المتبصرين أن الأسعار صارت غير معقولة فيشرعون في البيع. وحالما يبدأ الانخفاض يتوجب على المقترضين الذين راهنوا على ارتفاع الأسعار أن يواجهوا وعودهم بالدفع، وكلما كانت اقتراضاتهم أكبر كانت الصعوبات التي يواجهونها أكبر، إن لم تصبح متعذرة الحل، فعليهم للوفاء بالتزاماتهم أن يُصفُّوا أموالهم الأخرى، مما ينشأ معه ضغط يؤدي إلى انخفاض عام في الأسعار. هذه الصعوبات تؤدي إلى فقدان الثقة بالاقتصاد كله.

وقبل موريس آليه اعترف الاقتصادي المشهور كينيز بخطورة هذه المعاملات وبأن التعامل في سوق الأوراق المالية قمار في معظمه، كما أن وجود فرص توظيف الأموال في

الإقراض بفائدة يجعل من الضروري أن يكون القمار طابع أسواق المال.

ومعنى ذلك كله أن هذا النظام في المتاجرة تنجم عنه مفاسد ومضار كبيرة وعديدة على المستوى القومي، وعلى مستوى أطرافه أو على الأقل بعضهم، كما أنه مصدر رئيسي للقروض الربوية. بالإضافة إلى أنه مصدر رئيسي لعقود الخيارات ذات المضار والمخاطر الجسيمة.

ونخلص من ذلك إلى أنه من الخطأ اعتبار هذا المنتج المالي منتجاً حسناً جيداً، فالثابت أن مضاره أكبر من منافعه، كما ثبت أنه لعب دوراً قوياً في حدوث الكساد العظيم في عام ١٩٢٩ وفي ضوء ذلك نجدنا نتفق تماماً وما قاله الدكتور محمد عمر شابرا من "إن المشتريات والمبيعات بالغطاء تسبب بلا داع توسعاً أو تقلصاً في حجم الصفقات، ومن ثم في أسعار الأوراق المالية، ودون أي تغيير فعلي في عرض هذه الأوراق أو في الظروف الاقتصادية المحيطة. بل إن تغير نسب التغطية (الهامش) ومعدلات الفائدة لابد وأن يضيف في خاتمة المطاف إلى أسواق الأوراق المالية بعداً آخر من الشك ودعم الاستقراء، فإن تخفيض نسب التغطية أو معدلات الفائدة يولد حرارة غير ضرورية في السوق، ثم إن رفع هذه المعدلات بهدف إعادة الصحة إلى السوق تجبر المضاربين على تصفية مراكزهم، إذ يؤدي إلى خفض الأسعار وذبح بعض المضاربين في مذبح الآخرين العارفين بما سيجري.

التكييف الفقهي للمتاجرة بالهامش

من الواضح أن هذه المعاملة تعد جديدة في مجال الصيغ والنماذج للعقود المعروفة في كتب الفقه. وقد يتبادر إلى الذهن عند الوهلة الأولى أن قيام المشتري بشراء صفقة مع دفعه لجزء من ثمنها واقتراض من الغير لتغطية باقي الثمن هو أمر معروف وطبيعي في دنيا المعاملات، لكن المسألة عند التحري والتمعن غير ذلك تماماً. فنحن أمام حالة من الشراء مع دفع جزء من الثمن من الموارد الذاتية للمشتري ويتم دفع الجزء الباقي من خلال السمسار الذي قام بشراء السلعة أو الورقة المالية لحساب المشتري حيث يقرض السمسار المشتري بقية الثمن. ثم يقوم بالاحتفاظ بالأصل المشترى لديه كرهن حيازي ضماناً لسداد المشتري القرض والعمولة والفائدة، والأكثر من ذلك أنه يسجل الأوراق المالية المشتراة باسمه، كما أنه يجبر المشتري على زيادة ماسبق أن دفعه عند انخفاض الأسعار، وإذا لم يمتثل لذلك باع السمسار جزءاً من الأوراق المالية جبراً عنه، وعند ارتفاع الأسعار يكون من حق المشتري سحب جزء من المبلغ الذي سبق أن دفعه. ومن ذلك يتضح أن هذه المعاملة معقدة ومكونة من العديد من الجوانب والعناصر، وهي بهذا تمثل صورة جديدة تماماً من التعامل. وهذا ما يعترف به علماء التمويل والأسواق المالية، حيث يعتبرونه من أنواع المنتجات الحديثة لما يعرف بالهندسة المالية.

ونحن بهذا أمام مشتر واحد لكن الثمن يشترك في دفعه اثنان بالضرورة، والثاني يدفع ما يدفعه من الثمن على سبيل القرض للمشتري.

فهل نحن بذلك حيال هذه المعاملة أمام عقد يجمع بين البيع والقرض، وهو ما يعرفه الفقه الإسلامي ويرفضه؟ يرد على ذلك أن المعهود لدى الفقه في حال اجتماع البيع والقرض أن يتم ذلك من البائع والمشتري، فتجري بينهما صفقة بيع مقرونة بقرض من أحدهما للآخر. وحيث إنه من المتوقع أن ينتفع هنا المقرض من قرضه منع اجتماع البيع والقرض.

بينما ما نحن بصدده ليس كذلك، فالبائع لا علاقة له من قريب أو بعيد بعملية القرض، ولا يعرف عنها شيئاً فقد باع أوراقاً وقبض ثمنها وانتهى أمره.

فهل علاقة المشتري بالسمسار هي العلاقة المعهودة في الفقه الإسلامي، حيث يتولى شخص له دراية ومعرفة بالسوق بالشراء لشخص آخر لا دراية له نظير عمولة معينة؟

في الواقع إن الأمر هنا، من خلال التصوير السابق لهذا النظام، مغاير لذلك. فعنصر السمسرة قائم ولا مجال لنكرانه، لكنه انضم إليه من العناصر ما يجعله مغايراً لعقد السمسرة الطبيعي العادي المعهود. فهناك الإقراض الإلزامي الذي يقدمه السمسار للمشتري، وهناك نظام زيادة ما دفعه المشتري وإنقاصه، وهناك حجز الأوراق المشتراة إجباراً لدى السمسار، وهناك حقه في التصرف فيها جبراً عن المشتري في بعض الحالات. وإذن فعلاقة السمسار بالمشتري تجمع هنا في الحقيقة بين السمسرة والإقراض والرهن.

وليس معنى ذلك أننا في المتاجرة بالهامش أو في الشراء بالهامش أمام عقد مركب من سمسرة وقرض ورهن لأن العقد المركب المعهود هو ما يكون بين طرفي العقد الأصليين، والأمر هنا غير ذلك حيث إن الطرفين الأصليين هما البائع والمشتري. ولا يوجد بينهما سمسرة ولا إقراض ولا رهن. وحتى لو ضممنا البائع وأدخلنا عقد البيع في الحسبان فنكون أمام عقد مركب من بيع وسمسرة وقرض ورهن، وهناك أطراف ثلاثة لا مجال لانفكاك طرفين منهما دون الثالث. والأولى من ذلك كله أن ننظر لهذه المعاملة على أنها معاملة مستجدة، لا تكيف فقهاً من خلال إلحاقها بهذا العقد أو ذلك من العقود المعهودة في الفقه، وإنما ينظر لها على أنها عقد مستجد يسمى الشراء بالهامش، ويحكم عليه شرعاً من خلال محاكمته أمام النصوص والقواعد الشرعية. وهذا ما نعرض له في الفقرة القادمة.

الحكم الشرعي للشراء بالهامش

في ضوء ما سبق من تصوير مالي لهذا النموذج من الشراء، وكذلك ما سبق من تبيان لآثاره وما ينجم عنه اقتصادياً يمكن القول إن هذا النموذج من الشراء مرفوض شرعاً، وذلك لحيثيات عديدة أهمها:

١- أنه يتضمن في صلبه قرضاً ربوياً يقدمه السمسار للمشتري. ووجود ذلك يبطل العقد، ولا يقال يصح العقد ويفسد الشرط الربوي. فلا يمكن تصور قيام عقد الشراء هذا دون وجود قرض ربوي.

وبهذا الصدد أطرح مسألة للنظر الفقهي فيها. إذا كان الشراء بهذا الشكل محظوراً شرعاً فهل البيع كذلك. وتظهر المسألة بوضوح فيما لو تم الشراء فإن المشتري يأثم لكن هل البائع هو الآخر يأثم إذا لم يكن على علم بنظام الدفع؟

٢- هذا الشراء يدخل باعتراف خبرائه في ميدان المراهنة والمقامرة، وهي حرام شرعاً.

٣- هذا الشراء باعتبار ما ينجم عنه ومآلاته يولد المزيد من المضار والمخاطر، سواء على بعض أطرافه أو على المجتمع ككل، وذلك من خلال ما يحدثه من هزات اقتصادية عنيفة تلحق أبلغ الأضرار بالاقتصاد القومي. وهو بذلك يصير مرفوضاً شرعاً.

٤- ثم إنه يعد مدخلاً لعقود أخرى مرفوضة لما تولده من أضرار، وما يؤدي إلى حرام فهو حرام.

٥- وكذلك هو يعين على تصرفات محرمة من قبل السمسار ومن قبل البنوك والإعانة على المعصية حرام شرعاً.

٦- ثم إنه بما يحدثه من تقلبات حادة وسريعة في الأسعار بغير مبرر موضوعي، وإنما جرياً وراء مصالح خاصة فإنه يدخل في الممارسات المرفوضة شرعاً والتي فيها بيع النجش والبيع الصوري وبخس الناس أموالهم. ولاشك أن الشراء بالهامش هو في غالب حالاته بيع صوري أو مظهري (wash sale) وهو تماماً ما عبر عنه الحديث الشريف بالنجش.

٧- وينضم إلى ذلك ما فيه رأي بعض الباحثين من بيع السلعة قبل قبضها. وهذا ممنوع شرعاً. لكن يرد على ذلك أن الأوراق المالية محل الصفقة قد قبضت بالفعل من البائع وتسلمها المشتري، وإن كان من خلال سمساره. المهم أنها آخرجت من تحت يد البائع ودخلت في حوزة المشتري، ولا يضير بعد ذلك ما يحدث بين السمسار والمشتري، المهم أن النص النبوي القائل بمنع البيع قبل القبض لا أرى أنه ينطبق هنا.

٨- بالطبع فإن الأوراق المالية والتي هي عادة ما تكون محل صفقة الشراء بالهامش تحتوي على أسهم وسندات. وكلامنا هنا ينصرف إلى الأسهم، أما التعامل في السندات ذات الفائدة فهو مرفوض مطلقاً، ولا يجوز شراؤها بتمويل كامل أو بتمويل جزئي.

وبالطبع فإن محور الحديث حول معاملة معينة تحدث في البورصات هي المتاجرة بالهامش، وهي غالبا ما تكون في أوراق مالية. ومن المعروف أن التعامل في الأسهم من حيث المبدأ وبفرض أنه بيع وشراء عادي مع دفع كامل الثمن فإن ذلك يجوز طالما لم تكن أسهم شركات ذات نشاط محرم.

وفي النهاية أحب أن أشير إلى أن الشراء بالهامش قد أثير عرضاً في ندوة الأسواق المالية من الوجهة الإسلامية، المنعقدة في الرباط خلال شهر ربيع الثاني ١٤١٠هـ، وفيها طرح هذا السؤال: ما حكم شراء السهم ودفع جزء من قيمته وإقراض السمسار الباقي. وكان الجواب: الشراء جائز والإقراض مقبول بشرط ألا يترتب عليه أية زيادة في مقدار القرض. وتعليقي أن هذا غير الواقع وعلى خلاف ما يجري عليه العمل في البورصة حيث لا قرض بغير فائدة. وبالتالي

فالسؤال في واد والجواب في واد آخر.

كما قد أثير عرضاً في دورة مجمع الفقه الإسلامي السابعة عند تناول الأسواق المالية. وفي بحث الدكتور القره داغي وجدناه يحرمه قائلاً: "هذه الصورة بهذا الواقع الربوي لا تقبلها الشريعة الغراء، إذ مخالفتها لها واضحة جداً وهذا هو ماتراه.

ملاحظة ختامية:

تعبير الهامش (Margin) يظهر في البورصة في مجالين: مجال الأسواق الحاضرة، وهو ما تحدثنا عنه في هذه الورقة، ومجال الأسواق الآجلة أو بالأحرى المستقبلية وهو ما نلقي نظرة سريعة عليه هنا.

في العقود المستقبلية حيث يتفق اثنان على أن يجريا صفقة مستقبلية، أحدهما يشتري والثاني يبيع، ويتم ذلك في بورصات معينة. وفي هذا النوع من العقود يظهر الهامش كضمان لنجاح سوق هذه العقود، حيث يؤمن وفاء كل المتعاملين فيها بالتزاماتهم، وذلك من خلال تقديم ضمان نقدي معين يسمى الهامش. وهنا نجد، كما في العقود الحاضرة، الهامش المبدئي وهامش الصيانة، ونجد تعلية الهامش الفعلي إذا انخفض عن هامش الصيانة وإلا صفي حساب الطرف الذي لم يستجب لذلك. وما يقدمه كل من البائع والمشتري من هامش مبدئي يدفع إلى السمسار الذي يقوم بدوره بإيداع هامش لدى غرفة المقاصة ويسمى أيضا هامشاً مبدئياً.

وهناك فروق عديدة بين الهامش في العقود الحاضرة والذي يسمى الشراء بالهامش، والهامش في العقود الآجلة "المستقبلية" فهو هناك نسبته أعلى بكثير منه في العقود المستقبلية. ثم إنه في العقود الحاضرة يكيف الهامش على أنه دفعة مقدمة في معاملة يتم فيها اقتراض النقود من السمسار، بينما يقصد به في العقود الآجلة حسن النية Good Faith، وليس دفعة مقدمة، لأن ملكية السلعة لم تنقل في العقود المستقبلية عند إبرام العقد. وبالتالي فالهامش هنا ضمان لكمال العقد، بينما هو هناك جزء من ثمن الصفقة وضمان في نفس الوقت للجزء الثاني، وهكذا نجد أن فكرة الهامش تظهر في مواطن متعددة في البورصة، لكنها في بعض المواطن تظهر باسمها ومصطلحها كما هو الحال في المتاجرة بالهامش أو الشراء بالهامش أو التمويل بالهامش في الأسواق الحاضرة. وفي بعض المواطن لاتظهر كمعاملة قائمة بذاتها وإنما تعتبر عنصراً من عناصر معاملة تسمى بالعقود المستقبلية.

ومن الواضح أن العقود المستقبلية لا تدخل في نطاق ورقتنا هذه لأنها مغايرة كل المغايرة للشراء بالهامش. وتحتاج دراسة مستقلة تجلي صورتها وتمكن من تكييفها والحكم الشرعي عليها.

مراجع البحث مرتبة حسب ورودها فيه

١- د. منير هندي، الفكر الحديث في إدارة المخاطر - الهندسة المالية باستخدام التوريق والمشتقات، الجزء الأول: الاسكندرية، منشأة المعارف ٢٠٠٢م.

٢- د. منير هندي، الأوراق المالية وأسواق رأس المال، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩٩م.

٣- د. طارق عبد العال حماد، المشتقات المالية، الدار الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٣م.

٤- د. محمد عمر شابرا، نحو نظام نقدي عادل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٨٧م.

٥- د. معبد الجارحي، الأسواق المالية في ضوء مبادئ الإسلام، ندوة الإدارة المالية، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان ١٩٨٩م.

٦- د. نظير رياض وآخرين، الإدارة المالية والمتغيرات المعاصرة، القاهرة ٢٠٠١م.

٧- موريس آليه، الشروط النقدية لاقتصاد الأسواق - من دروس الأمس إلى اصلاحات الغد، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، البنك الإسلامي للتنمية، سلسلة محاضرات العلماء البارزين رقم (١) ١٩٩٣م.

٨- ندوة الأسواق المالية من الوجهة الإسلامية، الرباط، في شهر ربيع الثاني ١٤١٠هـ.

٩- د. على القره داغي، الأسواق المالية في ميزان الفقه الإسلامي، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد السابع، الجزء الأول ١٤١٢هـ، ص ١٦٤ .

وحدة الأمة الإسلامية في مجال الاقتصاد شروطها ومقوماتها

تحقيق: عبد الله الشيعاني

■ يتجه العالم في عصر التكتلات الكبرى إلى إقامة كيانات وكتل على أساس المصالح الاقتصادية وعلاقات الجوار، والدول الإسلامية التي يزيد عدد سكانها على مليار مسلم يوحدها دين واحد، وأمة واحدة، وهمّ واحد، وعلى الرغم من أن الأمة لديها مقدرات في تكوين كتلة اقتصادية، فإن المقومات اللازمة لذلك في الوضع الحالي ما تزال ضعيفة، مما يجعل اقتصاد الدول الإسلامية ضعيف الأثر في الاقتصاد العالمي.

ولأهمية الموضوع استضافت مجلة "الرابطة" عدداً من العلماء والمفكرين من أصحاب الاختصاص والمهتمين في المجال الاقتصادي، لاستقصاء آرائهم حول تكوين كتلة اقتصادية إسلامية ومدى نجاحها، وعرض المعوقات التي تحول دون تحقيقها.



يوضح معالي الدكتور صوفي حسن أبو طالب رئيس مجلس الشعب المصري الأسبق بأن نجاح أي نظام سياسي يتوقف على سلامة نظامه الاقتصادي . وقد حبا الله البلاد الإسلامية بثروات طبيعية متعددة ، ولكنها -للأسف الشديد- لم تستغل ولم تستخدم بصورة جيدة ؛ ولذلك ظلت البلاد الإسلامية ضعيفة اقتصادياً ، رغم أن مواردها تؤهلها لأن تكون القوة الاقتصادية السادسة في العالم المعاصر . ويظهر ضعف اقتصادها في أنه يعتمد في معظم البلاد أساساً على الزراعة ، والبترول الخام ،والموارد المعدنية ؛ ولذلك فإن التجارة البينية بين دول العالم الإسلامي ضعيفة جداً ، فهي لا تتجاوز فيما بين الدول العربية ٨ ٪ من حجم تجارتها الخارجية .

ويضيف معاليه : لقد خلّف العلماء المسلمون ثروة ضخمة في المجال السياسي والاجتماعي والقانوني ، تضارع -من عدة وجوه- أحدث النظم المعاصرة ، وتصلح لحكم المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، ولكنها تخلفت في المجال الاقتصادي : لأن المسلمين لم يشاركوا في النهضة الصناعية والتكنولوجية الحديثة ، ولذلك اعتمدوا تماماً على الفكر الاقتصادي الغربي والنظم الغربية التي تحكم العلاقات الاقتصادية ، سواء داخل بلادهم أم علاقاتهم الخارجية الدولية . المحاولات العديدة للتوفيق بين النظم الاقتصادية الغربية والنظم الإسلامية ، و لم تسفر عن تحقيق كل ما يتطلع إليه المجتمع الإسلامي ، والوصول إلى استقلاله الفكري في المجال الاقتصادي ، ومضاعفة الجهود لابتداع نظم إسلامية تحل محلها بالتدريج .

ومن ناحية أخرى ، يعيش العالم المعاصر عصر التكتلات الاقتصادية الكبرى ، ولا تستطيع أية دولة إسلامية بمفردها أن تواجه هذه التكتلات ؛ ولذلك ظهرت اتجاهات قوية تستهدف تحقيق قدر من التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية ، ولكن اختلاف النظم الاقتصادية السائدة في العالم الإسلامي حال دون ذلك . ولعل الاتجاه العالمي الجديد وقيام منظمة التجارة الدولية يدفع الدول الإسلامية نحو تحقيق قدر من التكامل الاقتصادي .



د.أبو طالب:

لدينا القوة الاقتصادية السادسة في العالم المعاصر

الأمل كبير

ويرى معالي الدكتور عبد الله بن عمر نصيف الأمين العام الأسبق لرابطة العالم الإسلامي ، ونائب رئيس مجلس الشورى السابق في المملكة العربية السعودية بأننا نعيش في عصر كله تكتلات وأنشطة اقتصادية واجتماعية ومنتديات عالمية مختلفة ، والعالم متحد فلا تستطيع دولة بمفردها أن تعمل ، ولدينا منظمة المؤتمر الإسلامي التي ظهرت بدعوة من رابطة العالم الإسلامي لتكون ممثلة للحكومات الإسلامية ، والبنك الإسلامي للتنمية . ولذلك فالأمل كبير بأن تنشط هاتان المنظمتان مع الهيئات التابعة لها ، وأيضا يبدأ أسلوب عمل جديد لتفعيل إنشاء السوق الاقتصادية المشتركة ، وتكوين وحدة اقتصادية مشتركة ، والبدء في تنفيذ إنشاء المحكمة الإسلامية فكل هذه الأشياء يجب أن تفعّل . فهناك روح جديدة في منظمة المؤتمر الإسلامي ، والمملكة العربية السعودية تضع اهتماما كبيراً لتفعيل هذا الاهتمام ، وخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز يوصي بالاهتمام بها ، وعندي تفاؤل بإنشاء تكتلات إسلامية إيجابية قريباً ، فنحن نريد أن نلغي الصورة التي تشاع في وسائل الإعلام في الغرب بأن المسلمين لا يتجمعون إلا لأشياء سلبية . بالعكس الإسلام دين المحبة والسلام والايجابية ، فلذلك نريد من هذه الهيئات أن تتفاعل وتصبح لها تكتلات ايجابية تعمل مع بقية التكتلات العالمية في الأديان والثقافات الأخرى .

"تطويق غربي"

ثم تحدث إلى الرابطة معالي الشيخ يوسف جاسم الحجي رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في الكويت قائلاً : إن الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نعتصم بحبله كمسلمين ، ولابد أن يكون لنا دور في أن ننمي اقتصادنا ، وأن لا نحتاج إلى الآخرين . فالغرب قد تكتل بالسوق الأوروبية المشتركة ، وكّون اقتصاده وصناعته وتقدمه بهذا السبيل . وقد عقدت

مؤتمرات كثيرة ناشدت بإنشاء سوق إسلامية مشتركة ، وتكلمنا بهذا في عدة مؤتمرات واجتماعات ، ولا نزال ننادي بضرورة وجود السوق الإسلامية المشتركة ، فعندما قامت البنوك الإسلامية، وخاصة البنك الإسلامي للتنمية ، والمصارف الأخرى ، واتحاد المصارف الإسلامية ، كان أملنا أن يكون هناك سوق إسلامية مشتركة . فالاقتصاد الإسلامي عن طريق البنوك الإسلامية قد قطع ولله الحمد شوطاً طويلاً في هذا المجال ، وكوّن اقتصاداً جيداً والمطلوب أن ننشئ المصانع والمنشآت العلمية والتقنية التي تنفع المسلمين ، ولا يزال هذا البحث يناقش في عدة مؤتمرات ، وحتى الآن لم تأتِ العزيمة الصادقة التي تكّون هذا المشروع . فنحن بشغف أن نسمع قريباً عن تكوين هذا الكيان الاقتصادي ، فالصناعات المشتركة تم تكوينها قبل ثماني سنوات تقريباً في سوق أو تجمع من قبل ثماني دول إسلامية صناعية منها : اندونيسيا وتركيا والباكستان ومصر ونيجيريا وإيران وغيرها ، اجتمعوا لتنمية هذا المشروع ، ولكن للأسف طوق المشروع من قبل بعض الدول الغربية ، بحيث يتقوقع ويقف في مكانه ، ونرجو من القادة المسلمين أن يوقظوا الأمل وينطلقوا بهذه الغاية التي تنادي بها الشعوب في كل مكان ، والسبب أن الغرب بهذا التطويق يريدون السيطرة على المسلمين ، فهم يرهقون كاهلنا بالديون حتى نكون بحاجة دائمة لهم ، وهذا الأمر جعل هذه الدول تتردد في الإقدام على هذا المشروع الوحدوي ، ونرجو من الله أن تأتي العزيمة الصادقة وأن يأتي المشروع بالطريقة المدروسة لتحقيق النتائج المطلوبة .



العولمة الاقتصادية

ومن جانبه يرى معالي الدكتور مصطفى المصمودي وزير الإعلام التونسي السابق ورئيس معهد " ماسميديا " الإعلامي ورئيس الجمعية التونسية للاتصال بوجوب ربط هذا الموضوع بموضوع حضور المسلمين في منظومة العولمة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، فهي شاملة عالمية ، قدرنا أن نشارك فيها ، ونسبتنا كمسلمين في حدود ١٦-١٧ ٪ من سكان الكرة الأرضية ، فإما أن نكون متعايشين متكاملين مخططين لاقتصادنا ونمونا ونشر ثقافتنا ، أو نبقى مهمشين . فالتوجه العالمي أن نكون في اتجاه التكتل ، في اتجاه التجمع ، ويمكن لنا أن نشكل مجموعة وعائلة كبرى ، أما أن نبقى ونقوم في نطاق العزلة والانفصال ، أو أن نتكتل . فحينما تكون مجموعتنا الإسلامية بما أوتيت من إمكانيات اقتصادية وبشرية ، فالإمكانيات النفطية في حد ذاتها تشكل نسبة كبيرة ، وعنصراً أساسياً للتحرك على الصعيد العالمي ، وللمفاوضات . ولكي نصل إلى هذا المستوى لابد لنا من الإرادة وضرورة وجود التفتح ، والنظر إلى المستقبل ، وضرورة التخلص من بعض الشوائب ، والوضع العالمي يحتم علينا أن نكون معايشين متطورين مع العصر ، مستخدمين لكل الإمكانيات المتاحة أمامنا ، وموكول إلينا أن نوظف عقولنا لتحقيقه ، وهذا في متناولنا تماما ، وعلى أساس أن يقنع كل الأطراف بذلك ، وأن نتوجه من هذا المنطلق الحضاري الذي يملي علينا إثراء حضارتنا العربية والإسلامية التي كانت واضحة قائمة الذات ، ولابد أن نغذيها بالجديد ، ويجب أن يكون هذا التكتل على أساس الفهم الصحيح لهذا الواقع ، وعلى أساس التكامل الواعي الذي يحترم الغير والرأي المخالف ، ويبني المستقبل بناء على التراكمات العلمية والثقافية .

النظرية الإسلامية

وقال الشيخ محمد علي التسخيري الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية : الحقيقة لا أقول يجب علينا أن نوفر كل الظروف والإمكانات لتكوين كتلة اقتصادية كبرى ، خصوصا إذا لاحظنا توجهات الإسلام الوحدوية في كل المجالات ، ومنها المجال الاقتصادي ، وإذا لاحظنا أوامر الإسلام بتحقيق التكافل بين أبناء الأمة الإسلامية جمعاء . فكل مسلم يمثل أي مسلم آخر في أي مكان من العالم ، وهذه المسؤولية كفائية إذا لم تتحقق يسأل

عنها المسلمون جميعاً ، فعلى أساس من نظرية الإسلام الاقتصادية في التوازن في مستوى المعيشة ، وفي التكافل لتحقيق الحاجات الأساسية والطبيعية ، تقول إن الأمة الإسلامية ملزمة بتحقيق هذه الوحدة . يبقى السؤال هل يمكن تحقيق هذا الأمر مع وجود الاختلافات في مستوى المعيشة والدخل العام ، والجواب حتى ولو لم يكن ممكنا علينا أن نهيئ لتكوينه وتحقيقه ، خصوصاً وأن التحديات العالمية أمامنا خطيرة ، والعولمة الاقتصادية خطيرة جداً، والمسؤولية مضاعفة اليوم لتحقيق كتلة اقتصادية ضخمة كبرى ، ونحن نملك واقعاً الإمكانات الاستراتيجية والمعادن الضرورية والمال والقدرة والطاقات البشرية كل هذه الأمور تحقق لنا إمكانية الوصول إلى وحدة مشتركة .

الضمان المتين

من جانبه يرى الأستاذ الدكتور أبولبابة الطاهر صالح حسين عضو المجلس الأعلى العالمي للمساجد والأستاذ في جامعة الإمارات العربية المتحدة بأنه إذا كانت العقيدة المشتركة والشريعة الجامعة والقيم الموحدة والثقافة الواحدة تعد الأسس الصلبة التي تقوم عليها وحدة الأمة الإسلامية ، فإن توحيد مصالحها المادية وربطها بمؤسسات اقتصادية كبرى وبمشاريع تشييد البنية التحتية المشتركة التي تسهم في تنمية أوطان الأمة تعتبر الضمان المتين لإقامة الوحدة والتمسك بها والدفاع عنها وحمايتها من أعدائها . ولنا في أوروبا مثال حيّ على نجاعة هذه المؤسسات ودورها الفعال في بناء وحدتها . فقد قام الاتحاد الأوروبي على جملة من المعاهدات المركزية التي تعد المؤسسة للوحدة الأوروبية منها : المجموعة الأوروبية للفحم والصلب .المجموعة الاقتصادية الأوروبية المجموعة الأوروبية للطاقة الذرية ، وهي مؤسسات وحدت بين مصالح الشعوب الأوروبية وحددت معالمها وحركيّتها معاهدات خضعت للتنقيح والتعديل مرات عديدة ، وتلتها معاهدة الاندماج التي أسست البرلمان والمفوضية الأوروبية وتوجت بمعاهدة تأسيس الاتحاد الأوروبي .

ويستدل فضيلته قائلاً : ومما اقترحه الدكتور عبدالرزاق السنهوري رحمه الله عميد الحقوقيين العرب لتفعيل آليات الوحدة الإسلامية " إلغاء الحدود وهو ما صنعته أوروبا ، وإنشاء الدينار الإسلامي الواحد وهو ما حققته أوروبا باليورو ، وتشكيل مجلس أهل الحل والعقد وهو ما حققته بالمجلس الأوروبي ببروكسل ، وتشكيل ديوان المظالم وهو ما حققته أوروبا بالمحكمة الأوروبية بسترازبورغ ، وإقامة بيت مال المسلمين وهو ما حققته بالبنك المركزي الأوروبي ، ووضع ميثاق العهد الإسلامي وهو ما ستحققه بدستورها المشترك ، ومبايعة الخليفة العادل الصالح وهو ما تسعى أوروبا لتحقيقه بانتخاب رئيس الاتحاد " .



د.الحجي:

مشروع الوحدة الاقتصادية غاية تنادي بها الشعوب

ولا شك فإن أوروبا استطاعت تحقيق ما حققته لأن شعوبها تملك إرادتها وتتمتع بحريتها وتتصرف في الصغير والكبير من شؤونها بديمقراطية . ولذلك فإن على الأمة الإسلامية إذا أرادت بناء وحدتها ورفع ما تلقاه من التهميش أن تعود إلى شريعتها وأخلاقها وقيمها وربط الأمة بمصالح شعوبها الاقتصادية المشتركة والمؤسسات التشريعية والدستورية الواحدة .

قوة ضاغطة

ويرى الأستاذ الدكتور عبد الناصر موسى أبو البصل عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة اليرموك في الأردن بأنه من الممكن إذا صلحت النيات أن يكون هناك تكتل اقتصادي كبير ، بشرط أن توضع آلية لوضع اتحاد مصرفي إسلامي ، أو اتحاد شركات كبرى ، وتتعاون فيه الدول وأصحاب رؤوس الأموال ، وجعل هذا التكتل قائماً كما هو الحال في الدول الغربية ، فهناك محاولات إسلامية ، لكننا لتحقيقه نريد أن تكون المحاولات الإسلامية عن طريق اتفاق الدول الإسلامية فيما بينها ، بإنشاء سوق إسلامية مشتركة ، وإنشاء تكتلات اقتصادية بين الشركات وبين المؤسسات الاقتصادية الكبرى لتكون قوة ضاغطة في الاقتصاد العالمي ،

وحتى يكون المنتج الاقتصادي منافساً للمنتجات الاقتصادية الأخرى.

ولتحقيق الوحدة الاقتصادية الإسلامية ينبغي أن يكون لدينا الرغبة والنية الصادقة مع أنفسنا ، وكذلك الوعي الكامل والعلم قبل العمل بضرورة هذه المسألة ، والعلم بها والتحضير لها بشكل كامل وصحيح ، مع صدق النيات لأن المسألة الاقتصادية تحتاج إلى خبراء وعلماء متخصصين في هذا المجال . فإذا درست وبيّنت النتائج للناس ولأصحاب رؤوس الأموال والدول ، وخاصة الإيجابيات التي ستتحقق من خلال هذه التكتلات ، فسوف يكون لها مجال واسع .

فالمسألة تبدأ بفكرة ، ثم بخطة عمل ، ثم بالتنفيذ . والحقيقة أن المقومات الأساسية موجودة فالعقول الاقتصادية والمواد الخام والمجالات الاستثمارية وكل المقومات موجودة ، وهناك إشارات اقتصادية في بعض الحروب التي تقع في المنطقة لخصوصية الموقع ، ولغزارة الثروات الموجودة فيها ، حتى الجو وأشعة الشمس مما نحسد عليها ، فهي تعتبر طاقة وكذلك النفط وما إلى ذلك .

ثقافة مجتمعية

من جانبه يرى الأستاذ الدكتور عبد الله عبدالفتاح التطاوي نائب رئيس جامعة القاهرة لشؤون خدمة المجتمع وتنمية البيئة بأنه لا تكتمل للأمة وحدتها وتكاملها إلا بدرجة وعي أبنائها، وضمان تواصل أجيالها مسلّحين بحزمة من الثقافات التراثية والمعاصرة، بعيداً عن الانقسام على الذات، أو الزعم بالانفصام واصطناع الخصومة بين القديم والجديد، فللقديم أصالته وعراقته وجدارته بالبقاء والإحياء والتجدد؛ خاصة إذا دخلت عليه عوامل التطوير والتحديث، وللجديد موقعه واحترامه وضرورته الضامنة لصحة الحوار مع الآخر تفاعلاً وتثاقفاً، وهو مطلب ضروري لاكتمال المنظومة دون انشطار أو تمزُّق.

على أن وعي الأجيال وتحقيق التواصل بينها لا يظل مسئولية رسمية لحكومةٍ ما، بقدر ما يتحول إلى ثقافة مجتمعية لها طابعها الشعبي والجماهيري الذي يرتبط بطبيعة الشعوب الإسلامية التي تمتلك من وحدة التراث وتجانسه، ومن مقوماته وتكامله ما يدعوها - على الفور- إلى تحقيق مبادرات التوحُّد ودعوة التلاقي، وبين ما يجب على شعوب الأمة من تحقيق ضرورات التكامل الاقتصادي والمعرفي، بما يدعو إلى صناعة برامج التوحُّد باعتباره الخيار الأوحد في زحام ما حولها من تحديات وتكتلات وصراعات لا تعترف إلا بمنطق القوة في ظل المتغير العالمي بما يتطلبه من الجرأة والقدرة على التنافسية بتحقيق الجودة.



د. المصمودي:

الوضع العالمي يحتم علينا أن نكون متطورين مع العصر

الارادة الجادة

ويوضح الأستاذ الدكتور محمد عبد الحليم عمر الأستاذ بكلية التجارة ومدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي في جامعة الأزهر أنه كما توحد المسلمون في أمور الدين فعليهم أن يتوحدوا في أمور الدنيا ,و أحد المداخل الأساسية لذلك هو الوحدة الاقتصادية ,لأن عالم اليوم يشهد تكتلات بين الدول في مجالات الاقتصاد والسياسة من أجل مواجهة العولمة وما تحمله من مضامين تنافسية البقاء فيها للأقوى اقتصادياً.

فالإمكانات الاقتصادية في العالم الإسلامي تتنوع طبقاً للموارد اللازمة للنشاط الاقتصادي سواء الموارد البشرية أو الزراعية أو الطاقة والتكنولوجيا فبالنسبة للموارد البشرية عدد السكان في العالم الإسلامي ١٣٠٦,٣ مليون نسمة ، بنسبة٢١٪ من سكان العالم. و أما الموارد الزراعية فتبلغ مساحة البلاد الإسلامية ٣٠٠٧٧ ألف كم مربع وبنسبة ٢٢,٥٪ من مساحة العالم، وتبلغ المساحة المزروعة نسبة ١٤,٠٩٪ من المساحة الكلية موزعة إلى أراضي محاصيل دائمة بنسبة ٢,٩٥٪ وأراضي محاصيل أخرى بنسبة ١١,١٤٪ .أما الموارد الطبيعية فنجد أن نصيب العالم الإسلامي من أهمها على الوجه التالي: البترول ٣٥٪، الفوسفات ٢٩٪، القصدير ٣٥٪، المنجنيز ١٢٪، الحديد ٢,٢٪. وبالنسبة للطاقة اللازمة للإنتاج والاستهلاك فيبلغ إنتاج

الطاقة التجاري آلاف الأطنان المترية ٣٦١٠.٨ ألف طن متري بنسبة ٣٧.٥٪ من إجمالي الطاقة المنتجة في العالم، ويبلغ الاستخدام التجاري منها داخل الدول الإسلامية ٩٨٨.٩ ألف طن متر، وبالتالي يوجد فائض للطاقة في العالم الإسلامي يبلغ ٢٦٢١.٩ ألف طن متر وبنسبة ٧٢.٦٪ من الطاقة المنتجة.

وبالنظرة الأولية على الإمكانات الاقتصادية للدول الإسلامية نجد الموارد البشرية كبيرة ولكنها لم تستغل الاستغلال الأفضل حيث يوجد فائض منها ، وتبلغ نسبة البطالة حوالي ٢٧.٧٪. فالله سبحانه وتعالى قد منح البلاد الإسلامية العديد من الموارد الطبيعية التي تنتج من بعضها بمعدلات كبيرة تفيض عن حاجتها. إن الطاقة التي تمثل روح الاقتصاد يوجد فائض كبير منها كما تقدم. وكل ذلك يدل على أن الإمكانيات الاقتصادية لدول العالم الإسلامي وفى وضعها الحالي كبيرة لم تستغل كاملاً . و من ذلك كله يظهر أن العالم الإسلامي بحالته الراهنة ذو إمكانات اقتصادية كبيرة وأداء اقتصادي متدنٍ، مما يؤثر على وضعه الاقتصادي في مواجهة العالم في شكل تبعية واضحة ونتائج اقتصادية غير مواتية تظهر في الفقر والتخلف الحضاري، مما تظهر معه الحاجة إلى البحث عن كل الأساليب التي تعمل على حسن استغلال الإمكانيات الاقتصادية لترقية الحياة والخروج من حالة التخلف والتبعية الاقتصادية، ومن هذه الأساليب التكامل الاقتصادي .

ويضيف الدكتور عمر قائلاً : يرتكز التكامل الاقتصادي بين دول العالم الإسلامي على واقعها الاقتصادي الذي تعد فيه من الدول النامية أو المتخلفة رغم إمكانياتها الكبيرة والتكامل هو أحد أهم الأساليب للخروج من هذا التخلف، هذا فضلاً عن قلة التعاون الاقتصادي بينها ممثلاً في التجارة البينية على وجه الخصوص، والتبعية المهينة لاقتصاديات الدول الكبرى ،إضافة إلى أن دول العالم تسعى الآن إلى التكامل الاقتصادي في أشكاله المختلفة لتحقيق مزيد من التقدم وحسن استغلال الطاقات ولمواجهة التحديات المعاصرة في ظل العولمة التي تعمل على تكريس القوة الاقتصادية لدى الاقتصاديات كبيرة الحجم التي تستفيد أكثر من الاقتصاد العالمي على حساب الاقتصاديات الصغيرة.



د.أبو البصل:

ينبغي أن يكون لدينا الرغبة والنية الصادقة لعمل سوق مشتركة

والبدء في طريق الوحدة المنشودة يكون بالعمل على إقامة مشروعات مشتركة في بعض المجالات بين الدول الإسلامية والتي بها ميزة نسبية مثل صناعات البتروكيماويات وصناعات مواد البناء والمنسوجات ، وذلك في صورة شركات متعددة الجنسية مفتوحة للمساهمة فيها لكل مواطني العالم الإسلامي. واختيار مجال اقتصادي معين وتوحيده مثلما حدث بالنسبة لإنشاء البنك الإسلامي للتنمية، والتسيق في مجال الأمن الغذائي الذي يعاني العالم الإسلامي من فجوة كبيرة فيه، حيث توجد الأراضي الزراعية غير المستغلة وبمساحات كبيرة في بعض الدول التي تفتقر إلى رأس المال والعمالة وهي متوفرة بكثرة في دول أخرى.

وكذلك توحيد المواقف الإسلامية في اجتماعات المنظمات الدولية وخاصة في منظمة التجارة العالمية للحصول على شروط أفضل للعالم الإسلامي في الاتفاقيات الصادرة عنها. والسماح بتحرير انتقال السلع والخدمات وعناصر الإنتاج من عمالة ورؤوس أموال بين الدول الإسلامية وإعطائها معاملة تفضيلية عن ما سواها. وتوحيد قطاع البحوث والتدريب لعلاج التخلف التكنولوجي في العالم الإسلامي والذي أصبح يمثل العصب الأساسي لتحقيق التقدم الاقتصادي، والأمر لا يحتاج سوى تفعيل المؤسسة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا المنشأة منذ عام ١٩٧٥ ومقرها بنجلاديش.

هذه خطوات جزئية لتحريك العمل الإسلامي المشترك نحو الوحدة الاقتصادية التي يجب الإسراع في تنفيذ الخطوات الأخرى لها وعلى الأخص إقامة السوق الإسلامية المشتركة التي تم إجراء الدراسات المتعمقة حولها، واتخذت القرارات لإقامتها، والأمر يحتاج إلى توفر الإرادة الجادة لإخراجها إلى

حيز الوجود خدمة للمسلمين .

التكامل الاقتصادي

من جانبه يوضح الدكتور إسماعيل عبد الرحيم شلبي أستاذ الاقتصاد بكلية الحقوق جامعة الزقازيق بأن موقف العالم الإسلامي من النواحي الاقتصادية والاجتماعية موقف يشوبه التفرق والضعف والانهزامية والديون ، فالدول الغنية القوية هي التي تسعى إلى تكوين تكتلات اقتصادية تستفيد منها وتقوي من وضعها الاجتماعي والاقتصادي، والدول الإسلامية حتى الآن لم تنجح في تكوين سوق مشتركة أو أي نوع من أنواع التعاون أو التكامل الاقتصادي.إن النظام العالمي الجديد في المجالات الاقتصادية (وما يسمى بالعولمة) وما استجد من أحوال عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م تنبئ بأن العالم يدخل مرحلة الاتحادات العملاقة، ولا مكان للدول الصغيرة والضعيفة. لهذا فإن على الدول الإسلامية أن تعمل بجد واجتهاد إلى الوحدة. ولا شك أن هناك الكثير من المبررات الخاصة بأهمية الوحدة بين الدول الإسلامية. إن الدول الإسلامية تمتد جغرافياً في ثلاث قارات هي إفريقيا وآسيا وأوروبا . كما أنها تستحوذ على مناطق متنوعة من الموارد الطبيعية الزراعية والاستخراجية. وبها كفاءات بشرية متعددة في معظم النشاط الاقتصادي. بالإضافة إلى قدرات علمية وبحثية في معظم المجالات اللازمة للتطوير والتقدم التكنولوجي، ومن بينها معظم الدول المصدرة للبترول في العالم. والتي تتجمع لديها فوائض رأسمالية كبيرة، والتي لا تجد لها مجالات للاستثمار داخل العالم الإسلامي نظراً للخلافات الكبيرة الموجودة حالياً والمشاكل السياسية والعسكرية وعدم الاستقرار السياسي، ومن ثم تقوم باستثمارها لدى الدول الغربية.ورغم ذلك فإن كل الدول الإسلامية تعانى من عجز في موازينها التجارية (مع استبعاد صادرات البترول للدول البترولية) وذلك لاعتمادها على استيراد المواد الغذائية ومستلزمات الإنتاج (ومعظمها صناعات استهلاكية خفيفة) وكثير من السلع الصناعية ولا شك أن الوحدة بين الدول الإسلامية تعمل على تحقيق درجة كبيرة من التنسيق بين عناصر الإنتاج وكذلك المشروعات الإنتاجية المشتركة. كما أنها تقضي على تبعية هذه الدول للعالم الخارجي بزيادة قوتها التفاوضية. ومن ثم التقليل من اعتمادها على الخارج في الغذاء وكثير من المنتجات الصناعية. فضلاً عن الحد من استنزاف وتسرب الأموال إلى خارج الأمة الإسلامية وتعرضها للتقلبات الاقتصادية واستثمارها في مضاربات البورصات العالمية والبنوك الأجنبية دون توفر الخبرة الكافية لهذه الأنشطة وخفاياها مما ينتج عنه ضياع الكثير من هذه الأموال.ولذلك تعاني الدول الإسلامية من حالة تناقض مزمنة بين حلم التجمع والوحدة وواقع التشرذم، ولا سبيل للتخلص من هذه الحالة إلا بتغييرات جوهرية في فكر وعقلية المسؤولين عن هذه الدول وبث روح التعاون والإخاء والتآلف بين شعوب هذه الأمة، والله يقول ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ ومن ثم يجب غرس هذه الروح وبثها في مناهج التعليم والتربية والثقافة وأجهزة الإعلام، ولابد أن يعلم الجميع بأنه لا كيان ولا وجود للعالم الإسلامي إلا بالوحدة والاتحاد، وأنه لا مكان للدول الصغيرة أو الكيانات الصغيرة على خريطة العالم، ويجب أن ننزع من بيننا الخلافات والفرقة وأن نتحد على كلمة الله وعلى كتابه وهديه وأن نكون أمة واحدة وأخوة متحابين متعاونين في السراء والضراء. والرسول ﷺ يقول: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».



د. عمر:

يوجد لدينا فائض في مجال الطاقة غير مستغل

ونود أن نشير في النهاية بأن مشاكل العالم الإسلامي سواء منها الاجتماعية أوالاقتصادية، يمكن تذليلها والحد منها إذا ما توافرت الإرادة الحقيقية للعالم الإسلامي وأخلصت النية ، وعملت على قيام الوحدة بينها بالأسلوب المناسب على أن يتم دعم هذه الإرادة بلمِّ الشمل لهذه الأمة وتناسي خلافاتها ومشاكلها.

الوحدة الإسلامية أمل كبير



بقلم: إبراهيم نويري*

* قسم الأدب واللغة العربية جامعة تبسة - الجزائر

روى الإمام أحمد في مسنده عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى(١) لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض(٢) وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة(٣) وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم(٤) فيستبيح بيضتهم.. وإن ربي قال لي: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد.. إني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة، وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً(٥)».

إن هذا النص الكريم دال بنفسه على أن قوى الشر والطغيان لو تألبت كلها ضدنا ما نالت منا شيئاً إذا توحدت كلمتنا، وتجمع شملنا وتماسك صفنا.. كما أنه دال كذلك على أن مصائبنا من أنفسنا قبل أن تكون من غيرنا.. وأن اللوم ينبغي أن يوجه لذات المسلمين ولضميرهم الجمعي قبل أن يوجه لأعدائهم الخارجين المتربصين بهم وبدينهم منذ ظهوره على المسرح العالمي في مطلع القرن السابع الميلادي، ومنذ شاءت الأقدار العليا أن تختتم به رسالات السماء.

غربة الوحدة الإسلامية في الواقع المعاصر

إنه لحري بالمسلمين جميعاً اليوم وبقادة الفكر منهم خاصة، وبالقائمين منهم على شؤون الدعوة والبلاغ والتغيير والإصلاح بصفة أكثر خصوصية، أن يبذلوا ما يمكن بذله من الوسع والجهد لإعادة تفعيل الفكر الإسلامي إزاء الوحدة الإسلامية، بل وإعادة تفسير النصوص والمأثورات والمعتقدات الإسلامية المختلفة بما يخدم ويعضد عناصر القوة لديهم، ولاشك أن أخوتهم ووحدتهم وتلاحمهم، تمثل السياج المنيع لحفظ وجودهم واستمرار رسالتهم في ظل معطيات ومتغيرات عالمية جديدة، أخذت بوادرها الأولى تتجسد على الأرض مع بداية الألفية الميلادية الثالثة والقرن الحادي والعشرين، الذي نعيش الآن عقده الأول.

ولقد بات من المسلمات - خاصة في سياق ما فرضته ودفعت إليه المعطيات العالمية الجديدة التي ألمحنا إليها - «أنه لا تقوم لقوم قائمة إلا إذا كان لهم جامعة تضمهم، ووحدة تجمعهم وتربط بعضهم ببعض، فيكون بذلك أمة حية كأنها جسد واحد، كما ورد في حديث «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(٦) وحديث «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا»(٧) فإذا كانت الجامعة الموحدة للأمة هي مصدر حياتها، سواء أكانت مؤمنة أم كافرة، فلا شك أن المؤمنين أولى بالوحدة من غيرهم لأنهم يعتقدون أن لهم إلهاً واحداً يرجعون في جميع شؤونهم إلى حكمه الذي يعلو جميع الأهواء، ويحول حقاً دون التفريق والخلاف..»(٨).

ومع أن هذه الحقيقة ماثلة في ذهن المسلم المعاصر، على المستوى النظري أو الوجداني العاطفي على أقل تقدير - .. فإنها مع ذلك لا تكاد تذكر إلا لماماً أو على استحياء ظاهر في أدبيات الخطاب الإسلامي المعاصر، مما حدا بأحد أكبر فقهاء المسلمين ومجتهديهم في هذا العصر هو الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله إلى القول في صيغة استنكارية موغلة في التأسي المشوب بقدر من الإحباط: «.. فأي غربة للإسلام أشد من أن من يدعو إلى الوحدة الإسلامية تكون دعوته غريبة وصوته منكراً كأنه يهاجم الإسلام»(٩).

والأنكى من ذلك أن مجرد بسط الحديث في هذا الموضوع الخطير - لدى البعض - يعد ضرباً من ضروب الخيال الشاطح في سمادير الوهم، أو المحلق في آفاق «يوتوبيا» المدينة الفاضلة.. وإن كان لابد من طرقه أحياناً بفعل بعض المقتضيات أو الظروف التاريخية، أو المناسبات العامة، فإن هناك من يدعو إلى صيغ غريبة من الوحدة كأن تقسم الأمة الإسلامية الكبرى مثلاً إلى قسمين: مسلمين أعاجم يلتحقون بأقوامهم ويواجهون مستقبلهم السياسي والاجتماعي وحدهم.. ومسلمين عرباً ينضوون تحت لواء قوميتهم الخاصة، ويشقون طريقهم في الحياة مع اليهود والنصارى العرب!(١٠).

الوحدة الإسلامية.. والتكتلات الأخرى

إن الدعوة لوحدة الأمة - بمدلولها العميق الشامل - واجب ديني يتعبد المسلم لله تعالى به، وهي مسؤولية متعلقة بذمة كل منتسب لهذا الدين في إطار اجتهاده وحراكه الاجتماعي وواجباته العامة.. بل هو أمر يفترض فيه التسليم والبداهة، ذلك أنه نابع

من صميم روح العقيدة الإسلامية نفسها، هذه العقيدة التي أساسها توحيد المعبود ووحدة العابدين، أو هي عقيدة ترتكز على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، قال الله تعالى: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾(١١).

فالأمة الإسلامية واحدة بمنطق الدين والتاريخ والجغرافيا، ومنطق الواقع والعصر، ومنطق الأعداء أيضاً.. لذلك ينبغي أن تتوحد وتتكافل وتتضامن، خاصة في هذا العصر الذي نشهد فيه قيام التجمعات الكبرى والتكتلات الاقتصادية والعسكرية الهائلة المسنودة بعوامل ثقافية ودينية وتاريخية وايديولوجية، وما نموذج الاتحاد الأوروبي عنا ببعيد، هذا الاتحاد الذي انبثق عن معاهدة ماستريخت، والذي شهد خلال شهر مايو ٢٠٠٤م، توسعاً كبيراً كاد يستغرق كافة دول هذه القارة. وقد أصبح لهذا الاتحاد العجيب ناطق واحد يمثل السياسة الخارجية للاتحاد والنية منعقدة بالفعل كي يكون خلال الأشهر القادمة هناك دستور واحد أيضاً لهذا الاتحاد بعد النجاح في التعامل بعملة النقد الموحد (اليورو).

حتى اليهود الذين ظلوا عبر التاريخ اشتاتاً وأوزاعاً لا تنتظمهم سوى حاراتهم المنتشرة في كل قارات المعمورة يعملون الآن بدأب وإصرار على تكوين وحدة تجمع شملهم رغم ما يوجد بينهم من فوارق مذهبية وخلافات تاريخية، إذ هناك يهود الغرب، ويهود الشرق، ويهود الفلاشا ويهود الدونمة.. وغيرهم.. ونراهم يضحون في سبيل هذا الهدف، ويستغلون نفوذهم في السياسات العالمية ومراكزهم المعروفة في التوجيه والتأثير من أجل أن يكون لهم كيان حضاري موحد يجسد استقلاليتهم ويبرز خصوصياتهم بين أمم المعمورة كما أنهم يعتبرون أن (دولة إسرائيل) هي دولتهم حتى لو كانت لهم جنسيات مختلفة وقد ذهل عدد من المراقبين بداية صيف ٢٠٠٤م للاستجابة الفورية والسريعة من قبل أعداد غفيرة من يهود فرنسا، والتحاقهم بدولة (إسرائيل) وذلك مباشرة بعد توجيه السفاح «أرائيل شارون» الدعوة لهم ومناشدته لهم بمؤازرة ودعم وحدة «شعب الله المختار».. وقد كادت هذه الدعوة تتسبب في أزمة سياسية بين هذا الكيان الغاصب من جهة وبين الحكومة الفرنسية من جهة أخرى.

أما المسلمون - عرباً كانوا أم أعاجم - فهم سادرون غافلون، كأن مصيرهم لا يعنيهم، وقد بات واقعهم يثير اللوعة ويبعث في قلوب الغيورين الفزع، ويدعوهم للتفكير العملي الجاد والفاعل لاستنقاذ الوجود الإسلامي من براثن الاحتوائية الغربية الجديدة التي حملها مشروع العولمة في أبعاده الثقافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها.. يا عجبا بأي المقاييس تفكر الأمة الإسلامية الآن في هذا المنعطف التاريخي الخطير؟ إنها إن حوكمت إلى نواميس الدنيا دانتها، وإن حوكمت إلى نواميس الدين أخزتها.

وقد نبه القرآن الكريم هذه الأمة - وهي ما تزال في طور التأسيس - إلى خطورة التفرق والتفكك وتمزق الأصرة.. بل إنه وصف الفرقة والتشتت بالكفر لفداحة ما يترتب عليه في واقع المسلمين، ورد هذا الوصف الملفت في قوله تعالى: ﴿وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾(١٢) وقد أكد السياق الذي أعقب هذه الآية الكريمة على واجب وحدة وصف المسلمين والأهمية العقدية والحياتية لدعم ومناصرة إخوة العقيدة لأن النعمة العظمى التي أنعم الله تعالى بها على المسلمين يوم اصطفى النبي الخاتم من بين ظهرانيهم لم تكتمل ولم تظهر آثارها إلا بعد أن توحدت كلمة وآمال المؤمنين بهذه الرسالة فأصبحوا أمة ماثلة بخصوصياتها وسماتها قال الله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾(١٣).

لقد نجح الجيل القرآني الأول في الاعتصام بحبل الله فتحققت له النعمة الكبرى، ومكن الله له في الأرض، ولكن ها هو الزمان قد دار دورته، حسب ما اقتضته المشيئة العليا في دورات الزمن، ثم ها هي ظروف وأوضاع محلية وعالمية تتسبب مرة أخرى في تشتت المسلمين وتفرق كلمتهم، حتى سرى في أوصالهم الوهن، وباتت ديارهم وثرواتهم وعقائدهم ومناهجهم التربوية وخصوصياتهم الفكرية محل مزايدات وصراعات عالمية، فهل ينبغي التسليم بالأمر الواقع والاستكانة لما تم فرضه في مسار هذه الأمة وواقعها؟ وما موقف الخطاب الإسلامي المعاصر من هذه المعاضلة؟ بل هل ثمة وعي إسلامي صحيح إزاء مفهوم الأمة المسلمة الواحدة والدور المرتقب للإسلام في ظل المشروع المستقبلي للعولمة الغربية؟

الخطاب الإسلامي.. والوحدة الإسلامية

لاشك أن التساؤلات السابقة تقتضي إجابات واجتهادات واسعة وعميقة، ليس موضعها هذا المقال، الذي يستهدف فحسب إثارة هذا الموضوع الحساس، الذي يبدو أن الخطاب الإسلامي المعاصر - أو على الأقل بعض تيارات هذا الخطاب - لا يوليه الأهمية التي يستحقها، أو ربما لا يجعله في طليعة أولوياته، لذلك نأمل أن نعود لتناول الموضوع من جوانب عديدة والإجابة بصورة أكثر عمقاً على هذه التساؤلات في مقال مسهب أو دراسة مستفيضة.

من الإنصاف الإشارة إلى أن قضية الوحدة الإسلامية كانت الهاجس الأول لدى رموز الإصلاح وقادة الفكر في العالم الإسلامي ممن عاصروا الفترة الأخيرة من الخلافة العثمانية - أي مرحلة ضعفها وتراجعها - أو ممن عاصروا سقوطها الفعلي (سياسياً وحضارياً) إذ اتجهت همة الكثير من المفكرين والمصلحين إلى ضرورة أن يكون للمسلمين جامعة توحد كلمتهم وتحقق التكامل فيما بينهم.

الهوامش:

١- جُمع.
٢- معادن الأرض وثرواتها.
٣- قحط شامل أو هلاك مدمر.
٤- أي عدواً خارجياً أو أجنبياً.
٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٥، ص٢٧٨
٦- رواه أحمد ومسلم من حديث النعمان بن بشير.
٧- رواه الشيخان والترمذي والنسائي من حديث أبي موسى الأشعري
٨- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج٤، ص٢٦.
٩- محمد أبو زهرة، الوحدة الإسلامية، دار الرائد العربي، بيروت، د.ت، ص٦
١٠- محمد الغزالي، حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي، ص١١
١١- الأنبياء ٩٢.
١٢- آل عمران ١٠١.
١٣ - آل عمران ١٠٣.

من مواقف المنصور محمد بن أبي عامر في الإصلاح والعدل



قصر الحمراء في الأندلس



بقلم د.عبدالعزيز الحميدي

■ هو أحد أمراء الأندلس وقد ذكر المؤرخ ابن عذاري نبذة من إصلاحات ابن أبي عامر ومن ذلك: بنيان قنطرة على نهر قرطبة الأعظم. ابتدأ المنصور بنيانها سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، وفرغ منها في النصف من سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، وانتهت النفقة عليها إلى مائة وأربعين ألف دينار، فعظمت بها المنفعة، وصارت صدراً في مناقبه الجليلة، وكانت قطعة أرض لشيخ من العامة، ولم يكن للقنطرة عدول عنها، فأمر المنصور أمناءه بإرضائه فيها، فحضر الشيخ عندهم، وآخذ حذره منهم، فساوموه بالقطعة وعرفوه وجه الحاجة إليها، وأن المنصور لا يريد إلا إنصافه فيها. فرماهم الشيخ بالغرض الأقصى عنده فيما ظنه: أن لا تخرج عنه بأقل من عشرة دنانير ذهباً، كانت عنده أقصى الأمنية، وشرطها صحاحاً. فاغتنم الأمناء غفلته، ونقدوه الثمن، وأشهدوا عليه، ثم أخبروا المنصور بخبره، فضحك من جهالته، وأنف في غبنه، وأمر أن يعطى عشرة أمثال ما سأل، وتدفع له صحاحاً كما قال. فقبض الشيخ

مائة دينار ذهباً، فكاد أن يخرج عن عقله وأن يجن عند قبضها من الفرح، وجاء محتفلاً في شكر المنصور، وصارت قصته خبراً سائراً.

ومن ذلك أيضاً: بنيان قنطرة على نهر إستجة، وهو نهر شنيل، فتجشم لها أعظم مؤنة، وسهل الطرق الوعرة والشعاب الصعبة.

فهذان مثلان من الإصلاحات العامة التي قام بها، ومما يلفت النظر في الخبر الأول رحمته بذلك الشيخ وتورعه عن غبنه، فهو لم يغتنم فرصة جهله بالأسعار كما فعل أصحابه، بل أعطاه حقه وأضعاف ذلك، فهل يدل على تنزهه من الظلم وإن كان ذلك غير معلوم لمن سيقع عليه.

قال: ومن ذلك أنه خط بيده مصحفاً كان يحمله معه في أسفاره، يدرس فيه ويتبرك به.

ومن قوة رجائه أنه اعتنى بجمع ما علق بوجهه من الغبار في غزواته ومواطن جهاده، فكان الخدم يأخذونه عنه بالمناديل في كل منزل من منازله، حتى اجتمع له منه صرة ضخمة عهد بتصييره في حنوطه عند موته، وكان يحمله حيث ما سار مع أكفانه، توقعاً لحلول منيته، وقد كان اتخذ الأكفان من أطيب مكسبه من الضيعة الموروثة عن أبيه وغزل بناته، وكان يسأل الله أن يتوفاه في طريق الجهاد فكان كذلك.

وهذان الخبران يدلان على قوة دينه وعمق استحضاره للحياة الآخرة وتعظيمه لكتاب الله تعالى والجهاد في سبيله.

قال: وكان عدل المنصور في الخاصة والعامة، وأطراحه المهاودة، وبسطه الحق على الأقرب فالأقرب فالأقرب من خاصته وحاشيته أمراً مضروباً به المثل.

ومن عدله أنه وقف عليه رجل من العامة يوماً بمجلسه فناداه: يا ناصر الحق إن لي مظلمة عند ذلك الوصيف الذي على رأسك! وأشار إلى الفتى صاحب الدرقة. وكان له فضل محل عند ابن أبي عامر، ثم قال: وقد دعوته إلى الحاكم، فلم يأت! فقال المنصور: أوعبدالرحمن بن فطيس بهذه المنزلة من العجز والمهانة وكنا نظنه أمضى من ذلك؟ اذكر مظلمتك يا هذا! فذكر الرجل معاملة كانت جارية بينهما قطعها من غير نصف، فقال المنصور: ما أعظم بليتنا بهذه الحاشية! ثم نظر إلى الصقلبي، وهو قد ذهل عقله، فقال: ادفع الدرقة إلى فلان، وانزل صاغراً، وساو خصمك في مقامه حتى يرفعك الحق أو يضعك! ففعل، ومثل بين يديه، ثم قال لصاحب شرطته الخاص به: خذ بيد هذا الظالم الفاسق، وقدمه مع خصمه إلى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه بأغلظ ما يوجبه الحق من سجن أو غيره! ففعل ذلك، وعاد الرجل إليه شاكراً. فقال له المنصور: قد انتصفت أنت فاذهب لسبيلك، وبقي انتصافي أنا ممن تهاون بمنزلتي. فتناول الصقلبي بأنواع من المذلة، وأبعده عن الخدمة.

ومن ذلك، قصة فتاه الكبير المعروف بالميورقي مع التاجر المغربي، فإنهما تنازعا في خصومة توجهت فيها اليمين على الفتى المذكور، وهو يومئذ أكبر خدم المنصور، وإليه أمر داره وحرمه، فدافع الحاكم، وظن أن جاهه يمنع من إحلافه، فصرخ التاجر بالمنصور في طريقه إلى الجامع متظلماً من الفتى، فوكل به في الوقت من حمله إلى الحاكم، فأنصفه منه، وسخط عليه المنصور، وقبض نعمته منه ونفاه.

ومن ذلك، قصة محمد، فصّاد المنصور وخادمه وأمينه على نفسه، فإن المنصور احتاجه يوماً إلى الفصد، وكان كثير التعهد له، فأنفذ رسوله إلى محمد، فألفاه الرسول محبوساً في سجن القاضي محمد بن زرب، لحيف ظهر منه على امرأته، قدر أن سبيله من الخدمة يحميه من العقوبة، فلما عاد الرسول إلى المنصور بقصته أمر بإخراجه من السجن مع رقيب من رقباء السجن ، يلزمه إلى أن يفرغ عن عمله، ثم يعيده إلى محبسه، ففعل ذلك على ما رسمه، وذهب الفاصد إلى شكوى ما ناله، فقطع عليه المنصور، وقال له: يا محمد، إنه القاضي وهو في عدله، ولو آخذني الحق ما أطقت الامتناع منه! عد إلى محبسك أو اعترف بالحق هو الذي يطلقك. فانكسر الحاجم، وزال عنه ريح العناية، وبلغت قصته للقاضي، فصالحه مع زوجه، وزاد القاضي شدة في أحكامه.

فهذه الأخبار الثلاثة تدل على عدله وإنصافه أهل الحق من ظالميهم وإن كانوا من المقربين إليه، وفي الخبر الأول نراه ينحي باللائمة على ذلك القاضي الذي عجز عن استقدام المدعى عليه لكونه من المقربين للمنصور، فهو يرى بذلك أن القاضي يجب عليه أن يكون قوياً وأن لا تأخذه في الحق لومة لائم وأن لا يفرق في الخصومة بين كبير أو صغير، ثم إنه بعد أن أخذ المظلوم حقه نراه يعاقب ذلك الفتى الظالم عقوبة خاصة لكونه استغل قربه منه فامتنع من الحضور إلى مجلس القضاء.

قال: ومن ذلك قصة الجوهري التاجر، وذلك أن رجلاً جوهرياً من تجار المشرق قصد المنصور من مدينة عدن بجوهر كثير، وأحجار نفيسة، فأخذ المنصور من ذلك ما استحسنه، ودفع إلى الجوهري التاجر صرته، وكانت قطعة يمانية. فأخذ التاجر في انصرافه طريق الرملة على شط النهر، فلما توسطها واليوم قائظ وعرقه منصب دعته نفسه إلى التبرد في النهر فوضع ثيابه وتلك الصرة على الشط، فمرت حدأة، فاختطفت الصرة تحسبها لحماً وصاعدت في الأفق بها ذاهبة فقطعت الأفق الذي تنظر إليه عين التاجر، فقامت قيامته وعلم أنه لا يقدر أن يستدفع ذلك بدعوى ولا بحيلة، فأسر الحزن في نفسه، ولحقته لأجل ذلك علة اضطرب فيها. وحضر الدفع إلى التجار، فحضر الرجل لذلك بنفسه، فاستبان له مابه من المهانة والكآبة، وفقد ما كان عنده من النشاط وشدة العارضة. فسأله المنصور عن شأنه، فأعلمه بقصته، فقال له: هلا أتيت إلينا بحدثان وقوع الأمر؟ فكنا نستظهر على الحيلة، فهل هديت إلى الناحية التي أخذ الطائر إليها؟ قال: مر مشرقاً على سمت هذه الجنان الذي يلي قصرك يعني الرملة، فدعا المنصور شرطيه الخاص به فقال له: جئني بمشيخة أهل الرملة الساعة، فمضى، وجاء بهم سريعاً، فأمرهم بالبحث عمن غير حال الإقلال منهم سريعاً، وانتقل عن الإضاقة دون تدريج فتناظروا في ذلك، ثم قالوا: يا مولانا! ما نعلم إلا رجلاً من ضعفائنا كان يعمل هو وأولاده بأيديهم، ويتناولون السقي بأقدامهم عجزاً عن شراء دابة، فابتاع اليوم دابة واكتسى هو وولده كسوة متوسطة. فأمر بإحضاره من الغد، وأمر التاجر بالغدو من الباب، فحضر الرجل بعينه بين يدي المنصور، فاستدناه والتاجر حاضر، وقال له: سببٌ ضاع منا وسقط إليك ما فعلت به؟ فقال: هو ذا يامولاي؟ وضرب بيده إلى حجزة سراويله، فأخرج الصرة بعينها، فصاح التاجر طرباً وكاد يطير فرحاً. فقال له المنصور: صف لي حديثها. قال: نعم! بينا أنا أعمل في جناني تحت نخلة، إذ سقطت أمامي، فأخذتها، وراقني منظرها، فقلت إن الطائر اختلسها من قصرك لقرب الجوار، فاحترزت بها، ودعتني فاقتي إلى أخذ عشرة مثاقيل عُيوناً كانت معها مصرورة، وقلت: أقل ما يكون في كرم مولاي أن يسمح لي بها. فأعجب المنصور ما كان منه، وقال للتاجر: خذ صرتك، وانظرها، واصدقني عن عددها. ففعل وقال: وحق رأسك، يا مولاي، ما ضاع منها شيء سوى الدنانير التي ذكرها، وقد وهبتها له. فقال له المنصور: نحن أولى بذلك منك، ولا تنقص عليك فرحتك. ولولا جمعه بين الإقرار والإنكار لكان ثوابه موفوراً عليه. ثم أمر للتاجر بعشرة دنانير عوضاً من دنانيره وللجنان بعشرة دنانير ثواباً لتأنيه عن إفساد ما وقع بيده، وقال: لو بدأنا بالاعتراف قبل البحث، لأوسعناه جزاءً! قال: فأخذ التاجر في الثناء على المنصور، وقد عاوده نشاطه، وقال: والله لأبثن في الأقطار عظيم ملكك، ولأبينن أنك تملك طير عملك كما تملك إنسها، فلا تعتصم منك ولا تؤذي جارك، فضحك المنصور، وقال: اقصد في قولك يغفر الله لك، فعجب الناس من تلطف المنصور في أمره، وحيلته في تفريج كربته.

فهذا مثال على دهاء المنصور ابن أبي عامر ودقة ملاحظته، وهذا التفوق في النظر في القضايا والبحث الدقيق في خفاياها وملابساتها إنما هو بالدرجة الأولى توفيق من الله تعالى لمن حملوا في أفكارهم هموم الأمة وأصبح إحقاق الحق وإبطال الباطل مطلبهم الكبير، فالذهن في هذه الحال يتفتق عن أنواع من مجالات الحلول التي يصل بها صاحبها إلى حل القضايا المشكلة ومعرفة الأمور المغيبة.

أول سجدة لله تعالى في "كلاجيمي"

توغو - مكتب الرابطة

■ عندما وصل المشرف على دعاة رابطة العالم الإسلامي في توغو وأعضاء المكتب إلى بلدة كلاجيمي استقبلهم رئيسها أنا غبلا أبي كونيي. كان ذلك في أحد أيام شهر ذي القعدة المنصرم، وكان الدعاة يقصدون البلدة لتقديم الدعوة إلى رئيسها، مؤملين من الله آن يشرح صدور قومه إلى دين الحق.

رافق الدعاة رئيس البلدة إلى الساحة العامة حيث تقام اللقاءات المهمة والمناسبات، وقد جهزت بمكبرات الصوت ورتبت المقاعد للجلوس.

كان على الوفد انتظار رئيس قرية زوغبي المجاورة فقد تأخر لمواراة أحد الموتى ، ولم يطل بنا المقام بعد أن امتلأت الساحة بالناس، وقد أتى البعض من القرى المجاورة مثل قرية تيبو التي حضر رئيسها أيضاً، فهذا حدث يستحق الحضور.

بدأ اللقاء بتلاوة قدمها واحد من أبناء المهتدين في قرية دافي . بعد ذلك ألقى رئيس البلدة كلمة ترحيبية مبدياً سروره على أن قافلة الدعوة وصلت إلى قريته، وطلب من الدعاة توضيح ما لديهم عن الإسلام. عندئذ قام الأخ عبدالله محمد يولو المشرف على دعاة الرابطة في جمهورية توغو متحدثاً عن مزايا الدين الإسلامي وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وما لاقاه من الشدائد في إبلاغ دعوته لتصل إلى البشرية جميعاً مصداقاً لما في الكتاب العزيز : ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ . وأفاض عدد من الدعاة في ذكر محاسن هذا الدين وبشارة عيسى عليه السلام بمبعث خاتم الأنبياء، وعن فضل المبادرة إلى اعتناق دين الإسلام والتخلص من الكفر والشرك.

وحدث حوار بين رئيس البلدة والمشرف على الدعاة، فقد استفسر الرئيس عن كيفية الدخول في الإسلام وجرى



زعيم كلاجيمي يشهر اسلامه

تعريفه بأن الأمر لا يحتاج إلا لكلمة يقولها الإنسان موقناً بها ومطمئناً وعاملاً بما تقتضيه من الفرائض والواجبات امتثالاً لأوامر الله تعالى واجتناباً لنواهيه.

أعلن الرئيس اعتناقه الإسلام ونطق بالشهادتين أمام الحضور ، وتسمى بسليمان، وتبعه الشباب والنساء وأطفال القرية ليشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

كان وقت صلاة الظهر قد حان في تلك اللحظة، فأقيمت الصلاة، وكان رئيس البلدة يتعلم الوضوء لأول مرة. وتم جمع عدد من الحصر القديمة لتفرش في ناحية من الساحة لتشهد أرض كلاجيمي في جمهورية توغو أول سجود لله سبحانه وتعالى.

وقف كثير من الحضور ممن لم يعتنق الإسلام يتفرجون



دور كبير للرابطة في توغو

على هذا المشهد الذي يرونه لأول مرة في حياتهم. سمع الدعاة تغامزهم أول الأمر وعلت ضحكاتهم وكلمات السخرية من بعضهم، وسبحان الله فعندما انتهت الركعة الأولى صمتت أفواههم وسكنت نفوسهم مع جلال المشهد. أناس غرباء يقيمون هذا المنسك الغريب عليهم، ليعبدوا الله تعالى بطريقة لم يألفوها من قبل.

لم يكن الزعيم " سليمان " هو الوحيد من بين رؤساء القبائل في اعتناق الدين الحنيف بل سبقه إلى ذلك آخرون وسوف يلحق به الكثيرون إن شاء الله.

وقد هيأت رابطة العالم الإسلامي فرصة أداء الحج لبعض منهم ضيوفاً على خادم الحرمين الشريفين. ويجد هؤلاء المهتدين كل الرعاية من الدولة ممثلة في وزير الداخلية الدكتور فولي كاتري، ويهتم بهم الشيخ محمد دكوري مدير مكتب الرابطة في توغو. ولا شك أن الأيادي البيضاء للرابطة ممثلة في هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ودعمها لزعماء القبائل وإمدادهم بالمساعدات العينية لها الأثر الكبير في نفوس المسلمين الجدد. ولعل أصدق تعبير على دعم الرابطة لهؤلاء المسلمين هو استضافتهم ضمن ضيوف خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز -حفظه الله - وما لمسوه من رعاية كبيرة وخدمات مقدمة من كافة القطاعات الحكومية منذ الوهلة الأولى لأدائهم مناسك الحج وحتى عودتهم إلى بلادهم بعد أن منّ الله عليهم بأداء الركن الخامس في الإسلام .

على الباغي تدور الدوائر!

خميس قشة - هولندا - روتردام

■ تمر الحياة السياسية في هولندا هذه الأيام بسجال متصاعد، حيث يشهد البرلمان جلسات عاصفة على خلفية ما قدمه التلفزيوني «زنبلا» الذي ينقل الحقيقة ويكشف الكذب والتضليل للمشاهدين، عندما بث تقريراً مصوراً موثقاً ومفصلاً، عن حياة النائبة البرلمانية المخضرمة «أيان حرصي علي» الصومالية الأصل التي وصلت إلى هولندا أواخر سنة ١٩٩٢ طالبة اللجوء السياسي، وأصبحت فيما بعد عضواً في البرلمان الهولندي، وناقدة للتعددية الثقافية في هولندا، ونصبت قبل حوالي عامين متحدثة رسمية عن لجنة إندماج الأقليات بالبرلمان. تطاولت هذه النائبة على الإسلام على مر هذه السنوات، سعياً وراء الشهرة ومنافع انتخابية، دعمها في ذلك التيار اليميني المتشدد ذو الميولات المتطرفة، الذي جند وسائل الإعلام منذ أحداث ١١ سبتمبر لاستفزاز المسلمين، وربطهم بالإرهاب، وتم تكريمها وتتويجها ونالت عديد الأوسمة والجوائز في بعض البلدان الأوروبية تحت شعار تشجيع الإبداع وحرية الرأي.

وركز البرنامج على كل مراحل حياتها اليومية قبل دخولها إلى هولندا، وبين مدى التناقض في رؤيتها التي قدمتها في ملف اللجوء، بداية من تزوير اسمها وتاريخ ميلادها، وادعائها أنها جاءت مباشرة من الصومال التي تمزقها الحرب الأهلية آنذاك، وأكدت أن حياتها كانت مهددة،في حين بين البرنامج بالصور والوثائق أنها كانت في تلك الفترة تعيش في كينيا، التي لم تمر بأي حرب،وكانت آمنة

تدرس وتعيش حياة طبيعية مستقرة تحت رعاية الأمم المتحدة للاجئين.

كما أكد أخوها وعمتها وبقية أقاربها على أنها لم تُكره أو ترغم على الزواج من قريبها كما تدعي، وعرض التقرير قرائن تبين مدى حميمية العلاقة مع زوجها، وأنها كانت تحبه ويبادلها نفس الشعور وكانا في وئام تام.

واتخذت (حرصي علي) من قصة الإكراه على الزواج المزعومة مطية للنيل من الإسلام، الذي اعتبرته ظالماً للنساء ولا يعطي المرأة الحق في اختيار شريك حياتها وهي عبارة عن ملكية خاصة أو متاع.

وبهذا قدمت نفسها ضحية يُراد اغتصابها وإجبارها على العيش قهراً مع من لا تحب، معتبرة ذلك جريمة ارتكبت في حقها عندما زوجها أبوها من رجل لا تعرفه ولا تحبه، معممة الأمر على المرأة المسلمة، التي تقاسي من الظلم والاضطهاد حسب ادعائها، وبهذه المغالطات قدمت نفسها للمنظمات والهيئات الاجتماعية والسياسية زعيمة ومناضلة من أجل حرية المرأة المسلمة ومساواتها مع الرجل، وبذلك لقيت تعاطفاً وتأييداً من المؤسسات الحكومية والمدنية لتمرير ادعاءاتها ومشاريعها..

وأثناء بث البرنامج اتصل بها المخرج سائلاً عن هذا التناقض فاعترفت أنها قدمت مغالطات في روايتها لوزارة العدل في ما يخص اسمها وتاريخ ميلادها وإقامتها والبلد الذي أتت منه، فيما أصرت على روايتها في إكراهها على الزواج، وأكدت أن حزبها الليبرالي ( ) كان على علم بالموضوع، قبل ترشحها للانتخابات التشريعية.

وجاء عرض البرنامج متزامناً مع تقارير ودراسات ومقالات لسياسيين ومحللين هولنديين يحملون المسؤولية لسياسيين نافذين من بينهم نائبة البرلمان الهولندي «إيان حرصي علي» بمعاداة الإسلام بانتقادات مستفزة للثقافة الإسلامية تخدم تصادم الحضارات بين الغرب والعالم الإسلامي وتخدم الكراهية وتهدد تماسك المجتمع وتزعزع الأمن الداخلي للبلد وتجعله عرضة لأعمال إرهابية.

وعبر البرلمان الهولندي وجل القوى السياسية والاجتماعية من أحزاب ومنظمات وهيئات استنكارهم لهذا العبث والخداع المتعمد والكذب الصريح، الذي لا يليق ولا يقبل أن يأتي من مسؤول حكومي بهذا المستوى، واستنكروا هذه الممارسات التي تعتبر نقيضاً لما تتغنى به النائبة من التحضر والقيم الثقافية والأخلاق وما تدعيه من بسط العدل والمساواة وطالبوها بالاستقالة من البرلمان والحكومة.

وطالبوا مسؤول إدارة الهجرة والجنسية بإعادة النظر في الحق القانوني «لحرصي» بحصولها على الجنسية وبمراجعة ملف لجوئها، لدى وزيرة الهجرة والجنسية «ريتا فير دونك» وهي من نفس حزب النائبة، والمرشحة لزعامة الحزب الذي فقد العديد من المقاعد في الانتخابات البلدية الأخيرة. ومن المعروف أن هذا الحزب تراجعت شعبيته نتيجة سياساته الاقتصادية والاجتماعية والأمنية في الفترة الماضية التي سببت تصدعاً في ترابط المجتمع وخلفت انكماشاً اقتصادياً لحق الطبقة العاملة والوسطى، واستياء لدى الأقليات جراء قوانين وإجراءات جائرة في حقهم.

وبدورها فندت (حرصي علي) وهونت من الأمر بتصريحات متضاربة ومتناقضة لعديد من وسائل الإعلام والدوائر الرسمية، وأخيراً ما عليها إلا الخضوع (وهو عنوان فيلمها المتهكم على المسلمين) للكشف عن حقيقتها، والامتثال للقوى السياسية بعد هذه الفضيحة بتقديم استقالتها ومغادرة هولندا لأن القانون الهولندي ونزاهة الساسة الهولنديين لا تتسامح مع الكذب والخداع، وقد امتثلت في الحين لمغادرة هولندا غير مأسوف عليها متوجهة إلى أمريكا حيث حصلت على عمل في معهد «آمريكان انتربيرسيس» اليميني المحافظ في واشنطن.

ومهما بلغت الجروح الغائرة التي أحدثتها هذه النائبة للأقلية المسلمة بهولندا باعتداءاتها على الحقوق الشخصية للمسلمين، يبقى سلاحنا الصدق في القول في نشر ثقافة الحب والعدل والسلام لنحقق التعايش الآمن بين المجتمعات والحضارات.

هذا ونشيد بمستوى الشفافية التامة التي تعاطى معها الإعلام والدوائر الحكومية، ونتمنى من كل مسؤول أن يبتعد عن هذا السلوك المشين لأن الكذب والخداع، يؤدي للانقسام والفساد والتلاعب السياسي الذي يقوض السلم والاستقرار.

بين مجلة الرابطة وجريدة الشرق الأوسط الدولية

الفترة الزمنية بين يناير ٢٠٠٦م ومايو ٢٠٠٦م تساوي أربعة أشهر ، وهي الفترة الزمنية التي سبقت بها مجلة الرابطة جريدة الشرق الأوسط الدولية بنشرها موضوعاً شاملاً عن إنشاء أول جمعية للفتيات المسلمات في الجامعات الأمريكية تحت مسمى «جاما جاما تشي» وقد نشر الموضوع الذي ترجمه وأعده الزميل كمال الدين مصطفى نقلاً عن صحيفة التايمز في عدد مجلة الرابطة رقم ٤٧٦ محرم ١٤٢٧هـ الموافق يناير ٢٠٠٦م تحت عنوان «نظرة من داخل المجتمع الأمريكي: جمعيات الفتيات المسلمات في الجامعات الأمريكية» بينما نشرته جريدة الشرق الأوسط في عددها رقم ١٠٠٢٤ وتاريخ ١١ ربيع الآخر ١٤٢٧هـ الموافق ٩ مايو ٢٠٠٦م تحت عنوان: «مسلمات أمريكا يحاربن الصورة النمطية بالمشاركة في النوادي الجامعية».

والفارق الزمني يمثل نقطة إيجابية لصالح مجلة الرابطة تبرز متابعتها واهتمامها بشؤون الأقليات المسلمة في العالم وتوضيح الصعوبات التي يواجهونها داخل هذه المجتمعات، وكيف يتجاوزونها بتأكيد وجودهم وإبراز هويتهم الإسلامية والإشارة إلى هذا السبق ليس مدحاً لمجلة الرابطة وإنما لتأكيد أن الموضوع الذي أثار اهتمامنا وقمنا بانتقائه واختياره بعناية من بين الكثير من الموضوعات التي لا تسمح مساحة المجلة المحدودة بنشرها كلها، طرق اهتمام جريدة يومية بحجم «الشرق الأوسط» بعد أربعة أشهر من نشرها بمجلة الرابطة والتي تصدر كل شهر بصفحات محدودة تجعل أمر الاختيار عبئاً ثقيلاً، ومسؤولية جسيمة. والفضل يعود بعد الله سبحانه وتعالى إلى الحس الصحفي الذي استطاع أن يقود في النهاية إلى هذا الانفراد.



غلاف الكتاب

أنموذج في الحوار الإسلامي المسيحي

لدينا الكثير مما يقوله بعضنا لبعض



ترجمة وإعداد: منير كمون*

■ ربما تفسد الترجمة الحرفية عنوان هذا الكتاب، لكننا نترجمها على هذا النحو: «مسيحيون ومسلمون: لدينا الكثير من الأشياء ليقولها بعضنا لبعض»!

الكتاب من دار مشيال ألبان للنشر في فرنسا، كتبه كريستيان دولورم ورشيد بن زين، وهو عبارة عن أنموذج للحوار بين الإسلام والمسيحية، بل هو نوع من الاعتراف الشامل والمتبادل، ومحاولة جادة للإجابة عن السؤال الذي يواجه المسيحيين والمسلمين جميعاً: هل يسير الإسلام والغرب نحو مواجهة حتمية كما يتوقع بعض الناس أو يتمنونه؟

كريستيان دولورم قسيس من مدينة ليون، ورشيد بن زين شاب مسلم من أصل مغربي، يقدم كل منهما مسيرته في الحياة ونظرته إلى الآخر في سجال غني بالفكر والمعنى.

* مستشار في إدارة الدراسات والمؤتمرات برابطة العالم الإسلامي

وكل منهما ملتزم منذ سنوات بالعمل لصالح السلم الاجتماعي في الأحياء " الحساسة " داخل فرنسا، وكل منهما متجذر في إيمانه، ويشهدان بأن الديانتين يمكن أن ينيرا بعضهما بعضاً دون إنكار الثوابت، وهما يبددان سوء التفاهم الناتج عن ثقل التاريخ ويرفضان الفصل الطائفي ويبرزان كيف أن احترام الآخر في إيمانه وعقيدته هو الطريق الوحيد نحو العيش بشكل أفضل سوياً.

من هو رشيد بن زين؟

رشيد أصغر إخوانه الستة جاء من المغرب وعمره أربعون يوماً لضواحي مدينة ليون الفرنسية. كان والده عامل بناء بسيط أنهكه العمل الشاق ، وكان حريصاً على أن يواصل أبناؤه معرفة تعاليم دينهم وكان رشيد يحفظ طوال السور على يد معلم صعب المزاج . وكان والده يصحو الساعة الرابعة صباحاً ليتوضأ ويصلي ثم يلتحق بعمله .

لقد صدم رشيد بجهل الشباب في الأحياء الفرنسية بدينهم فقد كان القرآن بالنسبة إليه غذاء ثميناً.

لقد بدأت مغامرته عندما بلغ الرابعة عشرة من عمره مع المسيحيين بفضل راهب اسمه جون ميشيل دوقورج في مدينة فرساي. دخل هذا الراهب حياته دون أن يفرض عليه خطاباً دينياً أو أخلاقياً، فلم يعمد أبداً إلى فرض إيمانه المسيحي على الشباب المسلم في الحي أو يحاول تحويلهم للمسيحية. لقد وهب للشباب ثقته وحضوره وصداقته وحظي باحترام الجميع وترسخ بينه وبين والد رشيد احترام عميق فالاثنان تميزا بالإخلاص نحو الآخرين.

لقد علمّ الراهب الأطفال بكلمات سهلة كيف تسير الأمور في الحياة وتابع دروسهم وأحوالهم.

وعندما مات صديق عزيز لرشيد في حادث سيارة تجمع أهالي الحي كلهم في الكنيسة بجميع دياناتهم، واختير رشيد لإلقاء كلمة تأبين لصديقه المتوفى، وعندما نقل الراهب جون ميشيل إلى مدينة قريبة أخرى نظم له أهالي الحي حفلة شارك فيها الجميع من جميع الجنسيات والأعراق والديانات. وزادت أواصر الصداقة والتعاون بين رشيد المسلم المتدين الحافظ لأجزاء من القرآن مع المسيحيين في الحي، وزادت علاقاته متانة مع راهب آخر غير منضبط أعجب به رشيد وهو جاك قايو الذي اشتهر عام ١٩٩٦ عندما وفر المأوى لعديد من العائلات الإفريقية التي لم تحصل على أوراق الإقامة في كنيسته وتضامن معهم في إضراب جوع احتجاجي على وضعيتهم.

لقد توطدت الصداقة بين رشيد والراهب قايو عندما شاركا في برنامج تلفزيوني، ثم ولدت بعده فكرة عقد لقاءات عامة بين المسيحيين والمسلمين وهكذا عقد لقاء جمع أقطاب الجالية المسلمة في فرنسا وجاك قايو وعقدت بعده لقاءات كثيرة أخرى بين شخصيات إسلامية ومسيحية معروفة.

من هو كريستيان دو ولورم؟

نشأ كريستيان في عائلة فرنسية محافظة على التقاليد المسيحية وبدأ منذ أن كان طفلاً في متابعة أنشطة لها علاقة بالكنيسة فقد تسجل في الكشافة الفرنسية، وتأثر بمنظر الجزائريين الذين كانوا يستوقفون في الشوارع وتساء معاملتهم في الستينات إبان الثورة الجزائرية.

تأثر كريستيان في الستينات من القرن الماضي بالأحداث التي ميزت تلك الفترة مثل مجمع الفاتيكان الذي جمع جميع كرادلة الكاثوليك في العالم ونضال الأمريكيين السود بقيادة القس مارثن لوثر كينغ بحيث قرر أن يكون قساً كاثوليكياً بطريقة مارثن لوثر كينغ.

وهكذا أصبح قساً . مع التميز في ربط علاقاته مع الشباب المهاجرين وشارك في إضراب عن الطعام لمدة شهر تقريباً تضامناً مع الشباب المنحرف المولود في فرنسا والمهدد بالطرد من البلاد .

وتعرف على شبان مسلمين كان كل خطئهم أنهم أرادوا التعمق في الدين وبناء مؤسسات اجتماعية لأنفسهم، فسرعان ما اتهموا بأنهم أصوليون ووجدوا أنفسهم في موضع المدافع عن إقامة شعائرهم والعيش بحرية كما

تضمن لهم ذلك نظرياً قوانين الجمهورية.

التعرف إلى الله

لقد ترعرع كريستيان على مفاهيم مسيحية مثل أن المسيح هو الله، ويعترف أن هذا الكلام هو كلام غير منطقي وفاضح في نظر المسلمين.

ولكنه لا يرى تناقضاً مع قوله تعالى: ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴾.

ويقول بأن العقيدة المسيحية لا تدّعي بأن لله ولداً من جنس البشر ولكنه حسب اعتقاداتهم فإنه ولد من غير جنس البشر !!

إن القرآن يردد دائماً بأنه ليس هناك إله غير الله، والمسيحية تقول إنه الآن واحد ليس وحيداً !

الإنجيل يمنع نحت تماثيل للأشخاص والقرآن يمنع التصوير والتشخيص تماماً كما يقول.

لقد كان تعرف القس على الإسلام والمسلمين بشكل حقيقي عندما زار المغرب في الثالثة والعشرين من عمره. لقد آمن في مجموعة كشافة فرنسا بأنه عبد لإله إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ويعقوب وموسى وداود والمسيح (ولم يذكر محمداً صلى الله عليه وسلم).

كان حلمه هو أن يرى الأطفال العرب والسود يتعايشون مع الأطفال البيض في كل مكان وهذا كان أفقه الذي اختاره لنفسه.

اكتشاف الإسلام

صدر عام ١٩٥٥ مرسوم من المجمع البابوي يحث على احترام التقاليد الدينية للآخرين وفي عام ١٩٦٢ ذهب إلى المغرب في رحلة مع كشافة فرنسا.

لقد بدا له الإسلام مجرد طريقة للعيش وطريقة للتعامل بين الناس، ودهش جداً من استعداد المسلمين للضيافة والكرم.

ثم زار الجزائر فكانت دهشته أكبر من استقبال الناس له عندما آواه المجاهدون أعداء الأمس لديهم كأنه أخ لهم. وحل ضيفاً على رجل صار أعمى من تعذيب الجنود الفرنسيين له .

لقد لاحظ بأن روح التسامح والعفو هي التي انتصرت ولمّا تتبدد بعد رائحة البارود. كان الثوار القدامى يفتحون له ولرفاقه صدورهم ويرحبون بهم، في الوقت الذي كان الناس في فرنسا يرفضون حتى مجرد الكلام مع الألمان بعد سنين طويلة من سقوط النازية.

لقد كان يظن أن المسيحية هي بالدرجة الأولى ديانة التسامح والعفو .

كانت رحلته الثالثة إلى القدس حيث تعرف على عائلات عربية مسلمة كثيرة هناك وعلى الأذان خمس مرات في اليوم.

ازدادت علاقاته بالمسلمين في ضواحي مدينة ليون الفرنسية وأصبح صديقاً للعائلات المسلمة التي تستقبله بترحاب في بيوتها ، وأصبح ينظم لأولادها رحلات كشافة فرنسا، ويهتم بنتائجهم الدراسية ويشارك في جميع احتفالاتهم الأسرية مثل الزيجات والختان والمآتم وعودة الحجاج من مكة لقد نظروا إليه ابناً لهم، بل أصبح يشارك معهم في اختيار وشراء خروف عيد الأضحى.

خلال تلك السنوات - يقول القس كريستيان - كنت شاهداً على «إسلام شعبي» ذكر الله على كل لسان لكن معارف أولئك الناس فيما يتعلق بدينهم ضعيفة. وكثيراً ما كان الناس يأتون إلي لتفسير قوانين إسلامية لهم عندما لا يجدون جواباً على أسئلتهم لدى آبائهم وأمهاتهم ! وهذا ما قادني إلى تثقيف نفسي حتى يمكنني إجابتهم. أحببت هذا الإسلام الشعبي.

يمضي القس قائلاً: استقبلت في إحدى المرات عام ١٩٧٩ في دار الشباب بضاحية ليون تجمعاً لجماعة التبليغ كان من المتوقع أن يضم مائتي شخص لكن العدد الذي جاء هو خمسمائة شخص . دُهش أهل الحي وهم يرون على مدى أربعة أيام جماعات من الرجال يطلقون لحاهم ويلبسون أثواباً طويلة،وظل صوت الأذان يدوي في المكان ويجتمع الناس للصلاة.

وفي سنوات التسعينات تضاعفت الجمعيات الإسلامية

خاصة في منطقة ليون وبالاحتكاك بها اكتشفت شباباً متعطشاً للتعلم ، راغباً في العيش بطريقة مستقيمة في عالم صعب ، حتى أني كنت في بعض الأحيان أقوم بدور الجسر بين مجموعات ذات توجهات متضادة وبفضل ثقتهم وجدت نفسي غالباً جسر تواصل بين الشباب المسلم والمسيحي . لقد كنا نشعر بأننا أصدقاء ومؤمنون بطبيعة الحال، نسعى لرضاء الله ولحب الناس.

هذه الكتابات التي تهزنا .. رشيد بن زين وكريستيان دولورم

يتساءل المسيحيون قائلين : ما هو الجديد في القرآن الذي لا شبيه له في الإنجيل عدا الهجومات التي فيه علينا؟

ويقول المسلمون من جهتهم إن اليهود والمسيحيين قد زيفوا الكتب التي أنزلت من قبل.

ويثور المسلمون كذلك عندما يسمعون غير المسلمين يشككون في كون القرآن منزلاً من عند الله ، ويقولون بأن الإنجيل ليس له أن يتكلم عن القرآن لأن القرآن قد نزل بعده بستة قرون على الأقل.

ورأيت المسلمين يبدون أسفهم كون اليهود والمسيحيين لا يتقبلون القرآن بمثابة الكلمة التي جاءت لإكمال الوحي الذي نزل من قبل عليهم.

وفي المقابل أيضاً فإن الأناجيل غير متسامحة مع اليهود.

وفي المسيحية يمكن أن نكون مسيحيين حقيقيين دون أن نهتم بالوحي القرآني، في حين أن المسلم لا يكون مسلماً حقيقياً ما لم يعترف ببعثة عيسى.

إن على المسيحي أن يفهم ويدرك أن جوهر الوحي القرآني هو بمثابة تذكير لكل ما قاله الله للرسل الذين تعاقبوا منذ إبراهيم ولم يدع النبي محمد صلى الله عليه وسلم أبداً أنه جاء بشيء جديد فالمسيحي يمكن له أن يجد في القرآن تأكيداً قوياً للحقائق الخاصة بعقيدته . والمسيحي سوف يتأثر بقصة مريم أم عيسى كما أوردها القرآن بالتأكيد.

يقول رشيد بن زين لقد عثرت يوماً في كنيسة صديقي الراهب الذي تحدثت عنه في أول الكتاب قرآناً بين مجموعة من الكتب الأخرى.

لقد علمتني تجربتي من خلال معايشة الناشطين المسيحيين بأنهم رجال ونساء ميدانيون. هذه صفة إيجابية فيهم، ولا بد أن نذكر شيئاً من سلبياتنا نحن المسلمين، إذ أننا نهتم بإقامة الشعائر والعبادات وقد نهمل أعمالنا الأخرى.

إن ما شدني للمسيح عليه السلام هو أنه كان لطيفاً مع الجميع فقد كان يلتقي بكثرة بأناس مهانين وضعفاء لقد كان المسيح يجد دائماً الأعذار لأعدائه . وقد كان يرد الإهانات بكلام طيب حتى أن الإمام الغزالي قد روى في القرن السابع بأن أحداً قال لعيسى عليه السلام : كيف تدعو للناس الذين أهانوك وتباركهم ؟ فقال له عيسى عليه السلام: كل ينفق مما عنده.

كان المسيح متواضعاً ينظر للناس نظرة أمل ورجاء. لقد كان بمثابة معلم الحكمة العالمية ، وكان يدافع عن المجذومين في وقت كانوا فيه منبوذين ومطرودين.

محمد هذا المجهول (كريستيان دولورم)

إن المسلم لا يستطيع تجاهل شخصية المسيح، فهي شخصية محورية في القرآن، وفي المقابل فإن كل التراكم الديني المسيحي أمكنه تجاهل محمد، فالغالبية من غير المسلمين نظرت إلى محمد بطريقة «دونية» ونظرت إليه بمنظورالظلامية، حتى الأشخاص الذين نعتقد بأنهم مثقفون يجهلون محمداً صلى الله عليه وسلم ويصورونه بطريقة كاريكاتورية.

لقد جهد العالم المسيحي للحط من قيمة الإسلام ومن نبيه، فقد كتب فولتير مثلاً نصوصاً عدة يندد فيها بنبي الإسلام واصفاً إياه بالمتعصب. وفي بعض الحالات النادرة كما عند لامارتين وفيكتور هوغو قدمت صورة إيجابية عن نبي الإسلام. فقد كتب لامارتين قائلاً " لم يتمكن رجل قط من أن ينجز ثورة كبيرة ودائمة في زمن قصير كما قام بذلك محمد ".

فكيف لنا أن ندعي بأننا نحترم المسلمين إذا كنا لا نبذل جهداً لاحترام الرجل الذي تلقى الوحي بعقيدتهم من إله واحد؟ إن محمداً لم يتم تقديمه على حقيقته للجمهور الغربي إلا نادراً.

(ويسرد الكاتب بعد ذلك للقارئ تفاصيل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ ولادته وحتى نزول الوحي عليه ومآثره وتفاصيل مسيرته).

وعن حروب النبي صلى الله عليه وسلم يقول الكاتب كريستيان دولورم:

إننا إذا نظرنا للأمور بموضوعية فإننا نرى بأن محمداً لم يقد إلا حروباً حقيقية قليلة أقل من مائة حملة عسكرية منها (٧٤) خلال سبع سنوات ضد المكيين. وهي في الحقيقة أعمال كان الهدف منها إيقاف هذه القافلة أو تلك والاستيلاء عليها لإضعاف الخصم، وقد تبين أن عدد القتلى محدود جداً. وفي الحقيقة فإنه ليس هناك إلا ثلاث حروب كبرى هي بدر وأحد والخندق. وهكذا فإن المؤرخين يتحدثون عن سبعين قتيلاً معادياً في معركة بدر وخمسين في معركة أحد وثلاثة فقط في حصار الخندق.

وفي معركة أحد قتل عم النبي المحبوب حمزة وشعر النبي «برغبة كبيرة في الانتقام» ولكن الوحي القرآني أثناه عن هذه الرغبة ودعاه إلى أن يكون العقاب بمثل ما عوقب به، وهكذا منع محمد من تشويه الأجسام ودعا المحاربين إلى احترام الوجه.

لم يكن محمد شبيهاً لا بجنكيز خان ولا بتيمور لنك ولا بنابليون التي لا تنسى له أوروبا المجازر الكبرى. لقد كانت الحرب بالنسبة إلى المسلمين محدودة بحدود ما هو لازم لتأمين الحياة والمستقبل للجماعة التي آمره الله بجمعها، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم مدفوعاً قط بمجده الشخصي أو بشهرته وبرغبته في امتلاك القوة والتسلط.

إن تعبير (الجهاد) المشهور لا يعني فقط المعركة المسلحة مع الأعداء لكنه أيضاً جهد مبذول من الذات على الذات لمقاومة نزعاتها السيئة، وعندما فتح محمد مكة التي طردته، فإنه لم يسع إلى الانتقام من أهلها ولا حتى من زعمائها وعفا محمد عن كل أعدائه تقريباً.

لما مات محمد عام ٦٣٢م لم يمت كرجل دولة لكن كرجل فقير أمام الله. إنه لم يدَّع أنه أرفع من بقية الناس ولم يسع إلى بناء إمبراطورية لنفسه، ويمكننا القول بأنه الوحيد في التاريخ الذي بنى «إمبراطورية» دون أن يعلن نفسه إمبراطوراً. ولم يسع إلى التربع على عرشها، ولم يجمع ثروة لنفسه حتى أنه لم يترك شيئاً ليرثه أهله، ولم يكن مسكوناً بهاجس تعيين خليفة له، فقد كان مسلماً أمره لله حتى آخر لحظة في حياته.

إن المنتقدين لمحمد، يثيرون دوماً موضوع العدد الكبير من زوجاته، غير أن التراث الإسلامي على العكس يتحدث عن قوته ورجولته التي حباه الله بها. يجب علينا أن ننظر إلى حقيقة حياة الرسول العائلية والجنسية من زاوية موضوعية. لقد كانت زيجاته في أغلبها بمثابة عقد تحالفات مع هذه المجموعة أو تلك من الناس.

لقد كانت زيجاته وسائل لتحقيق اللحمة بين مجموعات من الناس كان يسعى إلى توحيدها تحت راية الله.

لم يدَّع محمد الكمال فالقرآن مثلاً يلومه في سورة عبس وتولى لأنه لم يهتم برجل أعمى قصده ووجه اهتمامه لضيوف مهمين آخرين.

إن محمداً محبوب عند أصحابه وهو محبوب جداً في أعماق المسلمين، فهم يرون فيه مثالاً للإيمان ونوراً في زمن الظلمات.

لقد حان الوقت في الغرب أخيراً ربما ولدى المسيحيين بشكل خاص، كي يتوقفوا عن اتخاذ موقف ضد شخصية محمد، بل يجب الكشف عن سلوك هذا الرجل الفريد، وما يمكن أن يفيدنا في سعينا لنكون أكثر إنسانية وأكثر روحانية.

إن التراث الإسلامي يؤكد آن الذنوب يمكن محوها بالمشاعر الطيبة التي يمكن أن تغزو قلوب المذنبين، حتى ولو كان المستفيد منها كلباً، فهذا حديث رواه مسلم يقول

بأن بغياً رأت كلباً عطشاناً في يوم حار فخلعت نعلها وسقته فغفر الله لها ذنوبها.

إن واحداً من الأسباب الأكيدة التي جعلت رسالة القرآن تنتشر بسرعة في السنوات التي تلت الوحي الذي نزل على محمد هي أن الإسلام قد بدا على الفور بمثابة وعد بالعدالة وبالحق للفقير والمظلوم.

ذكر الله : (رشيد بن زين)

لا أحد يصيبه الاختناق عندما يذهب الشباب المسيحي إلى تجمع للصلاة في لورد أو باريس أو غيرها من المدن، ولا أحد يلوم كوادر ومثقفين مفتقدين للقيم الروحية في حياتهم عندما يذهبون إلى أحد الحصون البوذية التي تكاثرت هذه الأيام في فرنسا، ولكن بالمقابل عندما يبدأ شباب العائلات المسلمة في الضواحي الشعبية يأخذون طريق قاعات الصلاة غير المريحة في أسفل العمارات أو في بيوت قديمة، عندها يظهر الخوف من التصرفات الأصولية . فهل صلاة البعض أقل جمالية من غيرها من الصلوات؟

(ويصف رشيد بن زين الصلاة التي يؤديها المسلمون بجميع تفاصيلها ويورد بعض الأدعية كأمثلة ويقول):

إن نظرة الغرب ، من الخارج للدين الإسلامي تأتي من سوء الفهم فالمسلمون هم خاضعون لله وهم يدعون كي يخلصهم الله من المآسي ويرجونه كي يمتعهم بالمزايا التي يريد أن يهبهم إياها.

عندما يصبح المقدس رعباً

(رشيد بن زين وكريستيان دولورم)

لا يجب أن نربط العنف الديني بالإسلام وحده فقد قام اليمين المتطرف اليهودي المتنامي باغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين في ربيع عام ١٩٩٥م وقد فاز الأصوليون الهندوس بقاعدة عريضة من الأنصار من بين السكان، وتنادى زعماؤهم للتحريض على الحقد القاتل ضد المسلمين.

وفي الولايات المتحدة قام المسيحيون الكاثوليك كما البروتستانت باسم (حرية الحياة) كما يقولون باستخدام القوة وقتلوا أطباء ، شجعوا على الإجهاض.

وفي فرنسا هناك أناس من اليمين المتطرف ومن رجال الكنيسة ، يعلنون عن أمنيتهم في تصفية المغاربة المسلمين الذين يصفونهم بالصراصير أو الفئران في الوقت ذاته يدعو المتطرفون الإسلاميون إلى تخليص العالم من غير المسلمين.

إن على الغرب أن يدرك بأن حضارته نفسها ينظر إليها بمثابة الحضارة الحاملة للموت، فالحرب العراقية الإيرانية التي جرت في الثمانينات التي أوقعت ملايين القتلى والجرحى والمعوقين كانت برغبة من الولايات المتحدة وحلفائها الذين كانوا يرغبون في الإطاحة بدكتاتورية آيات الله باستعمالهم دكتاتورية صدام حسين.

لقد مات مئات الآلاف من الأبرياء العراقيين تحت القصف وأكثر من ذلك بسبب الحصار الذي فرضته الولايات المتحدة وبالنسبة لعائلات هؤلاء الضحايا فإن الغرب المسيحي هو المتهم.

إن الحرب في فلسطين والبوسنة والشيشان وطاجكستان ينظر إليها بمثابة مؤامرة كبرى غربية ضد الشعوب الإسلامية.

لقد كان هتلر الذي قام بالمحرقة مسيحياً معمداً.

لقد كانت القنابل التي دمرت ناغازاكي وهيروشيما عام ١٨٤٥ قنابل ألقاها مسيحيون.

كيف يمكن لعدة مئات من المتحجبات في المؤسسات التعليمية أن تثير كل هذه الدهشة والاستنكار إلا إذا كانت هذه المظاهر تذكر الناس بحقبة كانت فيها الكنيسة الكاثوليكية تسيطر على وعي الناس.

يجب علينا أن نكون غير نزيهين حتى لا نعترف في نظر التاريخ بأن الإسلام والمسيحية كانا عاملين كبيرين في تطور الحضارة الإنسانية.

لقد استفادت المجتمعات المسيحية في عصر النهضة بإضافات الحضارة العربية الإسلامية، والمجتمعات الإسلامية وفي المقابل استفادت أيضاً من الثروات الثقافية والعلمية للغرب التي يغلب عليها الطابع المسيحي

ولو أن المصالح الاستعمارية والامبريالية قد أفسدت وخربت هذا الحوار بين الحضارات .

إن الأناجيل في مجملها هي تنديد واستنكار لكل عنف، لكن الكنائس في تاريخها قد وجدت في مرات عديدة الوسائل لتبرير اللجوء ليس فقط للحرب الدفاعية ولكن إلى مجازر التصفية.

أما بالنسبة للقرآن فهو صحيح بأنه يدعو المسلمين للمقاومة المسلحة ضد أعداء الإسلام لكن ذلك في وضعيات محددة حيث تكون الأمة مهددة في وجودها. والنبي محمد هو المثال الذي يحث على المصالحة وتوقيع المعاهدات الدبلوماسية أكثر من حثه على استعمال القوة والعنف. إن اللجوء للجهاد الأصغر (الحرب المقدسة) لم يكن أكثر من لجوء الكنائس المسيحية إلى الحروب الصليبية.

إن الأصوليات قد ظهرت عبر التاريخ في فترات متواترة وهم الذين عارضهم المسيح في زمانه. والكنيسة في عهود محاكم التفتيش قد سقطت في هذا الانحراف ونرى بأن جزءاً كبيراً من العالم الإسلامي اليوم مهيأ للوقوع في هذا المأزق بسبب المظالم التي تعرضت لها الشعوب المحتقرة من قبل الغرب المهيمن.

ولكن من هم الضحايا الرئيسيون لهذه الأصوليات غير الشعوب الإسلامية نفسها؟

وفي فرنسا فإن الباحثين والكتاب لا يفرقون بين فئات الإسلاميين، فهم بالنسبة لهم متسلطون وظالمون للمرأة وللحريات الفردية، وقليل هم الذين يدرسون الموضوع بتفصيل وموضوعية مثل فرانسو بورجا كاتب كتاب الإسلام وجهاً لوجه . فإذا كان الإسلاميون يحملون شرعية شعبية فكيف لا يمكننا القبول بالتحاور معهم؟

حوار الحضارات الذي لا مفر منه

(رشيد بن زين وكريستيان دولورم)

إن العالم اليوم بمثابة قرية عالمية ولدت بفضل وسائل الاتصال، والأزمة العامة في القيم والمعايير الناتجة عن اختلاط الناس والثقافات. ومن واجب الديانات الكبرى أن تعيد تعريف مفهومها للتنوع الديني وفي الماضي القريب كان الاتجاه سائداً نحو تجاهل هذا النوع فالآخر كان " إما معتنقاً لديننا أو منبوذاً أو مهيمناً عليه " . وكان هناك شعار مرفوع يقول : " لا توجد نجاة خارج الكنيسة " و كثيرون هم الذين ما زالوا يعتقدون ذلك اليوم أيضاً.

لقد بدأت الكنائس في إعادة النظر فعلاً في موقفها تجاه غير الكاثوليك منذ الستينات، فقد قال مجمع الفاتيكان بخصوص الإسلام بأن الكنيسة تنظر بتقدير للمسلمين الذين يعبدون الله الواحد الحي الموجود الرحمن القادر والقوي خالق السماء والأرض الذي كلم الناس . ويضيف : (إذا كانت هناك خلال القرون خلافات وخصومات قد ظهرت بين المسيحيين والمسلمين، فإن المجمع يدعو الجميع لنسيان الماضي وبذل جهد مخلص للتفاهم المتبادل ولحماية وتطوير العدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية والسلام والحرية لكل الناس).

لقد حصل حدث هام في سياق الاعتراف المتبادل عندما زار وفد من العلماء والأعيان السعوديين الفاتيكان عام ١٩٧٤م وقام هؤلاء بتأدية الصلاة في كاتدرائية ستراسبورغ حيث رحب بهم راعي الكنيسة .

إن الحوار بين الأديان هو شيء غير التعايش السلمي. بالتأكيد العيش في الحوار هو بالنسبة للمؤمنين أن يكونوا متضامنين في العالم الذي يتعايشون فيه.

الوضوح والثقة - الحذر والصبر

والحوار بين الأديان يجب أن لا يكون بكل الأحوال حصراً على بعض المثقفين أو رجال الدين، ففي عالمنا المختلط يجب أن يكون كل أولي النيات الحسنة مسؤولين عن هذا الحوار .

هذا هو الطريق الأمثل للتفاهم والعيش بسلام، قال تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون﴾.

عمـر الإنسـان

محيي الدين عطية

إن كان بوسعك أن تخترق الآن

في لحظة فكر نادرة..

أن تقلع من أرض الحاضر..

مجتازاً نفق الأزمان

أن تخلع ثوب الحدثان

فستدرك كم يبدو صفراً

عمر الإنسان..

إن كان بوسعك أن تمتطي جناح الجان..

أن تسبح خارج كوكبنا..

تجتاز فضاء مجرتنا..

وتحلق بين الأكوان..

فستدرك كم يبدو صفراً

حجـم الإنسان!

أيامي ما كانت يوماً بيضاء الصفحة ميمونة

وسفينة عمري مثقلة بخطايا نفس مفتونة

دفعتها ريح عاتية لبحار ليست مأمونة

لكني منذ أفقت على طعنات الغدر المأفونة

ورأيت على خد سمائي ومض الأهوال المجنونة

وسمعت مع الليل أنيناً تبعثه الأرض المطعونة

فإذا بي كضرير شقت طعنات الغدَّار عيونه!

وعـرفت طريقي ساعـتـهـا وطويت على الأمس جفونه

فمددت بفضلك يا رباه أيادي بيضاء حنونه

وزرعت بقلبي إيماناً كالنور وروَّيت غصونه

فهجرت الصحب وسامرهم ونأيت بقلبي لأصونه

وفطمت عن الكأس شـفـاهي ودفنت مع الليل مجونه

وأقمت بصدري محراباً شيدت مع الدمع حصونه

من لي بحروف أخرى تخترق الجدران

لم يسمعها قبلي إنس أو ينطقها بعدي جان

لم تتغن بها ألسنة أو تتذوقها شفتان

تهب اللحظة كالنسمة رياً للظمآن

لما أدعوه وتضرع في جنبات الليل الكفَّان

ويمر نهار اليوم ثقيل الخطو ويمضي اليومان

فيلبي وبأكرم ما تحتمل العينان

فأحس كمن يغتسل بزخات المطر من الأدران

أو كالطائر فوق بحار السحب وإن عز الطيران

لو أن الدنيا ساعتها قد أرخت لي ألف عنان

مـا صـرفـتـني عن أحلى لحظات الصـدق مع الرحمن

ما خدعتني عن جوهرة تسكن أعماق الإنسان!

لكني أحمل قلباً في حجم الإنسان

ما أكثر ما أخفي دمعاً يغلبني مثل الصبيان

ما أتعس أن يغدو دمعي ذنباً تخفيه الأجفان

قراءة في مجموعتي:

«رحلة في أحراش الليل» و«نداء إلى الضفة الأخرى»

■ في زمن «تكسر» اللغة، والإغماض الذي يعكس عجزاً محزناً في القدرات التعبيرية لدى الأدباء والنقاد.. في زمن السيل المتدفق من الأعمال المترجمة عن اللغات الأخرى، بلغة ملتوية لا تملك أمانة توصيل الخطاب الإبداعي أو النقدي للمتلقي.. تبرز «حميدة قطب» التي تمثل امتداداً «أسلوبياً» لشقيقها الشهيد «سيد قطب» والأستاذ «محمد قطب»، وربما لشقيقتها «أمينة قطب»، بعملها هذا في جزئيه اللذين يحمل أولهما عنوان «رحلة في أحراش الليل» ويحمل ثانيهما عنوان «نداء إلى الضفة الأخرى».

لا بأس أن نبدأ باللغة لأنها ـ إذا أردنا الحق ـ حجر الزاوية ونقطة الانطلاق، فهي ليست كما قد يخيّل للبعض، مجرد أداة للتواصل أو وعاء لحمل المخزون الإبداعي أو المعرفي.. وإنما هي ـ أكثر من ذلك ـ جزء لا يتجزأ من التكوين المعرفي «الأبستمولوجي» للأديب والناقد والمفكر على السواء.



د. عماد الدين خليل

وهي، أي اللغة، في معطيات (آل قطب) الفكرية والإبداعية على السواء، تحمل رصانتها ومدماكها المحكم، واحترامها للثوابت والمرتكزات، ووضوحها وعمقها في الوقت نفسه، دونما أي قدر من المباشرة والتسطح بحجة حمل أمانة التواصل مع الآخر. بل هي ـ على العكس ـ تنطوي على شحنات تعبيرية في غاية الخصب، تعرف كيف توظف كل الإمكانات البلاغية والجمالية للغة العربية المتميزة التي كان «العقاد» قد سماها يوماً «اللغة الشاعرة».

(١)

ولعلّ إحدى ميزات عمل «سيد» الكبير: «الظلال» هي لغته المحكمة القديرة على التوصيل، والمحملة ـ في الوقت نفسه ـ بشبكة غنية من القيم الفنية، منحت تفسيره آفاقاً معرفية أكثر

اتساعاً، وطعماً عذباً سائغاً شرابه.
في هذا الاتجاه يتحرك «آل قطب» وهم يكتبون.. إنهم يمسكون جيداً، كمحترفين متمرسين، بذاتهم هذه، ويعرفون كيف يوظفونها، بالأصالة التي عرفت عن الأجداد، منذ عصر (الجاحظ) وحتى عصر (الجرجاني) و(ابن الأثير)، وكذلك بالمعاصرة التي تجعل معطيات العصر كله، في سياقاتها المختلفة، طيّعة للغة التي تعرف كيف تخاطب الآخرين.

(٢)

لم تكن المجموعة الأولى «رحلة في أحراش الليل» في متناولي عندما اطلعت على المجموعة الثانية «نداء إلى الضفة الأخرى» - والعنوانان محمّلان بالشفافية والترميز - ووضعت جملة من النقاط للخوض فيها - فلما تسلمت المجموعة الأولى تبيّن لي أني كنت سأقول الأشياء نفسها التي أشارت إليها الأخت «حميدة» في مقدمتها، وأحسست بأن البساط يسحب من تحت قدمي.

لكن هذا لا يعدو أن يكون جانباً من الصورة.. جانباً محدوداً.. وثمة الجانب الآخر الأكثر أهمية، وهو أن الجهد النقدي إذا استطاع - وهو يتعامل مع النص - أن يحقق المقاربة المرجوة، وربما المطابقة، مع رؤية المبدع فإنه يكون قد أدى دوره بصيغة أكثر اتقاناً وصدقاً.

ذلك أن الذي يحدث في كثير من الأحيان، هو أن النقد يقدم استنتاجات ويصدر أحكاماً، قد لا يكون المبدع قصد إليها البتة.. إنما هو ذوق الناقد ومنهجه، وخلفياته الثقافية، وربما ميوله وأهواؤه، ما يقود إلى تلك الاستنتاجات ويصدر تلك الأحكام التي قد تضيء النصّ حيناً، وتطمس عليه أحياناً.

ومهما قيل عن «علمية» النقد و«منهجيته» وتجاوزه «للذاتية»، وبخاصة عبر ربع القرن الأخير حيث أريد للجهد النقدي - بالإلحاح المعروف للعقل الغربي - أن يصير نشاطاً مختبرياً لا ينطوي على أي هامش للاحتمال، فإنه يظل محاولة للمقاربة في معظم الأحيان، لأنه في نهاية الأمر «معرفة إنسانية» أو - إذا تساهلنا في الأمر - «علماً إنسانياً»، والعلم الإنساني هو غير «العلم الصرف» في القدرة على الكشف والوصول إلى نتائج منضبطة. بل إنه حتى العلم الصرف هذا، كالفيزياء والكيمياء والفلك وعلوم الحياة.. إلى آخره.. تبيّن عبر الكشوف الأكثر حداثة في القرن الأخير، كم أنه ينطوي على هامش كبير للاحتمال.

مهما يكون من أمر فإنني أضمّ صوتي إلى ما أسمته حميدة: «الأصوات الكثيرة» التي عارضتها في اتخاذ قرارها بالاحتفاظ بتجربتها وعدم نشرها على الناس. ذلك أنها - بحق - «ملك المجموع» «خاصة هؤلاء السائرين في الطريق الوعر، يعانون حتى الآن، وحتى الغد الممتد في علم الله، من أشواكه ودمائه وآلامه وآماله».

وقد يخطر على البال هنا هذا الفارق الكبير بين ما كتب عن التجربة «تاريخاً» أو «تسجيلاً» وهو غني خصب يكاد يغطي جل التفاصيل والجزئيات، ويمارس توثيقاً طيباً لحلقة من تاريخنا المعاصر قد تفسر جذور البلاء الذي حاق بهذه الأمة عبر النصف الثاني من القرن العشرين، وتلقي ضوءاً أكثر موضوعية ونقاء على أسباب هزائمها وانكساراتها، ليس في الساحة الفلسطينية فحسب، بل في مدى عالم العروبة، وربما عالم الإسلام على امتداده.

ولم يكن يقابل هذا الذي كتب عمل أدبي أو فني يذكر، يقدم البديل الإبداعي للتجربة، ويمارس وفق طرائقه الخاصة التغطية المطلوبة التي قد لا تقل أهمية وضرورة عن التغطية التاريخية أو التسجيلية. ذلك أنها ها هنا، في الدائرة الإبداعية، توغل في أعماق التجربة وشرايينها، وتعدّ رؤية انطباعية صادقة ومؤثرة، لأناس عاشوا المحنة لحظة بلحظة، واكتووا بنارها.

وتجيء «حميدة قطب» لكي تملأ بمجموعتيها هاتين الفراغ الملحّ، وتجيب على السؤال الذي ظلّ معلقاً العقود الطوال، فتسجل بذلك ريادة وسبقاً طالما عُرف عن «آل قطب» وهم ينفذون مشاريعهم التأليفية بحثاً أو إبداعاً.

(٣)

تتساءل حميدة في مقدمتها تلك «في أي خانة من خانات الكتابة» تضع مجموعتيها؟ ثم تقول: «فأنا حتى الآن، وبعد أن أتممتها، لا أستطيع أن

أضعها يقيناً في تصنيف معين من تصانيف الأدب. بل أكثر من ذلك، فإني لا أملك أن أقحمها على عالم الأدب أصلاً. فقانون الأدب ذاته يدعوني أن أترك ذلك للمتلقي، يقيّمها بما تحمل في كيانها من ملامح الأدب وشروطه الحقة، ويضعها في الخانة التي تصلح لها.

وتعود في مكان آخر من مقدمتها إلى الإشكالية نفسها فتقول: «إني لا أستطيع أن أصنف هذه المجموعة التي نطلق عليها تجاوزاً «قصصاً قصيرة» في خانة القصص، فذلك موكول إلى المتلقي الناقد. وأنا لست بناقد. فقد يكون فيها ما يدخلها حقاً في باب القصص، وقد يكون فيها ما يخرجها منها، وقد يكون فيها ما يضعها في خانة السير الذاتية، وقد لا تنطبق عليها شروط السير الذاتية بكاملها. وهي قد تجمع بين ملامح القصة الطويلة والأقصوصة معاً، وهي قد تخرج من ذلك كله إلى شيء آخر جديد».

أما أنها لا تستطيع أن تضعها في تصنيف معين من تصانيف الأدب، فقد يكون ذلك صحيحاً.. لأن المجموعتين، ببنيتهما الفنية وخصائصهما الأسلوبية قد تندرجان في سياق «المذكرات» أو «السيرة الذاتية»، وقد تكونان مجموعة من «القصص القصيرة»، بل يمكن - وأرجو ألا أكون مخطئاً - اعتبارهما عملاً روائياً.

ولم لا وهما تنطويان على جلّ المطالب التقنية لهذا الجنس من الإبداع: الشخصية المحورية.. لفضاء.. تنامي التجربة ببعديها الخارجي والباطني.. وسيّال التداعيات الخصبة التي لا تكف عن التدفق منذ الحلقة الأولى في المجموعة حتى اللحظة الأخيرة، فيما يذكر - بشكل من الأشكال - بالروائي الإنجليزي «جيمس جويس» الذي يسحب قارئه إلى تداعيات عالمه الباطني، إلى ذاكرته المتخمة بالصور والمشاهد والخبرات، والذي يجعله يلهث وراءه وهو يتابع السيّال المتدفق حتى النهاية.. ويتذكر المرء - كذلك - الروائي الكولومبي «غابرييل ماركيز» في روايتيه الكبيرتين «مائة عام من العزلة» و«خريف البطريق» والذي طالما أكد في مقابلاته الصحفية تأثره العميق بجويس.

ومما يؤكد هذا كله أن حميدة تقول في مقدمتها تلك: «إنني لم أتدخل كثيراً في اختيار الثوب الذي تخرج فيه تلك الحقائق، ولكني تركتها وهي تملي عليّ، وتتخذ طريقها الذي تريده من خلالي».

منذ الحلقة الأولى في المجموعة الأولى التي تحمل عنوان «السلاسل» نتابع هذا السيّال الذي تتقطع دون ملاحقته الأنفاس.. إنه يتدفق بعفوية، منطوياً على المنظور والمغيّب.. على الحس والوجدان.. على الحزن والفرح.. على الحاضر والماضي.. على نفاد الصبر ولقدرته الأسطورية على التحمل.. على الفضاء المادي للزمن والمكان وعلى عمقها الذي يتجاوز حدود المرئيات يخيل للمرء فعلاً أن الكاتبة لم تكن تتعمد اختيار الصيغة التي تخرج بها تجربتها للناس، ولكنها استسلمت لها.. تركتها تملى عليها، وتتخذ طريقها الذي تريده من خلالها.

وحتى الحلقة الأخيرة في المجموعة الثانية التي تحمل عنوان (الرحيل) يجد القارىء نفسه قبالة السيّال الخصب الغني المترع بالتداعيات.. بالحركة الراجعة في الزمن إلى الوراء.. ما يسمى بالتذكر، وبالحلم الذي يتجاوز أسر الزمن ويمضي صوب المستقبل البعيد.. إنها بهذا تعرّض عن ضيق الفضاء الروائي.. تكسر جدرانه التي يقيمها حاجزا الزمن والمكان.. وكأنهما المعادلان الموضوعيان لضيق السجن.. وتخرج - بتوق السجين نفسه إلى الحرية - صوب زمن غير زمن السجين ومكان غير مكانه فيما يمكن أن يكون هو الآخر المعادل الموضوعي لحلم الإنسان المسلم في هذا العالم: تحرير الإنسان.. والخروج بالبشرية من ضيق الدنيا إلى سعتها.

«لكن ساعاتها.. ساعات اليوم كله إلا القليل، تنقضي، رغم هذه الوحشة المطبقة، في هذه المحاولة الشاقة، مشرئبة العنق، متقلصة الساقين، مشدودة القدمين، مرتكزة بثقلها على أطراف أصابعها، حتى إذا أنهكتها الوقفة الصعبة، حتى إذا أنّت عضلات ساقيها وأحست بعظام ظهرها تصرخ ألماً، وحتى إذا كلّ بصرها من التحديق في الضوء المتوهج إلى لا شيء، إلا

صمت الأبواب السوداء المتراصة كنذير فناء، ألقت بقدميها إلى الأرض واسترخت في إعياء، ووقفت تدور ببصرها الحائر على الجدران المغلقة بلا منفذ، حيث تستقر من جديد على الطاقة الصغيرة في أعلى الجدار، تحدّق فيها وتنفذ ببصرها المتعب إلى رقعة السماء الساكنة حتى من غيمة عابرة تتحرك.. ثم ما تلبث أن تعود ملهوفة إلى الكوّة الصغيرة في الباب المسدود تبحث فيها عن منفذ إلى الحياة»!ونواصل القراءة في مكان آخر من (السلاسل) التي يومىء عنوانها، كما هو الحال بالنسبة لعنواني المجموعتين: (رحلة في أحراش الليل) و(نداء إلى الضفة الأخرى)، بالكثير مما تريد الكاتبة أن تقوله، ومما يكتف بكلمات قلائل المغزى الأكثر أهمية لهذا العمل الأدبي المبدع..

الصور عميقة غائرة، نافذة كالخنجر، مثيرة كريح الإعصار، ترجّ القلب رجّا وتعتصره في صدرها، تحسه يهوى، يهوى إلى مكان سحيق لا تدري أغواره، تتفكك أوصالها ويغمرها خدر مؤلم كأنها تودع الوجود!

«الذكرى تعود.. تغرقها رغم كل مقاومة.. تلتف حولها كالسلاسل، تنتزع قلبها انتزاعاً رغم قواها الهابطة، رغم عضلاتها التي تئن، تعضها قسوة الفراش، وضراوة الأسفلت الرطب تحت الفراش الرقيق، وقسوة الهواء الثقيل الذي ينصبُ من الطاقة فوقها ساخناً بارداً في آن.. رغم الهول المحيط ووجه الحياة الغامض المفزع يتراءى ممحو الملامح يلفحه اللهب ويحمشه الحريق.. تلك الذكرى البعيدة في أغوار الزمن، تبدو في ذهنها المرهق واغلة القدم.. أفكانت حقاً قبل أيام قصار»؟هذا في الحلقة الأولى.. فماذا في الحلقة الأخيرة: الرحيل؟

«جثم وجوم أسود صامت فوق الوجوه المروّعة المذهولة.. كل شيء في جوّ الزنزانة يهمس بذهول مرتاع.. يرهص بالكارثة.. الأشياء القليلة المبعثرة على أرضها الصخرية، حتى قطع الملابس وقد إلتاثت بتراب هذه الأرض بعد أن حوّله الماء المسكوب إلى بقع من الطين.. الطعام والشراب وقد اختلطت أجزاؤه بعضها ببعض فلم يعد يتبين فيه شيء من شيء بعد أن داسته أقدام الوحش الهائج.. الحقيبتان الفارغتان وقد انقلبت كل منهما على فوهتها.. والفراشان وقد تبعثرا في طول الزنزانة وعرضها.. وهما الاثنتان وقد خارت قواهما وسقطتا منهوكتين فوق الأرض الملتاثة.. توجهت الأعين إلى السماء التي لا يحجبها عن قلبيهما ذلك السقف المغلق، وتمتمت الشفاه بالدعاء الحارق في أعماق القلب.. وهل تملكان في تلك اللحظات الثقيلة غير التوجه إلى مالك الملك، وقد أيقنت القلوب بحضوره، بشهوده لهذا الظلم الصارخ الفاجر، بعلمه وبهيمنته من فوق سبع سماوات وبرحمته وعدله لا ينفصلان».

(٤)

قد اختلف مع الأخت حميدة بخصوص الضمير المعتمد في المجموعتين إذ كان يفضل اعتماد ضمير المتحدث المحكوم بخبرته ورؤيته الذاتية بدلاً من اعتماد ضمير الغائب حيث يصير الروائي أو القاص عالماً بكل شيء في حدود فضائه الروائي.

في الحالة الأولى هناك التركيز والاقتصاد والتوتر.. هنالك - أيضاً - الانبثاقات الأكثر حميمية للمنولوجات والتداعيات.. بينما في الحالة الثانية قد يتعرض السرد لنوع من الفضفاضية وقد يفقد شيئاً من توتره.. ويصير المنولوج أو التداعيات مداخلة من الخارج لخبرة الشخصية المحورية.

ولو عدنا ثانية إلى عبارة الكاتبة: «تركتها تملى عليّ، وتتخذ طريقها الذي تريده من خلالي» فإننا سنزداد تشبثاً - من أجل التحقق بالصدق الفني المطلوب - بضرورة آن تكون المبدعة نفسها، أو الشخصية المحورية، هي التي تتحدث، لا أن تجعل الآخر يتحدث عنها.

ثمة تأشيرات أخرى في المقدمة تحمل أهميتها البالغة بالنسبة للناقد، وتعينه في الوقت نفسه على تحقيق مقاربة أفضل لهذا النص الإبداعي.

هنالك - أولاً - ما تسميه «صدق الحدث» الذي يجعل المجموعتين تعكسان رؤية تاريخية (بشكل من الأشكال)، ومع ذلك فإن (حميدة)، بما تمتلكه من قدرات فنية أصيلة، لم

تسمح «للتاريخ» بأن يسحبها بعيداً عن المطالب الإبداعية، ويجعل عملها هذا جهداً بحثياً أو تسجيلياً لا ينبض بالحياة.

هنالك محاولة للتعبير عن الإنسان، على إطلاقه في الزمن والمكان، وعبر لحظات القوة والضعف.. التفوق والهزيمة.. وهذه مسألة سنرجع إليها لدى الحديث عن البعد الملحمي - التراجيدي في هاتين المجموعتين.

هنالك - أيضاً - نقلة من العام إلى الخاص.. من الإنسان إلى الإنسان المسلم بوجه الخصوص.. وأيضاً عبر لحظتي التفوق والهزيمة، وهذا ما يمنح العمل بعده الواقعي وصدقه الفني المطلوب.

وإذا كانت هذه التأشيرات الثلاث أكثر مساساً بالمضمون، فإن (حميدة) لا تنسى أن تمنح القارىء، والناقد بطبيعة الحال، إضاءات موجزة عن البنية والخصائص الفنية لعملها هذا. ومن بين هذه الخصائص، طغيان المساحة الداخلية بكل أنواعها - شعورية وفكرية وتخيلية - على الحدث وندرة الحوار: الديالوج وقلة التعامل مع الخارج.

فأما طغيان المساحة الداخلية على الحدث، فهو ملمح من الملامح الأساسية للرواية، بل حتى للقصة القصيرة، في أنماطها الأكثر حداثة. وأما ندرة الحوار الخارجي، فقد استعاضت عنه بالحوار الداخلي (المونولوج)، وبسيّال من التداعيات أكثر خصوبة من الحوار الخارجي وأشد تركيزاً. وهي الأخرى تشكل واحدة من الملامح الأساسية للرواية والقصة المعاصرتين اللتين بدأتا تطلان على العالم بتقنياتهما الجديدة منذ بدايات القرن الماضي وما لبثتا أن اندفعتا بهذا الاتجاه مع مضي الزمن.

وأما «قلة التعامل مع الخارج» فإن مما يعوض عنه أيضاً الالتفات إلى «الداخل» لمتابعة تنامي التجربة ومنحنياتها في مساربها الموغلة في الأعماق، فيما يمنح الأداء الفني قدرة أشد فاعلية على «التأثير».

وما لنا ألا نرجع إلى الكاتبة نفسها وهي تبرز، أو تفسر بعبارة أدق، سبب لجوئها إلى هذه الصيغ الثلاث: «في السجن كانت الإقامة بالنسبة لي انفرادية أكثر الوقت، فلا مجال إطلاقاً لكلمة الخارج، إلا ما يتراءى في الخارج ويهجس به القلب، أي ما يأتي من الداخل»!

والسجين بين الجدران الأربعة لا يدخل (الحدث) في حياته كثيراً، بل لا يصادفه إلا نادراً.. والحدث في ذلك المكان كان يتمثل أساساً في ألوان التعذيب التي استعملت فيه بكثرتها وبشاعتها وتفننها في الإيلام، وفي عدد ضحاياها، ولم يكن هدفي في هذه الأقاصيص تسجيل ذلك رغم كل أهميته التاريخية، وإنما كان هدفي الأكبر هو تسجيل حالة إنسانية للإنسان المسلم صاحب الطريق المتميز في مواجهة الحرب الحاقدة التي يشنها الباطل وتتعدد فيها الطرائق والسبل.

«وفي السجن لا مجال للحوار غير الكلمات القلائل التي تفرضها مقتضيات العيش الضيقة..».

(٥)

وثمة ميزة «فنية» أخرى تحسب لمجموعتيّ (حميدة) هاتين فيما يمكن اعتباره إضافة نوعية لهذا الجنس الأدبي الذي اعتمدته صيغة للتعبير عن رؤيتها الإبداعية: وهي (القصة القصيرة) التي تتواصل حلقاتها ها هنا، وتمتد لحظاتها الزمنية، غير منفصل بعضها عن بعض، رغم أن ذلك لا يمنع البتة من التعامل مع كل حلقة منها كقصة قصيرة تنطوي على كل الخصائص الفنية لهذا النمط من الإبداع.

ولكن حميدة تتجاوز هذا المركب على صعوبته، فتضيف جهداً لا يقل صعوبة، فيما يجعل المجموعتين معاً تعكسان رؤية ملحمية، وربما تراجيدية، استهدفت تصميماً هندسياً مبتكراً تلتقي فيه القصة القصيرة بالملحمة ذات النبض التراجيدي.

وكيف لا تكون «ملحمة» لحظات الصراع المرير داخل السجون والزنزانات ضد الطاغوت الذي اعتمد منطق القوة والعنف والتعذيب والإرهاق والتدمير النفسي والجسدي لأولئك الذين رفضوا الانحناء لكلمته وطمحوا لأن تكون كلمة الله هي العليا؟!

إن البطل ها هنا لا يصارع قوى ميتافيزيقية أو أقداراً عمياء تنصب

عليه من المجهول، وترغمه على الانكسار، كما عكست الملاحم والتراجيديات اليونانية.. ولكنه يقف قبالة الطاغوت البشري الذي يسعى لاستلاب الإنسان الحرّ.. لاستعباده من دون الله.. ولإفراغه في نهاية الأمر من محتواه البشري، لكي ما يلبث أن يصير آلة صماء تنفذ ولا تعترض بشيء.

والبطل ها هنا يخرج من المحنة منتصراً، لأنه بقوة العقيدة التي كان يفتقدها أبطال الملاحم والتراجيديات العتيقة، يملك القدرة على المجابهة والصبر، والاحتمال، حتى آخر لحظة، ويموت واقفاً، إذا كتب عليه الموت.

في أعمال اليونانيين كان الإنسان دائماً يصارع قوى تفوقه وتسحقه في نهاية الأمر.. هنا كذلك صراع غير متكافىء بين الإيمان والطاغوت.. لكنه ليس مشروطاً بهزيمة الإنسان الذي يتسلح بالإيمان، ويعتصم بالله وينتظر الوعد.

إن النبض الملحمي ذا البطانة التراجيدية ها هنا عبر مجابهة تعكس بالضرورة صراع الحق ضد الباطل، والإيمان ضد الفجور.. الطرف الأول أعزل إلا من سلاح الإيمان، والطرف الآخر يملك كل القوى المنظورة لتدمير مقاومة المؤمن. وإذا كان عصب التراجيديات اليونانية يقوم على صراع الإنسان غير المتكافىء ضد ما تصوره اليوناني قوى غاشمة تتحكم بمصير الإنسان وتسحقه في النهاية.. وإذا كان البطل في هذه التراجيديات يعرف مسبقاً أنه سيخرج مهزوماً.. لكنه يقاتل لكي يثبت شرفه.. ولكي يقول (لا) للأقدار.. فإن ثنائية الصراع لدى (حميدة) تأخذ اتجاهاً معاكساً لأنها تنبثق - ابتداء - عن رؤية إيمانية تدرك أن المعركة ستنتهي إلى غايتها طال الوقت أم قصر.. وستؤول مهما عظمت التضحيات إلى انتصار الإنسان المتشبث بإيمانه، ضد القوى التي تسعى بكل الأساليب إلى سحقه.

إنها - مرة أخرى - جدلية الصراع بين الإيمان والفجور.. وبين الحرية والقسر.. وما دام الطرف الأول يمسك بحبل الله المتين ويفيء إلى خيمته الكبرى فإنه سينتصر في نهاية الأمر.

ولقد عبّرت (حميدة) عن هذا المعنى في مقدمة مجموعتها الثانية، وكأنها تعمدت أن تعطي القارىء المفتاح أو الشفرة التي تمكنه من إدراك سرّ العمل كله.في المنظور الإسلامي يصير القدر رفيقاً للإنسان.. قد يبدو للوهلة الأولى وللرؤية المتعجلة نقيضاً للطموح البشري، خصماً لدوداً يقف في مواجهة الحلم المشروع بحياة لا يخترقها حزن أو قهر أو ألم.. ولكن بالإيغال أكثر في منحنيات الكدح البشري في العالم.. في متابعة متأنية صبورة للمصائر والمقدرات، يتبين أن هذا التصور باطل، وأن ما وراء الصورة الخارجية لثنائية البطل والأقدار، حكمة بالغة تجعل من «القدر» أداة أو مشروعاً يستهدف خير الإنسان.

في التراجيديات اليونانية يخرج الإنسان من دائرة الصراع منهزماً مقهوراً وها هنا في ساحة الأدب الإسلامي يتأكد أكثر فأكثر، وعبر كل المعالجات الفنية لثنائية الصراع هذه، إن المنتصر في نهاية الأمر هو الإنسان.. والحرية.. وأن الله سبحانه - لحكمة يريدها - لا يكشف عن المصير إلا بعد أن يمرر الإنسان، من خلال اختياره هو، في «الفتنة» الصعبة من أجل الكشف عن معدنه.

إننا - مرة أخرى - بحاجة إلى المزيد من الأعمال الإبداعية التي تعكس هذه الرؤية الصائبة لمفهوم القدر في التصور الإسلامي، وتردّ بقوة الخطاب الفني كل المقولات الخاطئة التي بدأت بملاحم وتراجيديات اليونان واستمرت حتى اللحظات الراهنة تحفر مجاريها المتدفقة في العقل والوجدان الغربي، ومن هنا تأتي قيمة هذا العمل الذي بين أيدينا.

(٦)

تمارس (حميدة) متابعة صبورة لدقائق التجربة.. للحظة التجربة.. منذ البدايات الأولى لتشكلها وحتى اندماجها في اللحظات الأخرى. وهي تملك نفساً طويلاً في قدرتها الملحوظة على تغطية كل الدقائق والتفاصيل سواء في داخل الذات أم في الفضاء الروائي: الزمن والمكان.. وهما بالضرورة، وبسبب من تشكل الحدث داخل السجن، ضيقان إلى حد الاختناق.. وهي من أجل ذلك تلجأ إلى إشباع لحظة التجربة فلا تتركها قبل أن تعتصرها حتى الثمالة، معتمدة «وصف»

التجربة من الخارج حيناً، وملاحقتها من الداخل حيناً آخر بسلسلة من المنولوجات التي لا يكاد أحدها ينتهي حتى يبدأ الآخر: «الجسد شديد النحول، ممدداً فوق الحشية الصغيرة المتآكلة، وفوقه تتكاثف الطبقات، كل متاعها في هذه الدار تلتف به لتخفف من نبح آلام العظام.. ثوب قديم وفوطة وجه وثوب شتوي قصير يلفّ الأطراف التي جمدها الصقيع، وفوق ذلك كله تلتف بطانية رمادية أفنى الدهر وبرها، وجففت خيوطها بقع لزجة من مواد قديمة لا يعرف الآن كنهها.. أما رأسها فيرتكن إلى مسند قريب خلفها يستند إلى أحد جداري الزاوية التي يقبع في حضنها الفراش»،«وجهها يواجه الملامح الساهمة المستغرقة في تأمل بعيد مجهول في الوجه الآخر القابع في الركن المقابل، وجه شقيقتها.. تحدق في الوجه الصامت.. السمت الراضي والعينين السارحتين.. في لحظة تتداخل الأشياء والسمات، تغيب معالم الواقع وتغمرها ثقلة الصمت.. أتراهما اثنتين، أتراها وحدها وصورتها تلك تتراءى في المرآة،في الخيال السابح في تلافيف الماضي.. أتراها.. أتراهما.. أسطورة قديمة تخطر في الذاكرة في لحظة سفر واغل في المجهول.. من هما تراهما؟ ومن الذي ألقى بهما في هذا الركن القصي؟«والزمان ممتد إلى بعيد.. إلى أغوار لا يلحقها العمر.. منذ أن هم الحق الأكبر برفع الراية.. بنطق الكلمة.. بإعلان الحقيقة الكبرى من وراء كل باطل، فالتقى الباطل وتجمع وساند وحاصر.. منذ أن دخل «الشعب» في صحراء مكة أغوار التاريخ وأوغل في قلب الجاهلية.. منذ أوغل الحقد الكافر في قلب أبي جهل فطعن (سمية)! ومنذ أن صرخ الرجل الرهيب في الجمع السادر ونادى في قومه: (أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري تحتي)؟..إن الكاتبة تتحرك فيما يمكن تسميته «فضاء مسرحياً» محدداً، بحكم البيئة التي تتشكل فيها التجربة، وقد يبدو هذا مأخذاً ولكنه - في حقيقة الأمر - ليس كذلك، لأنه يمنح السرد تركيزاً أشد، وقدرة مدهشة على الإيغال في منحنيات اللحظة عبر قصصها كافة دونما كلل أو وهن، ثم هي تلجأ - كذلك - للتعويض عن ضيق الفضاء إلى استدعاء النماذج البشرية التي تعاملت معها هناك بنمطيها اللذين يحتويهما قطبا الخير والشرّ، وتحاول أن ترسمها بدقة وعناية، فيما يمنح السرد حيوية وتنوعاً، ويخرج بالقارىء عن رتابة الإيقاع الذي يتمحور عند الشخصية الرئيسية في معظم الأحيان. «أشرق وجهه الذي فاجأها ذبوله بابتسامة هادئة وأجاب بصوته العميق الذي تحفظ نبرته، فتنفذ الكلمات إلى قلبها حتى أعماقه البعيدة وتنطبع هناك».. «اكفهر وجه الوحش الذي يسدّ الطريق بينهما وألقى على الوجه الهادىء نظرة تقطر حقداً ثم قال موجهاً إليه الحديث: ولكنك سوف تدفع الثمن غاليا»، «لم تتغير البسمة السمحة وهو يجيب: الحياة؟ الحياة ليست غالية في سبيل الله.. ثم أن الحياة يملكها الذي وهبها.. هو الذي أعطاها فإذا أراد يوماً أن يستردها فمرحباً، فهي منه وإليه»..

(٧)

إن قصص «حميدة» تتدفق بالعنف نفسه الذي يتشكل فيه الحدث، عبر فضاء يصير فيه (السجن) وزمنه الرمادي الذي يستوي فيه الليل والنهار هو الفضاء الوحيد، لكن «حميدة» تعرف كيف تخترق جدرانه الكالحة بسلسلة خصبة من المنولوجات، والاسترجاعات، والاستبطان الذاتي، فتمنح قصصها حيوية وغنى.باختصار ، إن «القانون» الذي يصوغ هاتين المجموعتين، أو يحكمهما، بعبارةأخرى، وكما أرادت مؤلفتهما ابتداء، إنما هو قانون «الوحدة والتنوع» فهذه القصص، بشكل من الأشكال، ينفصل بعضها عن البعض الآخر وتكاد كل واحدة منها تشكل عملاً مستقلاً. لكن، في الجانب الآخر، ثمة ما يجمعها ويوحدها في سياق ينبض بهم واحد ورؤية واحدة.. الأمر الذي يجعلنا - مرة أخرى - إزاء إضافة نوعية لهذا الجنس القصصي الذي يتحول في المجموعتين إلى عمل روائي يربط خرزاته أو حلقاته جميعاً خيط واحد ينطوي على بعد ملحمي يعكس في نهاية التحليل وبدئه: صراع الإنسان المؤمن في هذا العالم ضد القوى التي تسعى لاستلابه وتعبيده للطاغوت البشري من دون الله.





• منير حسن منير

نحنُ.. وهُمْ
بل نحن وهُمٌ!!

■ ثلاثة أخبار تناقلتها وكالات الأنباء والأجهزة الإعلامية على مستوى العالم خلال الفترة الماضية. الخبر الأول حمل توقيع عملاق الكمبيوتر، ورئيس شركة مايكروسوفت بيل غيتس، مفاده تبرعه بـ(٣١) مليار دولار لصالح مؤسسته الناشطة في الأعمال الخيرية وهي أكبر مؤسسة في العالم تعمل في هذا المجال، لكي تخصصها للمساعدات التعليمية والصحية في الدول الفقيرة.

وكان غيتس وزوجته ماليندا قد دشّنا قبل سنة مضت عمل مؤسستهما الخيرية التي تحمل اسميهما من بلد إفريقي حين أعلنا العمل معاً لمكافحة الإيدز والملاريا والسُّل، وأكثر من عشرين مرضاً تفتك بفقراء القارة الإفريقية. ويبلغ حجم ودائع مؤسسة بيل وماليندا الخيرية حوالى ثلاثين مليار دولار.

الخبر الثاني هو تبرع الملياردير الأمريكي وارن بافت بـ٤٤ ٣٧ مليار دولار (٨٥٪ من أمواله) لصالح مؤسسة غيتس الخيرية، تاركاً لنفسه ولأبنائه الثلاثة مبلغ ستة مليارات دولار فقط.

والخبر الثالث هو تبرع الممثل الصيني جاكي شان بنصف ثروته البالغة ١٢٨ مليون دولار للأعمال الخيرية، تاركاً النصف لزوجته ولابنه الوحيد.

هذا السخاء (الحاتمي)، والكرم الذي يفوق حدّ التصور والوصف يجعلنا نتساءل (وبراءة الأطفال في أعيننا) عن ملياردير اتنا المسلمين من عرب وعجم، وعن حجم تبرعاتهم وإسهاماتهم في عمل الخير!

تُرى كم ينفق الواحد منهم في مثل هذه المجالات إذا عرفنا أن نصف سكان الدول العربية هم تحت خط الفقر؟ وثلثي نازحي ومشردي ولاجئي العالم من المسلمين!

تُرى هل فكروا في ملايين الجياع والأيتام والأرامل الذين يلتحفون السماء وتفتك بهم الأمراض وهدّ الجوع أجسامهم؟ تُرى هل فكر أحدهم في تأسيس مدرسة أو إنشاء جامعة، أو رصد مبلغاً (محترماً أو غير محترم) لبناء مستشفى في بلد فقير؟!

أقول هذا وعشرات الآيات والأحاديث النبوية تحتشد أمامي تحث كلها على البذل والعطاء والشفقة والرحمة والإنفاق دون منٍ أو أذى. وعشرات القصص عن أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان وغيرهما ينفقون دون حساب راجين ما عند الله.. ومنهم من أجاب حين سُئل (وماذا تركت لعيالك)؟! قال: تركت لهم ما عند الله فإنه لا يفنى.

أقولها دون حسد أو حقد على قصور يقتنونها في نيس وكان وماربيا والكناري، وأموال يكدسونها في مصارف الدنيا دون أن يعرفوا حجم عوائدها أو أرباحها من كثرتها.

فاللهم لا شماتة، وشكراً غيتس وبافت وشان، فقد علمتمونا درساً في البذل والعطاء والكرم وكأنما حاتم الطائي جدكم وليس جدنا نحن. شكراً لكم، فقد أثبتم أننا وَهمٌ كبير، وصفر أكبر.

• مدير التحرير